الكنعانيون وتاريخ فلسطين القديم

د . عبد الفتاح مقلد

العربي للنشر والتوزيع

الكنعانيون وتاريخ فلسطين القديم

د. عبد الفتاح مقلد

٢٠٠٣

العربي للنشر والتوزيع

٦٠ شارع القصر العيني (١١٤٥١) القاهرة
تليفون : ٧٩٥٤٥٢٩-٧٩٢١٩٤٣ فاكس : ٧٩٤٧٥٦٦
٤٢ ميدان البصرة - أول شارع دجلة - المهندسين
تليفون : ٧٤٩٣١٤٥ - ٧٦١٨٢٨١ فاكس : ٧٦١٨٢٨١
E-Mail : alarabi5@link.net

العربى للنشر والتوزيع

60 شارع القصر العينى (11451) - القاهرة
تليفون : 7954529 - 7921943 فاكس : 6

42 ميدان البصره - اول شارع دجله - المهندسين
تليفون : 7492145 - 7618381 فاكس : 7618381

E-Mail:alarabi5@Link.net

الطبعة الأولى

٢٠٠٣

الكنعانيون وتاريخ فلسطين القديم

المؤلف : د. عبدالفتاح مقلد الغنيمى

الغلاف للفنان : هشام بهجت

عدد الصفحات : ٢٤٥ صفحة

الإهـــداء

إلى من يجاهدون بكل الوسائل دفاعاً عن الحق العربى الفلسطينى

إلى من يتعرضون لاشرس هجمه استعمارية احلاليه فى تاريخ البشرية

إلى من لايمر يوماً دون أن يقدموا ارواحهم فداءً لتحرير فلسطين

الى من يقاومون چنكيز خان ، هولاكو القرن الحادى والعشرين (شارون)

إلى من تدمر قراهم ومدنهم ومساجدهم وكنائسهم

إلى من تدنس ارضهم الطاهرة باقدام الإسرائيليين المستوطنين

إلى شعب فلسطين البطل خط الدفاع الاول عن الوجود العربى

إلى شعب فلسطين البطل شعب الجبارين الذى لا ولن يتنازل عن حقه فى فلسطين من النهر الى البحر

هذه الدراسة

الملك فيصل - الهرم - الجيزة

فى الاحد ١١ شوال ١٤٢٣هـ

١٥ ديسمبر (كانون اول) ٢٠٠٢

دكتـــور

عبدالفتاح مقلد الغنيمى

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

ان التاريخ الفلسطينى الكنعانى القديم فى حاجة إلى غربلة وتنقية واعطائه صوتاً معبراً عن الحق الفلسطينى القديم منذ الاف السنين فى فلسطين حيث كانت اول هجرة الى تلك الديار هى هجرة عربية كنعانية سامية وانه لابد من البحث والتنقيب عن التاريخ الفلطسينى القديم حيث ان العالم العربى فى امس الحاجة الى الدراسات الاكاديمية العلمية للقيام بدراسات متعمقة تعيد قراءة التاريخ القديم الفلسطينى والشرق الادنى القديم برؤية عربية جديدة ذلك لأن تاريخ فلسطين القديم لم يلقى عليه الضوء الكافى لأن الصهياينه اضفوا صفة توارتيه على تاريخ المنطقة وهيمنت التقاليد الإسرائيلية كبديل لتاريخ فلسطين القديم حيث لابد من دراسة الآثار الفلسطينية القديمة وان يدرس كموضوع اكاديمى لأن تاريخ فلسطين القديم منذ ثلاثة ملايين سنة وليس اربعة آلاف عام يبدو تاريخ مهجور ومهمش فالممالك العربية القديمة لابد أن تدرس حيث انه لم يكشف إلا القليل عنها . حيث ان الدراسات التوارتيه هى من اختراع عقول العلماء اليهود الذين يحاولون طمس الحقائق التاريخية عن الشعوب العربية السامية «الكنعانية ، الفلسطينيه ، الفينقية، الاراميه ، العموريين ، الأدوميون» وغيرهم من الشعوب العربية السامية التى سكنت فلسطين منذ الاف السنين وانه لابد من وجود تاريخ فلسطينى اشمل وان شعوب فلسطين القديمة نشأت منذ العصور القديمة وقبل عهد الاسرات فى مصر وانه يجب الوقوف امام اسلوب البحث العلمى الزائف وانه يجب دراسة هجرة القبائل العربية منذ قرون طويلة الى فلسطين وبيان نموذج حضارتها وانجازاتها فالمؤرخ المتخصص فى تاريخ فلسطين لابد ان يلقى الضوء الكافى على تاريخ الكنعانين ومن جاء بعدهم من الهجرات السامية الى فلسطين .

ذلك لأن هذا الكتاب عن الكنعانين عبارة عن بداية جادة لمحاولة البحث فى تاريخ فلسطين القديم بعيداً عن المؤثرات السياسية والايديولوجية التى هيمنت على البحث التاريخى للدراسات التوارتيه والتشكيك فى حضارة الكنعانين وتاريخهم والذين هم اساساً الذين يشكلون الحلقة الأولى والاساسية عن التاريخ الفلسطينى القديم وانه لابد من دراسة حقيقة التاريخ الفلسطينى بشكله المتكامل من نصوص اثرية عن كيان الشعب الفلسطينى القديم ذلك لأنه مما يلفت الانتباه هو غياب تاريخ فلسطين للماضى البعيد جداً اى تاريخ مكتوب من منظور فلسطينى أو عربى أو اسلامى ، ذلك لأن الدراسات الفلسطينية من منظور تاريخ فلسطين الحديث قد ركزت على فترة الصراع الصهيونى الفلسطينى منذ القرن الثامن عشر الميلادى فقط أما التاريخ الفلسطينى القديم فإن الدراسات فيه قليلة جداً إن لم تكن منعدمة وربما تم التنازل عنها لمصلحة دولة اسرائيل المغتصبة للحق القديم للشعب الكنعانى أو لمصلحة دول الغرب وامريكا .

اين الدراسات الفلسطينية الكنعانية القديمة جداً . أين التاريخ الفلسطينى القديم فى المكتبة العربية ، .

أن اسرائيل شيدت ماضى خيالى احتكر خطاب الدراسات التوراتيه وهيمنت على التاريخ الفلسطينى القديم بل انكرت وجوده من الاساس والكنعانيون منذ اربعة آلاف سنة قبل الميلاد .

يقول هيوز . Hughes . T فى كتابه :

Secrets of times myth and History in Biblical chronology .

وفى دراسته الحديثة حول التسلسل الزمنى التوراتى ان تاريخ التوراة هو خيال محض اخترعه اليهود فى المنفى لكى يمدونا بمشروع تاريخى زائف عمره ١٠٠٠ الف سنة تغطى تاريخ وجود اسرائيل فى ارض كنعان وهكذا لايمكن

الاعتماد على هذه الرواية ولا نقل الاسطورة اليهودية عن تاريخهم الزائف . ومن ثم لماذا لم يعط التاريخ الفلسطيني القديم القدر الكافي من الاهتمام في المناقشات الاكاديمية انه لايوجد حياد كما انه لايوجد حياء أو موضوعية فيما يتعلق بفلسطين.

ان البحث العلمي الأوربي والامريكي قد استعمل تعبير فلسطين بشكل مستمر لكن هذا التعبير قد جرد من اي معنى حقيقي في خضم البحث عن تاريخ اسرائيل القديم (اين الكنعانين في الدراسات التاريخية) ان كل الدراسات تحاول ان تسكت بل تخرس التاريخ الكنعاني اي التاريخ الفلسطيني الاصيل اين العمورين والكنعانيون والفنيقيين والاراميون والادميون وغيرهم من سكان فلسطين القديمة حيث كانت مأهولة بمجموعات سامية كثيرة هم السكان الفلسطينين الذين ينظر إليهم في الدراسات الإسرائيلية والأوربية والامريكية على انهم مجهولون وكذلك كانت السيطرة الصهيونية على الارض وسلب الشعب الفلسطيني من ارضه وتصويره على انه شعب بلا تاريخ أو تجريده من هذا التاريخ وهكذا يجعل الصهيونيون (شارون السفاح جنكيز خان العصر الحديث) الشعب الفلسطيني شعباً غير ذي أهمية وفي نهاية الامر غير موجود (جوالدمائير رئيس وزراء اسرائيل ١٩٧٣) تقول لا يوجد شعب اسمه الشعب الفلسطيني الى الحد الذي جعلت فيه الصهيونية فلسطين ارضاً فراغ أو قاحلة بلا شعب .

لابد ان يبحث الفلسطينيون في علم الآثار الفلسطيني عن تاريخ فلسطين وانه لابد ان تصل دراسة الآثار الفلسطينية الى حقائق تاريخية يعرفها كل العالم وليس الآثار الإسلامية منذ اربعة عشر قرناً. نحن نريد آثار ثلاثة ملايين سنة من عمر الكنعانيين في فلسطين .

ان الذي يؤمن برسالة فلسطين التاريخية لابد ان يبحث عن اثارها التي ترفعها الى درجة اعلى بكثير فوق مستوى الآثار المادية .

ان التاريخ الفلسطيني يبدأ مع اول انسان عربي كنعاني سامي سار على ارض فلسطين وليس مع ابراهيم عليه السلام منذ ١٨٠٠ق.م ولكن منذ اربعة الاف سنة قبل الميلاد ٢٢٠٠ عام قبل ظهور ابراهيم عليه السلام . ان فلسطين هي كنعان ان الفترة الكنعانية ومن شاركها ، ارض كنعان في السكن والمعيشة هي كل التاريخ الفلسطيني وليس فترة في تاريخ فلسطيني تسمى الفترة الكنعانية وان الكنعانين العرب الساميين مستمرين بلا انقطاع في فلسطين طوال سبعة الاف سنة وليس ٧٣ سنة هي فترة حكم داود وابنه سليمان (١٠٠٠ ق.م الى ٩٢٧ق.م) .

ان ارض كنعان مرتبطة بالعروبة ثم بالإسلام وهذا هو التاريخ الحقيقي لفلسطين ، ان فترة ما قبل التاريخ والفترة الكنعانية والإسلامية هي فترة عربية واحدة وان فلسطين هي تلك الفترة ، ان مملكتي داود وسليمان لاتمثلان إلا احتلالاً عسكرياً لشعب له جذوره في فلسطين وانتهى هذا الاحتلال بعد فترة وجيزة (راجع كتابنا هل لاسرائيل حق تاريخي في فلسطين ، العربي - القاهرة ٢٠٠٠) وهكذا فقد حلت اسرائيل الحديثة محل فلسطين القديمة منذ آلاف السنين . ان محاولة احلال ما يسمى اسرائيل محل الشعب الفلسطيني القديم أو ما يعرف الفلسطينيين قبل التاريخ أو الكنعانيون فإن ذلك تضليل للتاريخ .

أن الثقافة الكنعانية كانت ارقى الثقافات في عصور التاريخ وتفوقت في ابجدية اللغة على كل دول العالم .

أن الكنعانيين موجودون في فلسطين منذ اكثر من سبعة الاف عام بالمقارنة بالفترة الإسرائيلية التي لم تصل الى مائة عام .

أن تاريخ فلسطين يطالب بالزمان والمكان الماضيين به واللذين انكرهما اصحاب اقل من مائة عام (٧٣ عام فقط) بسبب الدراسات التوراتيه (أي فترة حكم الملكين داود وابنه سليمان لا تعني احتلالاً لفلسطين وشعبها ولم يكن ذلك إلا

لفترة زمنية قصيرة جداً ولم تكن إلا دويله صغيرة ناشئه في بقعة صغيرة من كل فلسطين في الهضاب الوسطى كان يعيش فيها الكنعانيون والفلسطينيون والاراميون والعمورنيون والادوميون والمؤابين) وكانت تشكل دولة المدن حيث كانت هناك تجمعات سياسية اكبر قائمة بالفعل وكانت بعضاً منها دول الساحل بحيث فرضت الثقافة الكنعانية نفسها على كل شعوب المنطقة فقد حصل اندماج بين ثقافة الكنعانين وثقافة الآخرين وبذلك فإن كنعان تمثل السكان الفلسطينين الاصليين وليس السكان اللاجئين من الشعوب البدائية التي تاهت في الصحراء اربعين عاماً أو يزيد . ان احتلال ارض كنعان لم يمكن المحتلين من اذابة شعب أو تحويله إلى ديانتهم بل ان الحضارة والديانة الكنعانية فرضت نفسها على المحتل الذي عبد آله الكنعانيين وتكلم بلغتهم .

ان مدن الكنعانين ظلت كما هي ولم يتمكن العبرانيون من طردهم من ديارهم أو مدنهم بل قاومهم حتى اسقطوا هذا الكيان المحتل وانقسم وتعرض للاستعمار من الخارج من المصريين والاشوريين والبابليين والفرس واليونان والرومان والبيزنطيين حتى جاءت الموجة العربية الإسلامية في القرن السابع الميلادي لتعيد الحق العربي كما كان منذ اربعة الاف عام قبل الميلاد ان الصهاينه لم يكتفوا باحتلال الارض بل تجاهلوا حق الفلسطينين في تاريخهم القديم والى متى يظل التاريخ الفلسطيني القديم مهمشاً وصوته غير مسموع وهو صاحب الجذور التاريخية القديمة .

لقد نجحت الحركة الصهيونية في تغيب التاريخ الفلسطيني الرئيسي في المنطقة العربية وسكانها فقد ضيعت الصهيونية الفلسطينين واستعبدتهم ليس فقط في ديارهم بل في تاريخهم ذلك لأن كل الدراسات الفلسطينية كانت تنصب في المقام الأول على التاريخ الفلسطيني المعاصر لفلسطين ابتداء من القرن الثامن

عشر الميلادى وحتى العصر الحاضر لكى يرد على الإدعاءات الصهيونية ونسى الفلسطينيون جذورهم التاريخية والعرقية والسلالية والجنسية وهى التى تمثل الثقل فى الصراع حيث ان ابراز الفترة التاريخية الطويلة للشعب العربى الفلسطينى الكنعانى عبر تاريخه الطويل وحضارته وثقافته الكنعانية والفنيقية ودوره الرائد فى ثقافة المنطقة وفرض مقومات حضارة عربية كنعانية كل ذلك يجب ان يكون اعترافاً بالحقائق التاريخية دون ان يتصور العالم ان الصراع الحالى بين الشعبين الفلسطينى والشعوب الإسرائيلية هو صراع على ارض وتنازع على ملكية وليس سلب للحقوق التاريخية الكنعانية وليس تعدياً على حقوق قديمة ، ذلك لأن الصراع الدائر حالياً لايزال شيئاً غير مصرح به على نطاق واسع لأنه يبدأ من القرن الثامن عشر الميلادى وليس من القرن الاربعين قبل الميلاد بل منذ العصر الحجرى القديم أو عصر البرونز الذى يرجع الفضل فى اختراعه الكنعانيين ومنهم عرفه العالم كما ان احفادهم الفلسطينين هم الذين عرفوا العالم صناعة الحديد .

وهكذا شكل الكنعانيون الفلسطينيون اكبر خدمة للبشرية باختراع البرونز والحديد واختراع الكتابة الفنيقية ثم تطورها وبذلك نقول انه بداية بحيث ان يدرك القارئ الكريم ان العدو الإسرائيلى الذى اغتصب ارض فلسطين من اهلها الشرعيين الفلسطينين ابناء الكنعانين لايمثل إلا حلقة صغيرة من حلقات التاريخ وان العدو مهما طال به الزمن فلا محالة فى انه الى زوال وكما جاءت شعوب اسرائيل من الشتات فإنها سوف تنتهى لامحالة الى شتات وان فلسطين (كنعان القديمة) ستعود إلى اهلها الشرعيين من النهر (نهر الاردن) الى البحر (البحر الابيض المتوسط) وان فلسطين عربية كنعانية سامية وان التاريخ سوف يكتب نهاية العدو الإسرائيلى مهما تكن مرحلة الصراع القاسى التى يقودها الشعب الفلسطينى الاعزل مع العدو الإسرائيلى منذ ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠م عندما دنس

سفاح القرن الحادى والعشرين (اريل شارون) المسجد الاقصى بزيارته المشئومة والذى لن يكون إلا صورة من صور الإرهاب مثل هولاكو ، جنكيز خان ، تيمورلنك وكل جبابرة التاريخ القديم الذى يضاف إليهم سفاح صبرا وشاتيلا وغيرها من المذابح فى فلسطين .

ولقد ظهرت فكرة هذه الدراسة عندما استمعت إلى اذاعة لندن باللغة العربية B.B.C فى برنامة «بانوراما » الذى اذيع يوم الثلاثاء ١٩٩٧/١/٧م الساعة السابعة مساء حول التصور الإسرائيلى للسلام عندما قال المتحدث الإسرائيلى بالحرف الواحد (سنبقى فى اسرائيل إلى الابد وهذه ارضنا . اما العرب فلهم الاردن أو أى مكان) فكانت هذه الدراسة عن الكنعانين العرب اصحاب الارض فى فلسطين وكنعان ، منذ اربعة الاف عام قبل الميلاد وقبل ظهور القبائل البدوية الرعوية "الخبيرو" باكثر من ثلاثة آلاف عام وهم سلالسة الخبيرو أو العبرو لقد ذابوا فى التاريخ وفى الامم القديمة وانقرضت كل هذه الشعوب البدوية (انظر شعوب اسرائيل وخرافة الانتساب للسامية للمؤلف وانظر أيضاً للمؤلف هل لاسرائيل حق تاريخى فى فلسطين) وكذلك فإن هذه الارض ليست ارض اليهود الحاليين الذين لايمتون على الإطلاق لليهود القدامى ولكن هم سلالة خزريه يافثيه منغوليه من سكان السهوب حول بحر القزوين أو المنطقة فيما بين الاورال وبحر قزوين هذه هى ارض اليهود وهذه هى سلالتهم وليس هناك ادنى صلة بسام أو إبراهيم أو اسحق أو يعقوب أو الاسباط أو موسى أو هارون أو داود أو سليمان فسلالة كل هؤلاء قد انقرضت وفى ذلك يقول "بنيامين نتياهو" نفسه رئيس وزراء اسرائيل الاسبق (قبل يهود باراك أو شارون فى كتابة مكان بين الامم . ترجمة : محمد غزه الدويرى ص٤٩ ان الطائفة اليهودية كانت قد ابيدت فى الحملات الصليبية وما قبلها من عصور) فمن اين جاء اليهودى الإسرائيلى الذى يقول فى

برنامج الإذاعة البريطانية أن فلسطين ارضنا وسوف نعيش ونبقى بها إلى الابد ، ومن اين جاء حقه فى هذه الارض واين كان عندما كان الشعب العربى الكنعانى صلب هذه الدراسة يعيش واحفاده الفلسطينين على هذه الارض الطيبة المقدسة لدى اصحاب الديانات السماوية الثلاث .

لقد اقامت اوربا الدولة الصهيونية على ارض عربية بعد انتزاعها بالسلاح من اصحابها بغية تمكين جاليات اليهود المضطهدة فى اوربا والذين هم اصلاً اوربيون وليس ساميون من الحصول على وطن قومى ظاهرياً ولكن فى الحقيقة لاقامة ترسانه حربية لتفتيت شمل ووحدة الشعوب والدول العربية حول مصر الدولة الرائدة ، فها هى الدول الأوربية وامريكا التى دعمت تقدم الصهيونيه وعدوان الدولة اليهودية من وعد بلفور المشؤم الى لوروزتشالد وهكذا نرى انه فى شرقنا العربى قد تم سلب فلسطين حيث تم تسليح الدولة الصهيونية بالترسانه الذرية والنووية والاجهزة المواكبه للعصر كما هو معلوم للدراسين وذلك تحقيقاً لدعم العدوان الصهيونى ومخطط الهيمنه اليهودية على منطقتنا بجميع الوسائل المالية والتكنولوچيه والسياسية والإعلامية والثقافية دون هوآده . ذلك الكيان المزعوم المسمى اسرائيل والذى ليس له تاريخ سابق فى المنطقة وليس له حدود قانونية من أى نوع يمكن اخذها فى الاعتبار .

لقد تمت اقامة الدولة الإسرائيلية بواسطة القوة ومن هنا فإن الحفاظ على كيان سياسى اسرائيلى من هذا الطراز يعتمد كلياً على تركيب عسكرى متوسع اى ان العسكريين بالنسبة لاسرائيل هم ضمان البقاء والوجود وكذلك فإنه لايستطيع احد ان ينكر الممتلكات العربية الفلسطينية فى المساهمة الأساسية للانتصار الإسرائيلى إذ ان كل المدن العربية مثل يافا ، عكا ، اللد ، الرمله ، بيسان ، المجدل ونحو ٣٨٨ قرية ومدينة والاف المتاجر والمخازن وكذا آلاف الافدنة

من بيارات والتى تشكل حاصلاتها نسبة كبيرة من دخل اسرائيل من النقد الاجنبى كل هذه الممتلكات وقعت فى ايدى اليهود مما ساعد على وقوف دولة اسرائيل على قدميها ويعتبر تطور السكان فى اسرائيل منذ عام ١٩٤٨م حالة تستدعى الانتباه وذلك بسبب السيل المتدفق من الهجرة التى لاتنقطع كما ان الهجرة لعبت الدور الرئيسى فى نشأة المجتمع اليهودى ونمو فلسطين ما قبل عام ١٩٤٨م وأدت الى تزايد الجالية اليهودية فى فلسطين .

وقد مر المجتمع الإسرائيلى بثلاث مراحل رئيسية الأولى وهى من عام ١٨٨٠-١٩١٩ وتكونت من هجرة بطيئة معظمها من يهود شرق اوربا وقد لعب الرواد الاوائل منهم ادواراً تاريخية وقد تضمنت موجة الهجرة الأولى (١٨٨٢ - ١٩٠٣) وكانوا فى الاغلب مهاجرين من روسيا القيصرية (ويهود خزر وسلاف من اصول غير سامية) ، ثم الموجة الثانية ١٩٠٤ - ١٩١٤م وكانوا مهاجرين من روسيا واعضاء فى الحركة الصهيونية ولقد ظلت اسرائيل خلال العشر سنوات الاولى من عمرها تعتبر من الدول ذات الطابع الحضرى إذ تركز معظم السكان فى ثلاث مدن كبرى هى تل ابيب وحيفا والقدس ثم ظهرت المدن المنشأة حديثاً والمدن التى لم تكن مسكونة باليهود هذا بخلاف تلك الإيدلوچيه العسكرية البارزة فى اقامة المستعمرات الزراعية والتى قام الجيش الإسرائيلى بتخطيط هذه المستعمرات .

كذلك فإن المغامرات العسكرية التى لازالت تداعب خيال قادة اسرائيل قد ضاعفت من ظاهرة عسكرة الاقتصاد الإسرائيلى لاسيما ان الاصل فى ان تكون اسرائيل مركزاً اقتصادياً نامياً وصناعياً متقدماً ومالياً مؤثراً فى وسط بيئة عربية زراعية متأخرة واقتصادية متخلفة وتركيب اجتماعى ينتسب للقرون الوسطى وان كان يعيش على خريطة القرن الحادى والعشرين ومن ثم نشأ فى اسرائيل هذه

البيئة الصناعية الحالية النامية والمتقدمة ويكون مجال نشاطها هذه البيئة العربية المتخلفة (مشروع الشرق الأوسط لشيمون بيريز) وجميع الاقتصاديين يعرفون معنى هذا الاقتصاد والذى يمارسه اقتصاد صناعى متحرك له اجهزة على نمط اجهزة القرن الحادى والعشرين مستقبلاً وهى الموجودة فى امريكا ودول غرب اوربا وهى ان تصبح اسرائيل مركز استيرادى من امريكا واوربا وفى ذات الوقت مركز تصدير ليس للبضائع فحسب بل لرؤوس الاموال والخبراء هو الاستعمار الجديد للعالم العربى .

ولاشك ان بقاء باب الهجرة مفتوحاً لليهود الراغبين فى الاستيطان (حوالى مليون روسى وسوفيتى سابق هاجروا إلى اسرائيل بعد عام ١٩٩١، واستخدام القوة قد جلب اليهود الى اسرائيل والفلاشا من الحبشة ويهود الاتحاد السوفيتى السابق) وتوفير فرص العمل والإسكان لهؤلاء المهاجرين واستيعابهم والحفاظ على قوة عسكرية كبيرة مجهزة تجهيزاً ضخماً وحديثاً لاسيما بعد ان كشفت اقمار التجسس الروسية والغربية الصناعية وجود اكثر من ٢٠٠ سلاح نووى فى اسرائيل واظهرت الصور ان تلك الاسلحة منصوبة فى ٨ مواضع فوق صواريخ متوسطة وبعيدة المدى وفى طائرات جاهزة للانطلاق باستمرار من بينها مواقع قرب الحدود السورية واللبنانية وذكرت مصادر بريطانية كيف اكتشاف الروس والفرنسيين هو الاول من نوعه يؤكد بشكل قاطع المدى الذى بلغه البرنامج الإسرائيلى السرى (مذكرات فونفو) كما ذكرت مجلة (جينز الدفاعية البريطانية) ان المفاعل الذى يجرى فيه انتاج البلوتونيوم للقنابل الذريه يقع جنوباً فى منطقة ديمونه بصحراء النقب بينما يقع مركز التصميم والتجارب فى منطقة (سوريك الساحلية) ويشبه ذلك المركز مركز التجارب النووى الامريكى الضخم فى لوس

انجلوس ، وذكر المؤرخ البريطانى العسكرى (هارولد هوج) ان عملية تجميع الاسلحة النووية تجرى فى «بودفانت» بالجليل فيما يتم بناء الصواريخ العابرة للقارات فى منطقة (بئر يعقوب) وسط اسرائيل . أما تخزين القنابل الذرية فيتم فى منطقة «ايلانين» القريبة من الحدود مع سوريا أما مركز اطلاق الصواريخ والقاعدة الأساسية المخصصة لاستخدام اسلحة الدمار الشامل فتقع قرب (كوزكو ياخ) فى مرتفعات الضفة الغربية ومن هنا يأتى الاصرار على الاحتفاظ بقوة عسكرية لاتدانيها قوة فى الشرق العربى وكذلك قيام نوع من العلاقة الطيبة بين دولة صغيرة فى الشرق العربى متمركزة فى موقع استراتيچى خاص (اسرائيل) وقوة كبرى الولايات المتحدة الامريكية) والتى تمدها بكل ما تحتاج إليه ، كذلك ساعد التدفق التكنولوچى والتقنى والعلمى والمساعدات الاقتصادية من امريكا وغرب اوربا على تمكين اسرائيل من انتاج الصناعات المتقدمة وساعد على بناء التركيبة الاجتماعية للطبقة العاملة فى اسرائيل وبالذات ظهور فئات جديدة من العلميين والفنيين ولقد تكاثرت الاستثمارات الامريكية فيها الى حد ان عدد كبير من الشركات اصبحت اليوم فى ايدى الامريكيين ولايستطيع احد ان ينكر ان تأسيس اسرائيل وسط العالم العربى يرجع الى فضل الولايات المتحدة الامريكية فقد صارت اسرائيل مؤسسة امريكية واسعة .

أن المجتمع الإسرائيلى يتكون من جماعات تتألف من المهاجرين ذوى الاصول القومية والعنصرية والعرقيه المتعددة والمتنافرة والتى وصلت الى فلسطين على فترات تاريخية متعددة الامر الذى جعل مركزها الاجتماعى ومكانها فى السلم الاجتماعى تختلف نتيجة لهذا الميراث التاريخى .

وينقسم المجتمع اليهودى (الإسرائيلى) إلى اليهود الاشكناز الغربيين ذوى الاصل الأوربى أو الامريكى واليهود السفارديم الشرقيين ذو الاصل الافرواسيوى

وهناك من يرد الحزازات المترسبه بين اليهود الشرقيين واليهود الغربين فى المجتمع الاسرائيلى الى المثل الثقافية فالمثل السائدة بين اليهود الغربيين هى المثل الأوربية الامريكية .

ذلك لأن المهاجرين الأوائل وجيل الصابرا المعاصر جميعهم واقعون كلية تحت تأثير المثل الغربية وانهم فى حقيقة الامر جزء من القارة الأوربية الامريكية آخذه فى الانتشار وان التأثيرات هذه ربما تجعل اليهود الشرقيين يتحولون الى اشكناز رغم وجود تميز عنصرى ضد اليهود الشرقيين فى اسرائيل لصالح الاشكناز والذى يتكلمون لغة البيدش اضافة الى اليهود الروس الذين قدموا من دول الاتحاد السوفيتى بعد تفككه عام ١٩٩١ والذين يشكلون ما يقرب من المليون نسمه ويشكلون كتلة برلمانية فى الكنيست لاتقل عن ١٢ عضواً ولهم اكثر من حزب سياسى اشهره هو (حزب اسرائيل بيتنا) .

وتبذل الحكومات الإسرائيلية جهداً منظماً داعياً لمواجهة هذا التحدى وتعالج مشكلة التمزق والتنافر والتباعد بين الفئات فى اسرائيل ومحاولة صهر المجتمع الإسرائيلى فى تعلم اللغة العبرية للمهاجرين الجدد (لاحظ اليهود الروس يتحدثون اللغة الروسية) . لكن التفرقة العنصرية تمارس بمختلف الوانها ضد اليهود الشرقيين لاسيما انه توجد الحواجز الثقافية والعنصرية واللونيه بين فئات المجتمع الإسرائيلى وهى عميقة وشديدة .

ان اليهودية الارثوذكسيه المحافظة تتطلع الى فلسطين ليس كمجرد مهد الديانة اليهودية بل ايضاً باعتبارها الموطن الأخير لتلك الديانة لاسيما ان السيطرة على فلسطين وجدت استجابة اولاً بين اليهود المقيمين فى بلدان اوربا الشرقية ذو الاصول الخزريه حتى ابراز الطابع الدينى اليهودى لمرسية اليهودية :

ان الفلاشا فى الحبشة والتامل فى الهند هاجروا الى اسرائيل باعتبارهم يهود كما ان زنوج امريكا السود يهاجرون الى اسرائيل بعد اعتناقهم الديانة اليهودية والذين يقدر عددهم باكثر من ٨٥ الف يهودى يدعون انهم من سلالة العبرانين القدامى حيث يسعى هؤلاء اليهود الزنوج للإنضمام الى الجالية العبرانية السوداء الذين يقيمون فى بلدة ديمونه بصحراء النقب وان وزير الداخلية (ايلياهو سسيبا) فى وزارة نيتناهو الاسبق زار امريكا لتشجيع هؤلاء اليهود السود للهجرة الى اسرائيل بل انه تعاقد مع عدد من الحاخامات حتى يعتنق هؤلاء الديانة اليهودية على ايديهم وان اليهود السود من حقهم الهجرة الى اسرائيل شأنهم شأن سائر يهود العالم وان لون بشرتهم السوداء يجب ألا يحرمهم من حق الهجرة وعلى الجانب الآخر نجد حاخام يهودى يرفض الاعتراف بعلم اسرائيل وهو الحاخام «هاييم نيلر» الذى يعمل سابقاً نائباً لرئيس بلدية القدس لأنه لايقبل العلم الإسرائيلى الذى تتوسطه نجمة داود وهو لا يخفى ان هذا العلم لايتفق مع عقيدته الدينية لأنه يؤمن ان اسرائيل لايمكن ان تكون دولة ليهود العالم طالما ان المسيح المنتظر لم يظهر بعد كما جاء بالكتاب المقدس بل اكثر من ذلك فإن هذا الحاخام يحتقر علم اسرائيل فقد اثار ضجة مؤخراً عندما قال فى قلب بلدية القدس انه لايريد الجلوس الى جانب العلم خشية ان يستخدمه فى تنظيف حذائه وكان ذلك فى جلسة بلدية القدس .

ان التركيبة السكانية فى اسرائيل وهى التشكيلة التى لاتجتمع إلا فى الدين فقط وتختلف فى كل شئ فى اللون والعرف واللغة والجذور التاريخية والثقافية وغيرها من الاختلافات الاخرى حتى انهم كما سبق القول ينقسمون الى عدة فئات عبارة عن الاشكناز القادمين من الغرب والشمال اغنياء ومتعلمين وسفرديم من

الشرق والجنوب على النقيض تماماً فهم فقراء ويشكلون الطبقة العاملة لأولئك الاغنياء .

ومن ثم فإن هذا المجتمع لم تظهر تداعياته على السطح عندما يكون منتصراً لأن الانتصار قد خطف منه الخلاف والاختلاف فيما بينهم . ان الحرب لاتنهى اسباب الصراع ولكنها تؤجله الى سنوات قادمة . ان الشباب الإسرائيلى هرب الى المدارس الدينية والاحزاب الدينية ليس رغبة مبكرة فى الاصولية الدينية اليهودية ولكن سبباً فى الاعفاء من اداء الخدمة العسكرية وقد توقع نصف الاسرائيليين تقريباً ان يؤدى الخلاف القائم حالياً بين المتدينين والعلمانيين فى اسرائيل الى نشوب حرب اهليه بينهم وتزامن نشر الاستطلاع الذى شمل ١٠٢٥ يهودياً مع اصدار الحاخام المتعصب (اوفاديا يوسف) زعيم حزب شاس الدينى المتشدد أوامره لموزعى البريد الاسرائيلين باحراق النشرات التى ترسلها الجماعات التبشرية المسيحية باعتبار ان ذلك واجب دينى وكان المئات من المتشددين اليهود قد تجمعوا امام مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلى فى القدس للمطالبة بطرد المبشرين المسيحين من اسرائيل واحراق نشراتهم كما ضربوا العديد من موزعى البريد الذين حملوا هذه النشرات .

ولقد قال بن جوريون مؤسس دولة ما يسمى باسرائيل ان القوة المتنامية لحركة التعمير اليهودية فى فلسطين ستضاعف ايضاً من قدرتنا على تنفيذ عملية الترحيل الجماعى للسكان العرب من كل اسرائيل بينما كان (چوزيف وينز) رئيس لجنة الترحيل يرى ان الارض لا تتسع لشعبين والحل الوحيد ان تكون فلسطين بدون اى وجود عربى (سياسة شارون الحالية ٢٠٠١-٢٠٠٢) ويضيف المؤرخ (بنى موسيانى) احد المؤرخين اليهود الجدد أن إبادة [illegible] ب واخلاء فلسطين منهم

هى صلب واساس التكوين لدولة اسرائيل ويضيف انه تم شن عمليات وحشية لاقناع الاحياء من السكان العرب بالفرار من بلادهم واجبرت عصابات الإرهاب الاسرائيلى (الهاجانه) السكان فور الاستيلاء على الكنيسة القدسيه (چان دارك) والمنطقة المحيطة بها من خلال مكبرات الصوت السكان على المفاضلة بين الاستسلام أو الانتحار واضطر ثلثا السكان الى التوجه الى المنفى تنفيذاً للأمر الذى اصدره المقدم (اسحق رابين ، اصبح رئيس وزراء اسرائيل وتم اغتياله على يد احد المتطرفين اليهود القادمين من اليمن عام ١٩٩٦م) وفى ظل هذه الظروف تم تدبير مذبحة اكبر عدد من اهالى قرية (دير ياسين) بالرغم من عدم مشاركتهم مطلقاً فى المعارك وبصدد هذه المذبحة صرح مندوب هيئة الأمم المتحدة للصليب الاحمر الدولية فى فلسطين بأنه كان يوجد ٤٠٠ فرد فى هذه القرية هرب منهم نحو ٥٠ فرد ولم يبقى منهم سوى ثلاثة احياء فقط وتم ذبح الباقين عمداً لأن فرقة الذبح كانت منظمة جداً لأن اليهود كانوا يتصرفون على غرار اسلوب النازيين فى الإبادة.

ان ما يجرى الآن ١٥ ديسمبر ٢٠٠١ وانا اشاهد شاشات التليفزيون والمحطات الفضائية ما يجرى للفلسطينين على يد قاتل (ماجورا هولاكو چنكيز خان القرن الحادى والعشرين ، آريل شارون) يجلس الآن على كرسى رئيس الوزراء فى اسرائيل من قتل وذبح وتشريد واحراق وهدم للمنازل وتجريف للأراضى الزراعية الفلسطينية واغتيال القيادات السياسية وتفريغ السلطة الفلسطينية من سلطاتها وحبس ياسر عرفات رئيس السلطة الفلسطينيه المنتخب من قبل الشعب الفلسطينى واغتيال القيادات الفلسطينيه والمدافعين عن التراب الوطنى وقلب الحقائق وخداع العالم كله بما فيهم الرئيس الامريكى (چورچ دبلو بوش) الابن

الذى اصبح يتحدث بلسان شارون ويضع المجاهدين الفلسطينين فى خانة الإرهابين ويلغى نضال نصف قرن من الزمان ويشطب على تاريخ امه بحالها بالقلم الاحمر ويقلب ميزان العدالة ويعطى للضمير العالمى اجازة بعد أن اصبح المغتصب للأرض والوطن وللديار وللنهر وللنبع وللبيت وهو صاحب حق واصحاب الديار هم الآن من المتمردين ومن الخارجين على النص الامريكى فقط باعتبارهم ارهابين يحق للإسرائيلين مطاردتهم وقتلهم واخراجهم من ديارهم فى ظل الحملة الامريكية على الإرهاب فى العالم كله .

ولقد قالت أم فلسطينيه تعليقاً على يحدث فى فلسطين (نحن نعيش فى ظل قصف متواصل للطائرات والدبابات والمدافع الإسرائيلية فقد فقدت ابنى الوحيد فى غارة إسرائيلية على منزلنا الذى تهدم ونجوت من الموت بأعجوبة آخر كلمات قالها ابنى قبل ان يموت يا أمى لاتبكى فلا وقت للدموع) .

ويخطئ من يتصور بداية ان شارون يعبر عن نفسه أو اننا نواجه شارون شخصياً . فشارون هو تجسيد لارادة الدولة الصهيونية (اسرائيل) فالشعب الإسرائيلى هو الذى اختاره طواعيه وعبر صناديق الانتخاب ومن هنا فإن المواجهة الحقيقية مع دولة اسرائيل التى تمارس ارهاباً عن اختياره لشارون وعن السماح له وبلا حدود فى محاولة اغتيال كل الشعب الفلسطينى اطفالاً وشيوخاً ونساء وشباب ورجالاً وقيادات حتى رمز هذا الشعب عرفات ، ورمز المقاومة يخضع لعنف شارون .

لكن شارون يطالب بهجرة اكثر من مليون يهودى الى ارض فلسطين خوفاً من التهديد الديموجرافى العربى لهوية اسرائيل والذى يمثله السكان الفلسطينيون فى الضفة الغربية وقطاع غزه (حوالى ٢ مليون نسمه) وجاء في الورقة التى

تسرب بعض مضمونها ان نسبة الولادة فى اواسط العرب فى البلاد تمثل ٤,٦ طفل لكل اسرة فلسطينية وهى ضعف النسبة لدى اليهوديات فى اسرائيل ٢,٦ طفل للمرأة اليهودية واليوم ٢٠٠١ يوجد لكل واحد عربى ١/٥ - ١,٢٥٠ مليون وربع عـدد عـرب فلسطين ١٩٤٨ داخل اسـرائيل يشكلون ١٨,٦٪ أو ٢٠٪ من السكان وخلال عشرين عام تكون نسبة العرب ١ الى ٣ ولمواجهة هذا الخطر الداهم العربى الفلسطينى تقدم المناقشون الذين كان فى مقدمتهم رئيس وزراء اسرائيل (نيتياهو) ورئيس جهاز المخابرات (الموساد) و٢٠٠ شخصية اسرائيلية من اهم القيادات السياسية والعسكرية والامنية والعلمية فى اسرائيل ولأن الاقتراح يعتمد اساساً على اقتلاع المواطنين العرب من ارضهم ومصادرة اراضى عربية اخرى لمنع اصحابها من البناء عليها ومصادرة اراضى عربية كل يوم وتوزيع السكان العرب بشكل متوازى على جميع اراضى الدولة وقد تطرق المناقشون فى التوصيات الى الزيادة الطبيعية للسكان الفلسطينين فى الضفة وغزه وحسب الدكتور (عوزى اراد) فإن التكاثر السكاني الفلسطينى فى القطاع هو الاكبر فى العالم إذ يبلغ ٤,٤٪ سنوياً ومن ثم فإن التفوق العددى حالياً ليهود اسرائيل .

فالرد عليه بأن هذا التفوق العددى على العرب الفلسطينين معرض دائماً للزوال فالفلسطينيون الذين يحملون جنسية اسرائيل حالياً سوف يصل عددهم إلى اربعة ملايين نسمة عام ٢٠٤٠ وبحساب الزيادة المتوقعة فى اعداد اليهود وفقاً للمعادلات الحالية فسوف تصل نسبة الفلسطينين الى جملة عدد سكان اسرائيل فى ذلك التاريخ الى ٤٠٪ اى اقل قليلاً من نصف السكان وبذلك سوف يكون من حق الفلسطينين وفقاً للعرف الدولى ليس فقط المطالبة نسبة من مقاعد الكنيست (يوجد حالياً ٢٠٠١ - ١٢ عضو عربى فى الكنيست) ولكن مقاعد فى مجلس

الوزراء (يوجد وزير بلا وزارة حالياً فى حكومة شارون) ومن هنا فإن اسرائيل التى نعرفها حالياً سوف نبدأ طريق الاختفاء (راجع كتابنا اسرائيل الى زوال - القاهرة ١٩٩٦) فى النصف الثانى للقرن الحادى والعشرين وذلك لأن هجرة المليون يهودى الروس التى دعمت الوجود الإسرائيلى فى فلسطين لم تتكرر مرة اخرى بل ان عودة بعضاً من لاجئ ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ الى اسرائيل مرة اخرى سوف تزيد النسبة العربية الحالية بما يعنى ان العرب الفلسطينين فى اسرائيل سوف يكون تعدادهم ما يقرب من نصف السكان ومن هنا فإن اسرائيل سوف تأخذ طريقها الى الزوال .

ان البعد السكانى الديموجرافى سوف يكون عاملاً قوياً فى إزالة اسرائيل اضافة الى عوامل داخلية وخارجية سوف تتعجل بنهاية اسرائيل من خريطة العالم مهما تكن مقومات بناء هذه الدولة .

لقد كشف استطلاع للرأى فى اسرائيل نشرته صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية ان ٧٠٪ من الاسرائيليين يؤيدون سياسة حكومة اريل شارون فى تصفية واغتيال كوادر الانتفاضة الفلسطينيه وقال ٧٠٪ ممن شملهم الاستطلاع ان هذه السياسة فعالة فى مكافحة ما وصفوه بالإرهاب الفلسطينى وانها تجنب اسرائيل خسائر فى الارواح للمواطن الإسرائيلى وبالتالى فهى مبررة اخلاقياً على حد زعمهم وهذا هو الشعب الإسرائيلى الذى عقدت معه بعض الحكومات العربية اتفاقيات سلام .

كذلك دفع (اقبجدور ليبرمان) وزير البنية التحتيه الإسرائيلى الحكومة الى معاملة مصر بوصفها دولة عدوة وقد سبق له التهديد بضرب السد العالى واعادة احتلال سيناء وزعم ان الرئيس حسنى مبارك يسعى الى تدمير دولة اسرائيل

خطوة خطوة . وقال لبير مان فى حديث لاذاعة الجيش الإسرائيلى ان مصر هى البلد الاكثر عداء لاسرائيل فى المجتمع الدولى ويجب معاملتها بوصفها الد الاعداء وقال ان مصر تعاملنا بطريقة تسئ الى كرامتنا الوطنية (لبير مان يهودى سوفيتى هاجر حديثاً الى فلسطين المحتلة وهو رئيس حزب اسرائيل بعاليا) .

ان الغابة السياسية التى نعيش فيها الآن مع بداية القرن الحادى والعشرين ومع احداث الثلاثاء الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وضرب واشنطن ونيويورك لاتعترف بالحقوق التاريخية ولكنها تتعامل مع الأمر الواقع الذى تفرضه القوة ، الحقوق التاريخية تعتمد على القانون ، والقانون دون قوة تفرضه مجرد وهم اما الامر الواقع فيمكن ان يبنى على انقاض الحق التاريخى إذا توافرت القوة لتحقيقه ذلك وحيث أن ما أخذ بالقوة لايسترد بغير القوة وهذا ما حدث فعلاً فى اغتصاب فلسطين من قبل الصهيونية العالمية للحق العربى الفلسطينى فى ارض فلسطين .

ومن هنا فإن هذه الدراسة التي تلقى الضوء على الماضى البعيد عن وطن الكنعانين فى فلسطين تعبر عن رؤيه مستقبلية للأجيال القادمة لإعادة الحق .

لأن الأجيال العربية القادمة سوف تعبر عن طموحاتها وتطلعاتها بصيغة اخرى ذلك لأنه ربما لايستطيع العرب تحقيق اٍمالهم خلال القرن الحالى ذلك لأنه لو تم تحديث المجتمعات العربية واصبحت قادرة على التحدى بقيادتها التاريخية فيمكن فى ذلك الوقت حل المشكلة الفلسطينية ذلك لأن فلسطين محتلة من طرف اجنبى كما يقول ذلك اليهودى التونسى (چورچ عمره ٨٦ سنة) ان فلسطين كلها محتلة من عكا الى إيلات ومن تل ابيب الى القدس .

ان ما يحدث الآن على ارض فلسطين ما هو إلا غزوة عسكرية استيطانية استهدفت اغتصاب الارض وطرد سكانها واستجلاب وافدين جدد من انحاء الكرة

الأرضـيـة لكى يتـمكنوا من البلد الذى طرد شـعـبـه . هذه الغـزوة مـارست بحق اصحـاب الارض اكثر من ثلاثين مذبحـة لترويع الفلسطينين وابادة اكثر من ٣٢٠ قرية ومدينة فلسطينيـة وعملت النخبة الحـاكمة العسكرية الإسرائيلية على تنشئة اجيال متشبعة بروح الكراهية والرفض الفلسطينين اصحـاب الارض استناداً الى نصوص مـقدسة ومـفاهيم توراتيه تعتبر إبادة اى شعب غير يهودى يعيش فوق الارض المقدسة بمثابة ام الفرائض بل عمدت تلك النخبة الى تلقين الاطفال اليهود منذ صغرهم ان قتل الفلسطينى امر عادى بل ان الفلسطينين ما هم إلا حشرات وثعابين عند البعض ومن ثم رفض الاعتراف بحقوقهم فى دولتهم المستقلة والعودة الى ارضهم التى طردوا منها .

لقـد رأى قـادة الحـركـة الصـهـيـونيـة فى القـتل ونشـر الرعب فى نفـوس الفلسطينين سـلاحـهم الامـضى وتشـتـيتـهم ودفـعـهم خـارج فلسطين وبعيـداً عنهـا وللقبول بما تريده الحركة الصهيونية وبرعاية البريطانيين والامريكان .

ومن ثم فـإن اسرائيل ومـا تقوم به فى ظل حكومـة شـارون هو ارهـاب الدولة الشـعب الفلسطينى وعلى ذلك فـإن إسـرائيل هى المصـدر الرئيـسى للإرهـاب فى الشـرق الاوسط والعـالم باجـمـعـه ، فإسـرائيل تمارس الإرهاب يومـيـاً ضد الشـعب الفلسطينى وهى دولة ارهابيـة لأنها تسـتـخـدم الدبابات والطائرات والصـواريخ فى قذف المدن الفلسطينية والاحياء المدنية لقتل ابناء الشعب الفلسطينى ورغم ذلك لم تصدر من واشنطن وسـائر القوى الكبرى أية ادانة لسياسـات القمع والإرهـاب التى تمارسـها اسرائيل الدولة فقد لجأ العدو الصهيونى لسلاح التصفيات والاغتيالات بوحشية وغيره من الوسـائل الأخرى الذى لم تمـارسـه دولة من دول العـالم ومـا يدل ذلك إلا على ان اسـرائيل ليـست سـوى عـصـابة تتـصـرف بعـقليـة عـصـابة كـبـيـرة التسليح مدعومة سياسياً وعسكرياً ودبلوماسياً من الولايات المتحدة الامريكية .

ان الاغتيالات التي يمارسها الموساد والمستعمرين والشينفيت والاستخبارات ، وجيش الدفاع الذى تنافس الاجهزة الاستخبارية فى تنفيذ جرائم الاغتيال وهو ما لم يمارسه جيش فى العالم من قبل مما يقدم الدليل على ان اسرائيل عصابة تتصرف بعقلية ارهابية وتسلك سلوك العصابات ، بل ان اسرائيل تقوم بما تفعله من المجازر والعنف والإرهاب المنظم للدولة العنصرية الوحيدة فى عالمنا المعاصر مؤكدة انها فوق القانون . انها تمثل امتداد لسلسلة الافعال الإرهابية التى يندى لها جبين البشرية السوية والتى ارتكبتها عصابة (الهاجانا الارجون وغيرها من المنظمات الإرهابية والتى بدأت فى عشرينات القرن الماضى وليس حماس أو الجهاد أو حزب الله) وكانت افعالها السوداء تطبيقات منهجية منظمة للإرهاب الاسود الذى قاد الى انشاء دولة عنصرية استيطانية استعمارية خارجة على الاعراف والقوانين الدولية التى تلتزم بها المجتمعات السوية بشراً وسلوكا .

ان ما يحدث فى الاراضى الفلسطينية المحتلة على يد اسرائيل يمثل مظاهر افراط الدولة فى اعمال الإرهاب فاسرائيل دولة تقوم على فكرة مصادرة الاراضى الفلسطينية وتسليمها للمستعمرين اليهود وهى لاتتوقف عن هدم منازل الفلسطينين وتخريب ارضهم انها صورة من ابشع صور التطهير العرقى انه ارهاب الدولة التى تطبق بشكل منظم العقوبات الجماعية واعمال القتل والإبادة ضد شعب اعزل . هذه الدولة ترفض الاعتراف بحقوق الفلسطينين وتعطى لنفسها حق اغتيال القيادات السياسية الفلسطينية وتعلن عن ذلك بمنتهى الاستهانة بالاعراف الدولية . هذا الإرهاب الاسرائيلى ليس جديداً فقد احترفته العصابات الصهيونية واستخدمت كل وسائله قبل قيام الدولة كما احترفه جيش الدفاع

الإسرائيلى بعد ذلك ، لقد كان الإرهاب الإسرائيلى دائماً هو الأداة الاساسية التى استخدمت ضد الشعب الفلسطينى لاقامة الدولة العبرية مغتصبة من اصحابها الشرعيين العرب .

وهكذا كانت الدولة العبرية الصهيونية مغتصبة كل حقوق الشعب العربى الفلسطينى الكنعانى فى فلسطين بل تحاول بكل الوسائل القذرة إبادة هذا الشعب الذى قدم للعالم حضارة راقيه تمثلت فى اللغة الكنعانية ثم الفنيقيه والاراميه التى اخذ عنها العالم اللغة اليونانيه واللاتينيه ثم تفرعت منها اللغات الاوربيه الحديثة وهى يرجع لها الفضل فى انشاء الابجدية ذات الاثنين والعشرين حرف من الفنيقية والاراميه وهكذا اسدى الكنعانيون حضارة وثقافة راقية يعترف بفضلها العالم المعاصر .

فكانت تلك الدراسة عن الشعب الكنعانى فى القديم شعب وحضارة وتاريخ فى فلسطين يمتد إلى سبعة آلاف سنة وتلك حقيقة شعب فلسطين القديم .

دكـتـور

عبدالفتاح مقلد الغنيمى

الملك فيصل - الهرم

فى يوم الاحد

أول ايام رمضان المبارك (١شوال ١٤٢٢ هـ - ١٦ ديسمبر كانون اول ٢٠٠١).

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من اختارته العناية الإلهيه ليكون خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله النبى العربى القرشى الهاشمى الذى انزل الله على قلبه قرآناً عربياً هادياً للبشرية الى طريقها القويم إلى ان يرث الله الارض ومن عليها والذى تكسب انواره القرآنيه كل يوم ارضاً جديدة واقوام جدد ينطون تحت لواء هذه الرسالة الخالدة وعلى آله وصحبه وذريته ومن سار على نهجه فى ظل الطغيان العولمى ومحاولة اقتلاع جذور الحضارة الإسلامية الى ان ينصر الله الحق ويظهر دينه الى يوم العالمين .

أما بعد

فهذه دراسة عن الكنعانيون وتاريخ فلسطين القديم ودور الشعب الكنعانى فى فلسطين العربية منذ اكثر من اربعة آلف سنة قبل الميلاد بل لا اغال فى القول إذا قلت ان الكنعانين فى فلسطين منذ ثلاثة ملايين سنة وقبل ظهور القبائل العبرية الرعوية البدوية باكثر من ملايين السنين اردت ان اضعها بين يدى القارئ العربى وكل قارئ تصل الى يديه هذه الدراسة التى تغوص فى اعماق التاريخ السامى العربى الكنعانى وذلك صداً لكل بغى وتجبر يدور على ارض فلسطين من قبل العصابات الصهيونية الإرهابية بقيادة چنكيز خان ، هولاكو القرن الحادى والعشرين آرييل شارون وعصابته من حزب الليكود اليمينى الإرهابى المتطرف

الذى مهما فعل من كل اساليب القهر والإهاب فإنه لامحالة سوف يزول وسوف تزول اسرائيل ولن يكون على ارض فلسطين إلا اهلها احفاد الكنعانين الجبارين الذين قالوا عنهم اصحاب موسى الاقدمين اننا لن ندخلها ابداً ما داموا فيها لأن فيها قوماً جبارين اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون .

كذلك وليدرك القارئ الكريم ان الشعوب الإسرائيلية التى تعيش اليوم على ارض فلسطين المحتلة والذين قدموا من اكثر من تسعين دولة ويتحدثون اكثر من خمسة وسبعين لغة ليس لهم ادنى صلة على الإطلاق باليهود الاقدمين ابناء ابراهيم أو اسحق أو يعقوب أو الاسباط الاثنى عشر أو موسى بن عمران أو داود أو ابنه سليمان أو الذين جاءوا بعدهم . لكن هؤلاء شئ ومن يغتصب فلسطين شعب آخر شعوب تركيه سلافيه مغوليه آريه جاءت من قبائل الخزر ما بين بحر قزوين وبحر الاورال وبحر القرم (من اين جاء اكثر من ثلاثة ملايين يهودى روسى ... هم سلالة الذين يحتلون حالياً ارض فلسطين) (راجع كتابنا شعوب اسرائيل وخرافة الانتساب للسامية - القاهرة - مكتبة العربى ٢٠٠١) .

ان هذه الشعوب التى تعيش على ارض فلسطين المحتلة حالياً هى شعوب بولنديه روسيه ، أوكرانيه ، سوڤيتيه ، رومانيه ، بلغاريه ، لتوانيه وهى من الشعوب التى كانت تسكن روسيا وشرق اوربا وتتحدث اللغة البيديش Piddish والتى تعتنق الديانة اليهودية وليس لها ادنى صلة بالسامية وقد هاجرت من آسيا ولاتنتمى اطلاقاً للجيش السامى وهم سلالة الشعب الوثنى الذى كان يطلق عليه شعب الخزر والذى طرد من آسيا فرحل الى شرق اوربا مع الشعوب المنغوليه التى وصلت حتى آسيا فى القرن الاول لميلاد المسيح ولم يعتنق شعب الخزر الوثنى

الذى لاينتمى الى الجنس السامى والذى ينحدر من سلالة القبائل التركيه الآسيوية ولم يعتنق الديانة اليهودية إلا بعد سبعة قرون من هجرته الى اوربا ولم يعرف هذا الشعب طوال تاريخه الطويل مع القبائل المنغولية قبل القرن الاول الميلادى إلا باسم الخزر ، وقد اضطر هذا الشعب بعد سلسلة من الهزائم والحروب التى نشبت بينه وبين القبائل المنغوليه إلى الرحيل نحو الغرب ففى القرن الاول الميلادى تقهقرت قبائل الخزر الى اوربا سالكه الطريق الذى ينبع شمال بحر قزوين الى شرق اوربا تسكنه شعوب مسالمة ووجدت انه من السهل غزو هذه الشعوب التى كانت مسالمة .

أما هؤلاء الغزاه من قبائل الخزر فقد جلبوا معهم الى شرق اوربا من وطنهم الآسيوى طبائع الحروب التى كانت تتميز بها القبائل المنغولية فإنهم سرعان ما اكتسحوا شرق اوربا ولم تكد تمضى سبعة قرون حتى كانوا قد احتلوا منطقة تقع بين جبال الاورال شرقاً ووسط اوربا غرباً وشمال البحر الاسود جنوباً وقد استقر الخزر فى هذه المنطقة واسسوا مملكتهم الوثنيه والتى اشتبكت فى حروب مع المسلمين شرقاً والمسيحين غرباً فقد كان مسلمو الدولة الإسلامية يرغبون فى ان يهدوا بولان Bulan حاكم الخزر الى الديانة الإسلامية كما كان مسيحو الغرب يرغبون فى ادخاله المسيحية ولكن اعتنق هذا الملك الدين اليهودى وهكذا يقرر التاريخ كيف اصبحت مملكة الخزر الوثنية دولة يهودية فى نهاية القرن السابع الميلادى واصبحت اليهودية الدين الرسمى لشعب الخزر .

وقد ثبت تاريخياً ان الملك (بولان) بعد اعتناقه اليهودية قد ادخل الحروف العبرية كاساس للغة التى يتكلمها الخزر وتلك اللغة جلبوها معهم إلى شرق اوربا

من اسيا واللغة التى كان يتكلمها الخزر قد تطورت مع الزمن حتى اصبحت اللغة المعروفة باسم اللغة (البيدشيه) وهذه اللغة هى لغة سلالة الخزر والبيدشيه لغة لاتمت بادنى صلة تاريخية أو دينية الى اليهودية فهى لغة تطورت فى شرق اوربا .

وقد انتشرت اليهودية بين شعوب تنتمى الى كل الاجناس المعروفة ففى كل جنس كانت توجد اقلية يهودية وفى خلال تلك المدة الف وخمسمائة عام قبل ميلاد المسيح كانت شرق اوربا الذى غزاها شعب الخزر فى القرن الاول الميلادى مجهولاً لباقى اجزاء العالم فهو من الوجهه العلمية فى علم الاجناس شعب غير سامى بل ينتسب الى سلالة القبائل التركيه التى كانت تسكن اواسط آسيا ولايمكن على الإطلاق ان تكون هناك صلة بين هؤلاء الخزر والقبائل السامية التى كانت تعيش فى الاماكن المقدسة فى فلسطين قبل اعتناق الخزر للدين اليهودى وهكذا كانت كل شعوب اسرائيل الحالية سلالة خزرية تركية مغوليه سلافيه اريه . وقد غزا الخزر بعد رحيلهم من أسيا إلى اوربا نحو خمس وعشرين شعباً غير سامى واختلطوا مع هذه الشعوب عن طريق الفناء فى خصائصهم الجنسية والزواج ، اذن كل هذه الشعوب التى قدمت الى فلسطين المحتلة من سلالة خزريه اختلطت مع شعوب روسيا وشرق اوربا وان الخزر الذين من اصل اسيوى تركى غير سامى ليس لهم ادنى حق فى العيش فى فلسطين المحتلة بل يجب طردهم مهما تكن الظروف ففى نهاية القرن العاشر الميلادى اشتبكوا وهم اليهود دينياً مع القبائل الروسية التى كانت تسكن شرق اوربا شمال مملكة الخزر فانهزموا امام قوات الامير (سوتبزوف) Swatizov قائد القوات الروسية وكانت تلك الهزيمة تعنى هزيمة الخزر فغزا الروس جميع الاراضى الخزرية واصبحوا رعايا المملكة

الروسية واختفى اسم مملكة الخزر ولكن بقى شعب الخزر تحت السيادة الروسية وظل الخزر داخل نطاق الدولة الروسية واستمروا فى جنوب روسيا متمسكين بثقافتهم الخزرية ولغتهم البيديه وديأنتهم اليهودية .

فلما انهزمت روسيا فى حروبها مع جيرانها الغربيين ثم نشأت بعض دول كبيرة فى شرق اوربا وشهد التاريخ سقوط الدولة الفالسيه والتوانيه والبولنديه وغيرها من الشعوب التى كانت تقع على حدود روسيا وكانت هذه الدول تضم داخل اراضيها مجموعات من شعب الخزر الذى كان قد استقرر فى جنوب روسيا (ثلاثة مليون روسى خزرى يهودى + اكثر من ٦ مليون يهودى من شرق اوربا) وان من نتيجة تغير الحدود السياسية توزع شعب الخزر الذى كان يتزايد عدده على الحدود السياسية فكانت اجزاء تضم الى روسيا واخرى الى غاليا وليتوانيا وبولندا ورومانيا والنمسا وغيرها من دول شرق اوربا وهذا يقطع بأن كل شعب الخزر قد اقام فى شرق اوربا قبل ان تنشأ دول شرق اوربا الحالية وتاريخ اوربا الحديث يدل على ان سلالة الخزر قد وزعت على دول شرق اوربا المختلفة قد حاولت ان تتحد مرة اخرى لتكون دولة يهودية ولكن تلك المحاولات كانت تمنعها دول شرق اوربا .

وقد دل تاريخ الفترة بين القرن العاشر والقرن الثانى عشر الميلادى على ان الخزر الذين تشتتوا بين دول شرق اوربا قد اتخذوا الديانة اليهودية كقومية وثقافة ودين ومن هنا فقد ظل الصراع بين الروس والخزر مستمراً عشرة قرون ، اشترك الخزر اثناءها فى عدة ثورات لإعادة انشاء دولة يهودية ، وفى عام ١٩١٩ رغب يهود بولندا فى ان تكون لهم أمه يهودية فى تلك الدولة وتضم الشعوب التى تنتمى الى هذه القوميات والتى اعتنقت اليهودية وتنحدر من سلالة الخزر الآسيويه والتى

لاتنتمى الى الاصل العربى السامى والتى تتكلم اللغة البيديه حاولوا تجميع الشعوب لتكوين دولة الخزر اليهودية وهذا هو السبب الذى حدا بالبولنديين واللتوانيين والاوكرانين والرومانين والروس والنمساويون الذين يتكلمون اللغة البيديه والذين هاجروا الى اقطار الارض المختلفة الى تأييد الحركة الصهيونية والهجرة الى فلسطين لانشاء دولة اسرائيل ولذلك استطاع الصهيونيون ان يحصلوا من هؤلاء اليهود على كل دعم بعد ان انهارت دولة الخزر فى القرن التاسع الميلادى .

لكن هذا لايمنع الجزم بأن هناك عدداً كبيراً من معتنقى الديانة اليهودية فى دول اوربا الغربية لايمتون بصلة جنسية أو صلة دم أو تاريخية الى تلك الشعوب التى تتكلم اللغة البيدشيه والتى تعيش فى شرق اوربا وتنحدر من قبائل الخزر الآسيوية وهكذا هاجرت شعوب روسيا اليهودية وشرق اوربا الى فلسطين المحتلة وهم الذين ينحدرون من قبائل الخزر الآسيوية غير السامية والذين يتكلمون اللغة البيديه لكى يسلبوا من الفلسطينين احفاد الكنعانين حقهم التاريخى والحضارى والثقافى والعمرانى فى ارض فلسطين وطنهم القديم ووطن اجدادهم ولكى يكون الصراع الذى يدور حالياً على ارض فلسطين العربية منذ اكثر من سبعة آلاف سنة وبين عصابات الشعوب الخزرية الذين قدموا كغزاه لكن لن يدوم لهم الحال فى فلسطين مهما كانت كل الظروف والاحوال فى صالحهم فالزمن كفيل بعودة الحق الى اصحابه مهما طال الزمن .

وقد قسمت تلك الدراسة الى سبعة فصول كل فصل يتمم الفصل الذى يسبقه حتى تكون الدراسة فى شكلها الحالى تمثل وحدة متكاملة لاينفصل اى فصل عن الفصول السابقة له أو اللاحقه عليه .

وقد تناولت فى الفصل الاول بعنوان عروبة فلسطين منذ خمسة آلاف عام قبل الميلاد . وقد تحدثت فى هذا الفصل عن حركة القبائل العربية وهجرتها من الجزيرة العربية فى ذلك الزمن السحيق الذى يعود الى ما قبل العصر الحجرى القديم وكيف تحركت القبائل العربية فى حركة شبه دائريه حيث كانت تصل غالباً الى بلاد الرافدين ثم تتحرك غرباً وصولاً الى بلاد الشام وجنوباً حتى فلسطين وكيف ان البدو العرب كانوا يندفعون الى هذه المناطق نحو فلسطين قبل آلاف السنين وكيف انهم ظهروا كقبائل سامية يسكنون فى فلسطين وبلاد ما بين النهرين وكل منطقة الهلال الخصيب وكيف ان هناك قبائل عربية كثيرة قد استوطنت فلسطين ولكن اهمها واقدمها واكبرها عدداً الكنعانيون والذين تفرعت منهم القبائل العربية الاخرى التى حواها صلب الدراسة وكيف ان اول انسان تحرك على ارض فلسطين منذ خمسة الاف سنة بل منذ ثلاثة ملايين نسمة كما ذكر ذلك المفكر الفرنسى جارودى قبل الميلاد حيث العصر البرونزى واستقر فى فلسطين منذ عصور ما قبل التاريخ كان سامياً عربياً كنعانياً ثم يبوسيا فنيقيا اراميا عموريا وان حركة الهجرة تعود الى عصور سحيقة فإن صلات الدم والنسب والسلالة والعرق كل ذلك مرتبطاً بالجزيرة العربية وفلسطين يعود الى عصور قديمة مما يدعم القول بأن العروبة فى فلسطين تعود الى عهود سابقة لوصول الكنعانيين منذ اربعة أو خمسة آلاف عام قبل الميلاد وكيف ان موجات الهجرة المتعاقبة الى فلسطين وبلاد الشام وبابل وكلدانيا حيث اختلط هؤلاء العرب وسكنوا فلسطين وما جاورها من اقطار وصبغوا تلك الانحاء بالصبغة العربية منذ الأزمنة القديمة وظل الكيان العربى فى مراحله التاريخية ممتداً حافظاً لفلسطين عروبتها وشخصيتها

مع ابناء عمومتها من الاكادنين والكلدانين والبابلين والاشورين والمصرين والاراميون والعمونيون والادامين والتدميرين وغيرهم من القبائل العربية الاخرى .

ثم كان الفصل الثانى برأس موضوع هو الكنعانيون أول من سكن فلسطين (كنعان) : وفى هذا الفصل تحدثت عن كيف ان الفلسطينين هم احفاد الكنعانين الذين عاشوا فى فلسطين وكيف ان كتب التاريخ والآثار تذكر أن الفلسطينين الكنعانين كانوا فى فلسطين خلال الأزمنة القديمة وكيف انهم اول شعب عربى سامى سكن فلسطين باتفاق كل الآراء كيف انهم قدموا الى ارض فلسطين من الجزيرة العربية وكيف انهم بعد ان امضوا اكثر من ثلاثة آلاف عام فى فلسطين تعرضوا لهجرات عربية سامية من العمورنين والارامين وان هذه القبائل السامية عندما قدمت الى فلسطين وجدت الشعوب الكنعانية متوطنه هناك ووجدت حضارة متقدمة ومزدهرة فى هذه الارض . وهكذا نجد الحضارة الكنعانية مزدهرة فى فلسطين وغير فلسطين شمالاً كذلك تعرض الكنعانيون لهجرات عربية كانت هى القبائل الفالستيه الذين سكنوا الساحل وقدموا من الشمال عن طريق سوريا واسسوا خمس مدن كل مدينة تشكل امارة واختلطوا معهم وهم الذين أدخلوا صناعة الحديد لكنهم ذابوا فى الحضارة الكنعانية واللغة الكنعانية والثقافة الكنعانية وذابوا فى البلاد .

ثم كان الفصل الثالث من هذه الدراسة برأس موضوع هو "الكنعانيون وتأسيس القدس (يبوس) عاصمة لهم : وفيه تحدثت عن كيف ان المدينة يبوس (القدس) قد اسسها الملك (ملكى صادق) واتخذها عاصمة له وهو من نسل يبوس بن كنعان. وكان ملكاً على المدينة وانهم اصحاب الارض وانها

ذكرت فى النصوص المصرية القديمة فى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد وكذلك وردت فى رسائل تل العمارنه وكان اليبوسيون قد سيطروا منذ ازمنة قديمة على التلال المرتفعة للمدينة القديمة وشيدوا على أكمتها الجنوبية جبل صهيون لحمايتها والدفاع عنها . وقد عرفت المدينة باسم سالم ، وشالم وهو اسم ملكهم (سالم اليبوس) الذى زاد فى بنائها واقام تحصيناتها وكان اول من اسسها وعمرها وجذب اليها السكان من كل انحاء كنعان هو احد ملوك اليبوسين ومليكا صادق ، الذى عرف عنه انه كان محباً للسلام ومن هنا عرفت المدينة باسمها الكنعانى (اورسالم) اى مدينة السلام كما ذكرت فى كتب العهد القديم وتشير الواح رسائل تل العمارنة الى ان (عبيد حيبا) حاكم يبوس قد وضع نفسه تحت حماية فرعون مصر (تحتمس الاول) لحمايته ودولته من غارات القبائل البدوية وكذلك خضعت (يبوس) القدس لفراعنة مصر فى عهد تحتمس الثالث واقام عليها حاكماً من ابناء مصر .

وهكذا فإن اليبوسيون هم الذين استوطنوا بها وعمروها وشيدوا بها كل ما يحتاجون إليه من مبانى واحاطوها باسوار عالية ودعيت بهذا الاسم نسبة الى زعيمها الأول (يبوس بن كنعان) وقد ظلت المدينة فى ايدى الكنعانين اليبوسين طوال خمسة عشر قرناً هم اصحاب السيادة السياسية والدينية على المدينة ورغم احتلال القبائل البدوية لفترة ٧٣ سنة (١٠٠٠-٩٢٧ق.م) إلا ان هذا الاحتلال لم يخرج البلاد الكنعانية عن عروبتها ولم تعط بأى حال من الاحوال حقاً تاريخياً لهذه العناصر فى فلسطين حيث ظل الكنعانيون سكان القدس ولم يتم طردهم وإن كانوا قد خضعوا لسياسة داود وابنه سليمان فترة قصيرة جداً من الزمن .

وكان الفصل الرابع برأس موضوع هو العلاقات الكنعانية - المصرية القديمة : وفى هذا الفصل كان الحديث عن قدم العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بل والدينية بين كنعان ومصر منذ عهد الفراعنة الأوائل فى الاسرة الرابعة وكيف اقام الفراعنة نقطاً حصينه فى وادى الطميلات المؤدى الى فلسطين وكيف وجدت كثيراً من الآثار المصرية فى فلسطين وسوريا فى اوائل الدولة القديمة وكذلك فى عهد الملك بيبى الاول من ملوك الاسرة السادسة وكيف اثبتت قبور ابيذوس فى سوهاج عن وجود صلات تجارية كانت قائمة بين الكنعانين سكان فلسطين والمصريين وكيف وجدت نقوش السفن التى كانت قادمة من كنعان فى عهد الملك سنفرو من ملوك الاسرة الرابعة (حجر باليرمو) وكيف تسربت عبادة الشمس قادمة من كنعان الى مصر منذ عصر الاسرة الرابعة وكيف بدأ المصريون يقيمون معابد للشمس وكذلك اثرت الحضارة المصرية القديمة فى بلاد الساحل السورى الفنيقى الكنعانى وكيف تطورت هذه العلاقة تطوراً عظيماً فى عهد الدولة الحديثة الاسرة الثامنة عشر على وجه خاص وفى عهد تحتمس الثالث بصفة خاصة وكذلك فى عهد الأسرة التاسعة عشر فى عهد الرعامسة وكيف ان هذه العلاقات كانت فى صورة وحدة تجمع هذه البلاد فى دولة واحدة وان ذلك لاينفى ان هناك علاقات قوية ايضاً فى عهد الدولة الوسطى وما بعد عهد الاسرة العشرين وكيف ان هذه العلاقة قد تطورت وتبادل الطرفان المصالح المشتركة وكيف اقام المصريون فى هذه البلاد اقامة دائمة كسفراء لمصر أو قوات عسكرية وكيف ان العواصم المختلفة المصرية (طيبه ، منف، يرعميس) كانت تضم احياء خاصة للكنعانين وكيف انهم استطاعوا بناء مدينة خاصة بهم ربيب استطاع احد الامراء

الكنعانين حكم مصر فى فترة الضعف المصرى وكيف ان رمسيس الثانى انهى هذا الحكم الكنعانى فى مصر والذين يطالعون صلب هذا الفصل يجدون الكثير والكثير عن تطور هذه العلاقة وكيف افردت فصلاً خاصاً عن العلاقة الكنعانية المصرية في عهد تحتمس الثالث لما لها من دلالة خاصة على توطيد النفوذ المصرى ليس فى كنعان فقط ولكن فى بلاد الشرق الادنى القديم وصولاً الى شمال سوريا وشاطئ نهر الفرات وبذلك يكون هذا الفصل قد اعطى صورة تامة عن عمق العلاقات المصرية العربية القديمة منذ عصور ربما عهد الاسرات حيث حركة الهجرة والتبادل التجارى والثقافى والسكانى فكان هذا الفصل هو قلب الدراسة .

ثم كان الفصل الخامس يحمل رأس عنوان مآثر الكنعانين الحضارية فى فلسطين : وقد تناولت فى هذا الفصل دراسة الجوانب الحضارية المختلفة التى تركها الشعب الكنعانى على ارض فلسطين وكيف قدم الى هذه الديار وهو يحمل ملامح حضارية سامية ثم كيف تطورت هذه فى الثقافة والدين والاقتصاد والعمران والمنشآت الآخرى وكيف يرجع لهم الفضل كل الفضل فى تعريف العالم صناعة البرونز واقامة المدن الكبرى وبناء اسوار عالية حولها وكيف تبادلوا هذه المعالم الحضارية مع من حولهم من شعوب مجاورة وكيف استعادوا موقعهم بين القوى الكبرى المعاصرة لها مصر جنوباً والحثين شمالاً والبابلين شرقاً وكيف طوروا لغتهم واخترعوا الابجدية الحرفيه المكونة من اثنين وعشرين حرفاً وكيف تبادلوا المنافع مع جيرانهم وكيف تركوا بصماتهم الحضارية على اوجه النشاطات المختلفة من زراعة وصناعة وعمارة وثقافة وكيف أن آلهتهم قد عبدت فى سوريا والعراق ومصر وتأثرت بها القبائل البدوية التى قدمت فيا بعد الى

فلسطين وكيف ان الكنعانيين قد كان لهم فضل معرفة العالم للكتابة . وهكذا كانت المدنية الكنعانية كما اشار عنهم الباحثون وكما دلت عليها الكشوف الاثرية ان هذا الشعب العربي السامي الذى عرف العالم صناعة البرونز وجاء احفاده الفلسطينين ليكون لهم فضل اختراع استعمال الحديد ولكن بالاضافة الى الحضارة الكنعانية المادية كانت هناك جوانب ثقافية ومعالم نهضة فى مختلف الفنون كالأزياء والادوات المنزلية والاقماش والموسيقى والعبادة وغيرها من اشكال الحضارة الكنعانية التى تدمغ بالواقع المحسوس الدور الحضارى الذى لعبه الكنعانيون على ارض فلسطين منذ اربعة الاف عام .

وجاء بعد الفصل الخامس الفصل السادس بموضوع الهكسوس وتوطنهم فى كنعان : وفى هذا الفصل كان البحث عن الهكسوس واصولهم العرقية وما ذكره الباحثون عن الاختلاف فى اصولهم العرقية والجنسية وهل هم ساميون ام اخلاط من عناصر مختلفة وقد ذكر ذلك فى صلب البحث وان كان الاتفاق على انهم ساميون اختلطوا مع غيرهم من الشعوب المختلفة فى المنطقة أو خارجها لاسيما العنصر الآرى.

وكيف انهم قدموا الى مصر فى فترة ضعف الحكم المصرى للبلاد وانهم قدموا من فلسطين وربما شمالاً بعد ذلك وكيف انهم استخدموا العجلات الحربية التى تجرها الخيول مما يعطى الدليل على انهم ليسوا ساميين لأن السامين لم يعرفوا استخدام الخيول أو العجلات الحربية فى القتال وكيف انهم لابد قد استقروا فترة من الزمن قبل دخولهم مصر وكيف انهم استقروا اكثر من (١٥٠ سنة) وتم طردهم على يد احمس الذى فقد ابيه سقنن رع واخيه كاموس من قبله

في القتال وكيف انه صردهم في ارض فلسطين وانتصر عليهم في معركة شاروحن بعد ان حاصر المدينة ثلاثة اعوام وكيف انهم اختلطوا مع الشعب الكنعانى فى فلسطين واندمجوا معه وتطبعوا بالطابع العربى الكنعانى واشتركوا معهم فى الدفاع عن البلاد ضد الهجوم الفرعونى المصرى وظل نفوذهم قوياً فى فلسطين حتى عهد تحتمس الثالث ومن ثم لم نعد نسمع عن اى دور سياسى أو عسكرى لهم ويبدوا انهم ذابوا نهائياً فى البلاد لأن وجود دولة قوية تحيط بفلسطين يمنع تسربهم الى هذه البلاد التى لابد انها حالت دون تشكيل اى اخطار من جانبهم ولذا كان هذا الفصل ضرورياً لأنه يمثل اضافة للشعب الكنعانى الذى اختلطت به كثيراً من الشعوب السامية وغير السامية الأخرى فى فلسطين .

ثم كان الفصل السابع برأس موضوع الفنيقيون سكان الساحل اللبنانى : وكان هو الفصل الأخير فى هذا البحث وقد كان ضرورياً لكنه كان مختصراً ومركزاً حيث ان هذا الفصل يكون دراسة مستقلة فى كتاب لكن ضرورة البحث اقتضت ان يكون هو نهاية المطاف فى هذه الدراسة نظراً لأن الفنيقين هم من سلالة الكنعانين وجزء لايتجزأ منهم وكيف انهم انفصلوا عنهم وتحركوا الى الساحل الشمالى وان كانت هناك بعض الآراء تذكر انهم قدموا الى الساحل عبر فلسطين من البحرين أو نجد ومهما تكن الاقوال فإن الفنيقين لعبوا دوراً عالمياً وليس اقليمياً فى ذلك الوقت من العصور القديمة وقبل القرن العشرين قبل الميلاد حيث كانت حركة التجارة التى يقيمون بها سبباً فى ازدياد شهرتهم ومعرفتهم بالعالم حيث علموا العالم الحروف الابجدية واللغة المتطورة من الهيروغلوفية الى الكنعانية الى الفنيقية ثم الارامية ثم اليونانية واللاتينيه وهذا فضل لاينكره احد .

والذى يطالع صلب البحث يجد ما يشبع رغبة فى الاستزادة العلمية وكيف انهم تحركوا ووصلوا ساحل شمال افريقيا واسبانيا بل حتى المحيط الاطلسى وصولاً إلى اوربا .

ثم جاء بعد الفصل السابع الخاتمة وفى عصارة الدراسة بل وفيها يجد القارئ خلاصة لهذه الفصول السبع فى صورة مركزه تمثل ما تم التوصل إليه من نتائج علمية فى هذه الدراسة ثم جاءت بعد ذلك قائمة المراجع العربية والمترجمة وباللغات الاجنبية وهى العمود الفقرى للدراسة حيث الاعتماد عليها فى ظهور هذه الدراسة بهذه الصورة بين يدى القارئ الكريم الذى هو صاحب القول الفاصل فى الحكم على كل ما جاء بها من معرفة وعلم وارجو ان يغفر لى القارئ الكريم عدم الإلمام بكل ما يحيط بهذا الموضوع .

والله العلى القدير اسأل ان اكون قد استطعت سد فراغ فى المكتبة العربية لدراسة تاريخ فلسطين القديم أو اضفت اضافة ربما لم اعلم من قبل ان احداً قد سبقنى فى دراسة هذا الميدان والله العلى القدير اسأل ان يكون ذلك صدقه جارية وعلم ينتفع به يوم يرحل الراحلون عن دنيا الهوى والحضارة المتردية الى عالم الآخرة حيث الثواب والعقاب من الله .

دكتور

عبدالفتاح مقلد الغنيمى

ثانى ايام رمضان المبارك الاثنين (٢شوال ١٤٢٢هـ - ١٧ ديسمبر كانون اول ٢٠٠١) .

الفصل الأول

عروبة فلسطين منذ خمسة آلاف عام

قبل الميلاد

يمثل العصر الحجرى القديم Paleolithic الذى يعــود ربما الى الالف السادسة أو السابعة قبل الميلاد ، أول دور ظهر فيه الإنسان العاقل Homoso-plens بل ربما يكون قد ظهر قبل ذلك بوقت طويل وإن دل ذلك على شئ فعلى فهو ان الإنسان العاقل كان ظهوره قبل العصر الحجرى القديم وانه لابد قد بلغ شائناً من التقدم ويدل على ذلك وجود بقاياه فى منطقة جنوب غرب القارة الآسيوية .

أما فى العصر الحجرى الحديث Neolithic وهو اول عصر استقر فيه الإنسان واعتمد على الزراعة والرعى بدلاً من الصيد والجمع وهكذا كان ظهور العنصر السامى فى بلاد ما بين الرافدين وبلاد الشام وهكذا كانت الهجرات من الجزيرة العربية الى بلاد آسيا وخاصة من بلاد ما بين النهرين ومن البلاد التى كان يطلق عليها قدماء المصريين اسم بلاد بونت وهى تشمل جنوب الجزيرة العربية.

وقد استقر الرأى العلمى على حقيقة ثابتة هى ان الحضارتين المصرية والعراقية والاشوريين ، البابليه والكلدانيه وغيرها من حضارات بلاد الرافدين ، هما اقدم حضارات العالم وان هاتين الحضارتين كانتا تلتقيان فى سوريا وقد ادى ذلك الى حدوث هجرات متتالية الى جنوب بلاد الشام حيث فلسطين منذ اكثر من

سبعة آلاف سنة قبل الميلاد وتطورت الحياة الاجتماعية فى تلك المناطق تطوراً طبيعياً وقد تمكن سكان تلك المناطق القديمة من الوصول الى درجة من التقدم جعلتهم يسبقون غيرهم من سكان العالم المعاصر لهم .

ومن الثابت وفقاً لابحاث الاثرين ان جميع شعوب الشرق القديم كانت على صلة ببعضها ومعنى هذا ان الحضارة قد بدأت فى العراق الذى كانت تتسرب إليه الهجرات من الجزيرة العربية ثم غرباً إلى بلاد الشام منذ الألف الرابعة قبل الميلاد وان الحضارة قد نشأت منذ الالف الخامسة حوالي ٥٠٠٠ق.م . وهو يقابل فى مصر العصر التاسى نسبة الى قرية ديرتاسا بمركز ساحل سليم (البدارى سابقاً) محافظة اسيوط بصعيد مصر .

وهكذا انحدرت قبائل عربية تدفقت فى افواج جديدة منذ اكثر من اربعة آلاف سنة بل قبل ذلك بالف سنة وعمرت هذه القبائل تلك المناطق لاسيما انه كان لزاماً على سكان الجزيرة العربية ان ينتقلوا بين موطنهم الذى تحول الى صحراء جرداء الى الاقاليم الغنية بالمرعى وهكذا كانت الارض التى سكنها الإنسان العربى خلال بضع آلاف من السنين فى جنوب شرقى البحر الابيض المتوسط من النيل غرباً الى ما بين النهرين شرقاً ففى هذه الارض شقت انهار (النيل والاردن والعاصى والفرات ودجله) وغيرها من الانهار الاخرى الصغيرة مجاريها وتكونت وديانها . ومن هنا فإن هذه المنطقة قد تم فيها تكوين مصر والجزيرة العربية وفلسطين وسوريا وبين النهرين تجمع بينهما وحدة چيولوچية وطبيعية واحدة .

وقد عثر على بعض الادوات الحجرية فى شبه الجزيرة العربية تعود الى العصر الحجرى الباليولوتى فى ساحل الخليج العربى وفى مناطق اخرى من شبه الجزيرة ومنها الاحساء على ساحل الخليج ويظهر منها انها استوردت من

الاقسام الغربية من شبه الجزيرة ووجد الباحثون اثاراً تعود الى العصر الحجرى الثالث المتأخر فى المملكة الاردنية الهاشمية والضفة الغربية لنهر الاردن وفلسطين وعثر فى حضرموت باليمن على آثار تعود الى العصور الحجرية وظهر من الفحص فى التلال الاثرية فى مواضع متعددة فى شبه الجزيرة انها كانت مقابر وهى من نوع المقابر التى يقال لها (تومولى) ويرى بعض العلماء انهم من مقابر الكنعانين والفنيقين قبل هجرتهم الى بلاد الشام وترجع هذه المقابر الى العصر البرونزى ويرى البعض ان اصحاب هذه المقابر التى عثر عليها فى اقليم الاحساء هم من رجال العصر الحجرى الحديث أو اوائل العصر البرونزى حيث وجد الإنسان الكنعانى فى فلسطين ويظن انهم جاءوا فى الالف الثالث قبل الميلاد من الاقسام الجنوبية الغربية من بلاد العرب حيث موطن الهجرات السامية .

وقد قام احد العلماء (جورج شفاينفورت) George schwienfurth على دراسة نباتات وحيوانات وشعوب الشرق العربى القديم فى المنطقة التى تسمى مثلث الحضارة بابل واليمن ومصر فلاحظ ان الشعير والذرة والقمح والثيران والماعز والخراف توجد على الفطرة فى غربى آسيا فى تلك المنطقة انتقلت الى الشرق العربى مع حضارات بابل واشور وكلدانيا وقبلها بكثير جداً الى فلسطين وقد اعلن مؤرخو الشرق العربى القديم بأن مصر مرتبطة بجنوب غربى آسيا بالارض والجنس منذ ازمنة قديمة .

وفى الالف الرابع قبل الميلاد كانت تقوم فيما بين النهرين سومر ، اكاد ، عيلام ومنها تسربت بعض العناصر الآسيوية الى فلسطين وامتزجت بالكنعانين . وقد اثبتت قبور ابيدوس محافظة سوهاج بصعيد مصر وتعود الى العصر النيولينى (العصر الحجرى الحديث) ان هناك صلات تجارية متبادلة كانت قائمة

بين مصر وفلسطين وثبت ان صلات مباشرة أو غير مباشرة بين الدلتا وشمال سوريا كانت قائمة منذ العصر التاريخى فى فلسطين مع هؤلاء الساميين العرب .

ومن الثابت علمياً ان هناك وحدة ملحوظة بين العناصر الانثروبلوچيه لاقوام فلسطين وما بين النهرين والذين يسمون عرباً وكنعانين وفنيقين وعامورين وكلدانين واشورين كما ان هذه الوحدة ملحوظة ايضاً بين لغاتهم المتعددة ذات الاصل الواحد و(اللغة السامية) .

وفى الآثار المصرية القديمة لم تبدأ معرفة المصريين بأهل فلسطين إلا فى أواخر الالف الرابعة قبل الميلاد وكذلك اضافة الى فلسطين بلاد ما بين النهرين وعيلام المطلة على ما بين النهرين فقد وجد على لوح فى عهد الملك "دن" ٣١٧٥ق.م قبل الاسرات صورة يابتو Iabtu ونجد نفس الطراز من هؤلاء الفلسطينين العرب فى النقوش التى تسجل انتصارات مصر فى عهد الاسرة الثالثة الملك (سمرخت) حوالى ٣٣١٥ ق.م الى عهد الاسرة الرابعة (حوالى ٢٨١٥ق.م) وفى هذا الطراز من الشرقيين الآسيويين يبين بوضوح البدو العرب الذين من اصل سامى والذين يسكنون فى فلسطين والواحات والصحارى العربية سواء فى شبه الجزيرة أو على جبال سيناء أو المنطقة الجرداء بين مصر وفلسطين وعلى شاطئ البحر المتوسط اى شاطئ السهل الفلسطينى الذى كان يسمى شبلاح Shephelah وفى منحنى نهر الاردن والعاصى بسوريا كانت اقوام تسكن هنا لعلها كانت ثمرة اختلاط الساميين مع غيرهم من الشعوب والذين كانوا يسكنون شاطئ فلسطين وسوريا والى هؤلاء القوم ينتمى الكنعانيون الذين لم يظهر اسمهم إلا فى منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد كما يقرر المؤرخ ماير Mayer اثبتت الابحاث والاحداث ان الكنعانين كانوا موجودين قبل سبعة آلاف سنة قبل الميلاد (انظر الفصل الثانى

من هذه الدراسة) وكذلك شعوب العاموريون ثم انتشروا حتى وصلوا الى كلديا فى العراق فى عصر مبكر اغلب الظن انه كان يعاصر انشاء وظهور بابل ٣٧٠٠ق.م وقد سمى هؤلاء العرب فى أثر يعود الى القرن الحادى والثلاثون قبل الميلاد (٣١٠٠ق.م) فى عهد الملك المصرى (كا) باسم الاسيوين Setti أو Setet أى آسيا .

ومنذ ذلك التاريخ تعود عروبة فلسطين والتى لوحظ ايضاً الوحدة اللغوية التى ربطت بين لغات تلك القبائل العربية فى ذلك النطاق الواسع من الرقعة الارضية فيما بين الفرات ومصر كانت هناك لغة سامية تعود فى اصلها الصميم إلى اللهجات التى تحدث بها عرب شبه الجزيرة العربية وتحدث بها البابليون وقبلهم الكنعانيون ثم الاشورين والاراميون . وقد دفع البدو الرحل قطعان ماشيتهم نحو فلسطين طيلة الاف السنين قبل ان يستقروا فى تلك المناطق فظهروا اول الامر جنوب العراق برفقة الكنعانين وبجوارهم قوم من غير الساميين هم السومريون وهذا هو وطن الاشورين الذين ظهروا فى الالف الثالث قبل الميلاد وكان قبلهم بالف عام الكنعانين سكان فلسطين اجداد عرب فلسطين المعاصرين الذين سلب اليهود حقهم فى وطنهم وقد وصل الاراميون الى الاردن واستقروا فى الواحات التى تقع شرقى البحر الميت حوالى (١٨٠٠ق.م) وكانت السفن المصرية فى الالف الرابعة قبل الميلاد تتردد على شاطئ البحر المتوسط الفلسطينى وتتعامل منذ ٤٠٠٠ق.م (اربعة الاف عام) مع الفلسطينين الكنعانين ولكن سكان هذه المنطقة لم يعرف عنهم شئ إلا من الآثار المصرية والكلدانية ولم يبدأ تاريخهم إلا مع الفنيقين فى الشمال والفلسطينبن فى الجنوب وهم احفاد الكنعانين .

وهكذا كانت الجزيرة العربية هى الموطن الاصلى للسامين الذين وفدوا على

فلسطين وقد قدموا من الجزء الجنوبى من هذه الجزيرة وكانت اسباب الهجرة من جنوبى شبه الجزيرة تعود الى الجفاف الذى اصاب ذلك الجنوب . وقد ذهب العلماء الى ان شبه الجزيرة العربية كانت فى العصر البلستوسين (Pleistocene) كانت خصبة جداً كثيرة المياه ذات غابات كبيرة وان الامطار كانت تتساقط عليها فى جميع فصول السنة على شبه الجزيرة وأن المناطق الصحراويه الحالية كانت تتساقط عليها الامطار بغزارة ولهذا كانت اواسط شبه الجزيرة واطرافها مزدهرة مأهوله ثم اخذ الجو يتغير فذابت الثلوج وتغير جو بلاد العرب وقد حدث ذلك التغير فى العصر النيولينى (العصر الحجرى الحديث) وهكذا تحولت شبه الجزيرة إلى رمال وتراب ثم صحارى لاتصلح للحياة أو الإنبات فكانت الهجرات شمالاً وشرقاً وغرباً حيث ارض فلسطين وقد حدثت الهجرات الاولى ربما فى الالف الرابعة قبل الميلاد أو قبل ذلك بكثير لكن الهجرة الثانية كانت حوالى ٣٥٠٠ق.م فاتجهت الى الشمال الشرقى اى الى بلاد الرافدين ومنها نشأت حضارة الكلدانين والبابلين والاشورين وهناك بعض الاقوال تذكر انه بعد ذلك بقليل حدثت هجرة ثالثة حوالى ٢٥٠٠ق.م اى بعد الفين من الهجرة الاولى هاجرت الى الشمال الغربى لتنضم الى الهجرة الاولى ومن هذه الهجرة كان العمورنين والكنعانين والفنيقين فى سوريا وشواطئ البحر الابيض المتوسط الشرقية .

ومن هنا فإن كل هذه المنطقة التى تم فيها تكوين فلسطين وسوريا والجزيرة العربية ومصر وبلاد بين النهرين تجمع بينهم العديد من عوامل الوحدة السلالية والعرقية والانثربولوجيه والجينيه وصلة روابط الدم العربى حيث اصبحت تلك المناطق سكناً لاهالى الشرق العربى القديم ووسط كل هذا كان الشعب العربى الفلسطينى وبذلك فإن تاريخ الشرق القديم يدرس مبكراً بضع آلاف من السنين عن

تاريخ المناطق الاخرى من العالم . وقد ظلت الظروف مواتيه فى وادى النيل والفرات وما بينهما من بلاد الشام حيث نشأت حضارة مصر وكلدانيا وقد تسربت آثار هذين الحضارتين الى فلسطين فى تاريخ سابق لاربعة الاف سنة قبل الميلاد وقد سجل معظم علماء التاريخ القديم بأن البابلين والاشورين العرب كانوا يعاصرون ظهور الاسرة الاولى الفرعونية فى مصر حيث ظهروا خلال الالف الرابعة قبل الميلاد بل هناك بعض الدراسات تدل على ان فكرة تسرب عناصر بشرية قوية من بلاد فلسطين عبر سيناء أو شبه جزيرة العرب الى مصر ثم قبل ذلك التاريخ باكثر من الفى عام وانهم عبروا واستقر بعضاً منهم فى فلسطين ثم شبة جزيرة سيناء ومن ثم فقد صارت مصر مركز الحضارة فى العالم القديم كما انها تربط فى نفس الوقت بين شواطئ بلاد الشمال الافريقى وشبه الجزيرة العربية وآسيا الصغرى .

ومن هنا فإن فكرة امتزاج المصريين باهل الشام وبلاد ما بين النهرين تسلطت على عقول المؤرخين والاثرين ورجال الانثربولوچيا وهم يدرسون تاريخ مصر قبل عصر الاسرات فى العصر الحجرى القديم والحديث كما سبق فى الصفحات السابقة .

بل ان هناك آراء تذكر ان شعباً قدم من فلسطين شرقاً حوالى ٣١٠٠ق.م واستقر فى وادى النيل قادماً من سيناء وقبل ذلك فلسطين بعد نزوحهم من الجزيرة العربية وانهم عبروا وادى النيل (راجع كتابنا عروبة مصر قبل الإسلام ١٩٩٤) وعلموا المصريين سكان ما قبل اختلاط العنصرين السامى بالحامى فن البناء بالطوب وادخلوا الكتابة والاختام الاسطوانية على الآجر وانهم استعملوا مناجم الذهب فى صحراء مصر الشرقية وكذلك النحاس والبرونز وتتشابه انواع

معينة من الاسلحة والمبانى فى بلدة نقاده فى محافظة قنا بصعيد مصر مع بلدة نتيللون فى بلاد ما بين النهرين وان كل ذلك يعود الى اصل سامى قديم من شبه الجزيرة وقد نكر (كولين ماكفيدى) فى كتابة اطلس التاريخ الافريقى. ان المصريين القدماء لم يستخدموا الزراعة على نطاق واسع فى انتاج الحبوب إلا بعد ان استوردوها من فلسطين والاردن وذلك من شعوب الشرق العربى وانه من حوالى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد انتقل هذا الاسلوب الجديد للزراعة من وادى الاردن وفلسطين الى وادى النيل (من فلسطين الى مصر) وان سكان تلك المناطق تربط بينهم مجموعة صلات وان الصلات استمرت مضطردة بين مصر وفلسطين وبلاد ما بين النهرين وغرب الجزيرة العربية وان الاختلاط بين هذه المناطق كان بصفة مستمرة وان العرب كانوا منتشرين فى برزخ السويس وشبه جزيرة سيناء متجاورتين مترابطتين بين كنعان (فلسطين) ومصر وهم ساميون .

ومن ثم يتضح لنا كيف ان اول انسان تحرك على ارض فلسطين منذ خمسة الاف سنة قبل الميلاد حيث العصر البرونزى واستقر فى فلسطين منذ عصور ما قبل التاريخ بل منذ العصر الحجرى القديم وربما اوائل العصر الحديث كان انساناً عربياً كنعانياً يبوسياً ثم آرامياً فنيقياً قادماً فى حركة الهجرة الواسعة التى تخرج من الجزيرة العربية بل ان حركة الهجرة بدون مبالغة تعود الى عصور سحيقة فإن صلات السلالة والدم مرتبطة مع شمال الجزيرة العربية وفلسطين الى عصور قديمة منذ العصور الچيولوچيه الأولى بل ان الحركة كانت سهلة ميسرة جداً فى حركة الافراد والجماعات التى كانت تتجول فى تلك المناطق عندما تلتقى بلاد العرب بفلسطين وشبه جزيرة سيناء حيث كان لقاء العرب دائماً وان تلك الهجرات كما جاء فى عنوان هذه الدراسة تعود الى قبل خمسة آلاف سنة قبل

الميلاد بكثير حيث كانت منطقة الجزيرة العربية بسكانها خزان بشرى هائل تدفع كل فترة من الزمن بهجرات واسعة وكبيرة اضافة الى الهجرات التى تتسرب باعداد قليلة كلما اشتد القحط والتصحر فقد كان ذلك يؤدى الى خروج العرب من جزيرتهم فى شكل هجرات أو موجات متعاقبة فكانت الهجرة الى فلسطين وبلاد الشام وبابل وقبلها كلدانيا حيث اختلط هؤلاء العرب وسكنوا فى فلسطين وما جاورها شمالاً وجنوباً بل وشرقاً وصبغوا تلك الانحاء بالصبغة العربية منذ الازمنة القديمة وظل الكيان العربى فى مراحله التاريخية ممتداً حافظاً لفلسطين عروبتها وشخصيتها مع ابناء عمومتها من الكلدانين والبابلين والاشورين والمصريين والفنيقين والارامين والتدميرين وغيرهم من القبائل الاخرى حيث كانت القبيلة العربية التى انطلقت لتسكن هذه الديار حتى استطاعت القبيلة العربية فالستيا Phlistia التى جاء منها اسم فلسطين والتى هى فرع من الكنعانين ان تكون لها الغلبة وهكذا كان ظهور هذا الاسم بشكله الحالى منذ عصر رمسيس الثانى (١٢٦٩-١٢٠٠ق.م).

وقد سبق ان اشرت الى ان علماء التاريخ الشرق العربى قد لاحظوا اوجه الشبه الكثيرة بين لغات السامين الذين كانوا على صلة مستمرة بمصر فى فجر التاريخ فقد لاحظ المعنيون بلغات هذه الاجناس السامية وجود اوجه شبه ظاهرة بين اللغات البابلية والاشورية والكنعانية والفنيقية والارامية والعربية واللهجات الجنوبية المعينيه والسبائية والحميرية والنبطية ومن ثم فقد قالوا بوجود وحدة مشتركة كانت تجمع شمل هذه الاقوام واطلقوا على ذلك الاصل أو الوحدة الجنس السامى Semitic Race وقد أطلقت هذه التسمية على سكان فلسطين وسوريا من الارامين والكنعانين العرب وكانت المجموعة السامية الشمالية تتألف من

الكنعانية والفنيقية والارامية والبابلية والاشورية . وقد ذهب الكثير من العلماء إلى ان اواسط بلاد العرب ولاسيما منطقة نجد هى المكان الذى هو موطن السامين وهو الذى ملئ الهلال الخصيب بالسكان وطبعه بالطابع السامى العربى ومن هذا المخزن خرجت جماعات من البشر سكنت هذه الارض وما جاورها غرباً حتى البحر المتوسط . وهكذا كانت فلسطين وسوريا من البلاد التى وفدت إليها الهجرات العربية منذ منتصف الالف الخامس قبل الميلاد بل ان بعض العلماء يذكر انه منذ انتهاء العصر الحجرى القديم الباليولينى حوالى عشرة الاف عام قبل الميلاد (١٠٠٠٠ق.م) لم تحدث تغيرات جيولوچيه أو جوية فى الاقسام الجنوبية من شبه الجزيرة ولهذا كانت نجد هى منبع الهجرات السامية يضاف إليها ساحل الخليج العربى والتى منها البحرين التى هى المنبع للهجرات العربية ويتشهدون على ذلك بالدراسات التى قام بها بعض العلماء والتى كشفت عن هجرة الفنيقين والكنعانين وغيرهم من هذه المنطقة وذهب الآخرون الى ان جنوب شبه الجزيرة هو ذلك المنبع الذى تدفقت منه هذه الهجرات بعد ان اضطر العرب الجنوبيون الى الهجرة بسبب الجفاف الذى ظهر فى العصر الباليولينى وكان الوصول الى فلسطين وغيرها من الاقطار المجاورة وان الكلدانين والكنعانين ربما كانوا أول هجرة قبل ٣٥٠٠ق.م ثم العامورين الذين ظهروا مع دولة بابل عام ٢٥٠٠ق.م ثم الارامين عام ١٥٠٠ق.م واخيراً الانباط والعرب المسلمين .

وإذا توقفنا عند نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد وجدنا العرب السامين قد ظهروا فى شمال كلديا قادمين من الغرب وفى نفس الوقت تحركت هجرات الى فلسطين ربما قدموا من اطراف شبة الجزيرة العربية أو من بلاد العرب العمورين الذين سكنوا بلاد الشام أوالمناطق الملاصقه للهلال الخصيب فالحضارات الثلاث

التى ظهرت فى غرب آسيا منذ فجر التاريخ اى فى نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد وهى حضارات العلامين والسومرين والعرب الكنعانين وغيرهم من القبائل العربية هى حضارات عربية . ومن المحتمل ان ساحل البحر الابيض المتوسط كانت تسكنه اقوام ربما لا تكون عربية ولكن الاراضي الداخلية كانت تسكنها اقوام عربية سامية وان الامتزاج قد اثمر الجنس الكنعانى ولقد كان امتداد حدود الدولة التى انشأها (سارجون الاكادى) الى اراضى الكنعانين والعمورين سبباً فى زيادة الامتزاج بين الكنعانين والعامورين والعرب القادمين من بلاد ما بين النهرين يحملون معهم الحضارة الكلدانية العريقة الى بلاد الشام وظل الكنعانيون سكان فلسطين واهل الفلسطينين القدامى والعاموريون طيلة خمسة قرون يتلقون على يد الكلدانين فنون الحرب والسلم ولقد كان وصول الكلدانين الى البحر المتوسط والاختلاط بالكنعانين والعامورين سبباً فى انشاء صلات مباشرة مع المصريين .

ولقد بدأ العاموريون سكان بلاد الشام يتجهون الى ارض اكاد بالعراق واستقروا فى مدينة كلدانية وبدأ الضغط يمتد من ارض عامور الى اطراف الهلال الاخر ارض كنعان وفلسطين . وكان لأنتصار العامورين آثار بعيدة المدى واصبحت بلاد ما بين النهرين تسمى بعد ذلك اكاد أو بابل واستعادت الامبراطورية العامورية حدود الدولة الاكادية التى كان قد انشأها (سارجون) فامتد ملك البابلين العامورين الى بلاد كنعان فى فلسطين ومنطقة دمشق واكاد وسومر وعيلام ولاشك ان شاطئ سوريا الشمالى كانت فى ذلك الوقت ٢٢٢٥ق.م تحت حكم العامورين .

فهل بعد كل هذا السرد التاريخى منذ الالف الخامس قبل الميلاد وصولاً الى الالف الثانى قبل الميلاد من يأتى لينكر عروبة فلسطين مروراً بحركة القبائل العربية

العربى مع مصر أو سوريا حيث كانت فلسطين فى كل هذه الهجرات العربية منذ العصر الحجرى القديم وحتى ظهور الكنعانين هى بوابة مصر الشرقية وان فلسطين منذ الالف الثانى قبل الميلاد بل من قديم الزمن تأخذ اسمها من القبيلة العربية Pulestin أو Philistia وان لفظ الشاسو الذى يطلقه المصريون على البدو هم العرب الذين كانوا يسكنون (شو) الصحراء التى تقع بين فلسطين ومصر فى حدود مصر الشرقية وهم الذين علموا المصريين استخدام الجمال وركبوها فى التنقل من سيناء إلى داخل مصر . لقد ظلت فلسطين طوال هذه العصور منذ القرن الاربعين قبل الميلاد انطلاقاً حتى القرن العشرين قبل الميلاد فى قلب الاحداث العربية لاسيما بعد ان كانت تنقل البضائع من منتجات الفنيقين الصناعية فى صور وصيدا وبيروت وجبيل حيث انتقل مركز القوة والثقل من الشرق العربى الى قوة عربية جديدة غير مصر وهى شمال فلسطين حيث الفنيقيون وهم عرب ساميون هاجروا مع اخوانهم الكنعانين لكن فى فترة زمنية لاحقه من الخليج العربى جنوب شرق الجزيرة العربية حيث بلاد البحرين الى شمالها الغربى حيث بلاد (لبنان) حالياً وكانت مصر فى ذلك الوقت تواجه خطر سلالات قادمة من الغرب من شعب (التمحو والتحنو) فى ليبيا وذلك فى العام الحادى عشر لحكم رمسيس الثالث لاسيما وقد استقرت هذه الهجرات فى غرب الدلتا باعتبار انهم مواطنين مصريين ونجحت هذه الشعوب فى تكوين الاسرة الثانية والعشرين الفرعونية تحت حكم (شيشنق) وفى ذلك الوقت عاد العرب اهل شمال الجزيرة العربية يحملون رسالة تحقيق وحدة الشرق العربى فى بلاد الشام .

وهنا نضع الدليل القوى البارز على عروبة فلسطين منذ اقدم الازمنة حيث انه فى جنوب سوريا كانت المنطقة الساحلية فى ايدى الفلسطينين اى ابناء القبيلة

العربية (فيلستيا) الذين استقروا فى فلسطين وكانوا قبائل عربية ساحلية وليسوا من شعوب البحر المتوسط القادمين من جزر بحر ايجه كما حاول ان يصور ذلك بعض الباحثين الاوربين الذين يريدون ان يعيدوا كل شئ الى اوربا . وقد كان ظهور هذا الاسم يشكله الى فلسطين منذ عهد رمسيس الثالث(١٢٦٩-١٢٠٠ق.م) وكانت هذه القبيلة العربية قد استقرت وكونت خمس مدن كبيرة (انظر الفصل الثانى فى هذه الدراسة ، ولعبت دوراً هاماً فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومارست نشاطها الثقافى والحضارى وشاركت الممالك العربية فى الشمال والفنيقين والارامين والكنعانين ، وكل مناطق البلاد العربية فى بلاد ما بين الرافدين بل شاركت مصر وارتبطت ارتباطاً عضوياً مع تلك الديار فى شكل وحدة عربية ظلت قائمة عبر السنوات الطويلة حتى القضاء على هذه الوحدة فى ظل الحكم الفارسى فى النصف الاول من القرن السادس قبل الميلاد .

وكانت الهجرات العربية لازالت تتدفق على فلسطين قادمة من الجزيرة العربية ومن بلاد ما بين النهرين اختلاطاً وامتزاجاً بالسكان الساميين الكنعانين الذين استقروا فى فلسطين منذ نصف الالف الخامسة قبل الميلاد (٤٥٠٠ق.م) وكان قيام (سارجون) ملك اكاد والذى نجح فى مد سطوته غرباً وذلك فى عام ٢٨٥٠ق.م وان يؤسس دولة ضمت كل المناطق المتحضرة فى شبه الجزيرة العربية كمدن سومر واكاد ووسط الفرات وشاطئ سوريا وفلسطين ولايتردد علماء تاريخ الشرق العربى القديم فى التسليم بأن (سارجون الاكادى) قد ضم سوريا وفلسطين وشعبها الكنعانى الى دولته على الاقل لعدة اعوام وتدل الواح تل العمارنة مركز ملوى محافظة المنيا بصعيد مصر على ان سارجون وصل الى الساحل اللبنانى وغزا بلاد العامورين والكنعانين كذلك فإن حفيده (نارعم سن)

الساحل اللبنانى وغزا بلاد العاموريين والكنعانين كذلك فإن حفيده (نارعم سن) احد احفاد سارجون قد مارس نفس السياسة الى تهدف الى جمع الاقطار المتحضرة فى شبه الجزيرة العربية تحت لواء وحدة سياسية حوالى عام ٢٧٦٨ق.م فوصل الى اقليم الحسا (حالياً فى السعودية) على الخليج العربى وكون دولة عربية سامية شملت فى الثلث الاول من الالف الثالثة قبل الميلاد كل الهلال الخصيب بما فيه فلسطين وشعبها الكنعانى . وكان وصول الكلدانين الى البحر المتوسط داعياً إلى انشاء صلات مباشرة بينهم وبين المصريين الذين كانوا قد سبق لهم التردد على ميناء (جبيل) وغيره من موانئ فلسطين وسوريا ولبنان ومما لاشك فيه ان تبادلاً تجارياً قد اضطرد بين مصر وكلديا طيلة قرون عده بعد ذلك الزمن وازدياد الترابط والتواصل بين هذه الاقطار ذات الاصول السامية الواحدة .

وقد بنى المصريون حصوناً فى وادى طميلات وهو الطريق الجنوبى عبر سيناء الى فلسطين حيث الشعب الكنعانى وغيره من الشعوب العربية القادمة من الجزيرة العربية لازالت مسيطرة على مقاليد الامور فى فلسطين ، بنو نقطاً حصينة، كما اقاموا معابد للإله (سبيتو) Septu إله الشرق وكانت تماثيل الإله المصرية تقام الى جانب الإله المحلية فى الشرق العربى الأسيوى السامى وكان فرعون مصر يعبد فى سيناء فكانت هذه الوحدة الروحية تدعيماً للوحدة السياسية ويتضح من (حجر باليرمو) وصول اربعين سفينة مصرية محملة بأشجار الارز واخشابها فى عهد الاسرة الرابعة (الملك سنفرو) وهذه الاحشاب والسفن قادمة من سواحل فلسطين ولبنان مما يقطع بقيام علاقات تجارية بين مصر والمناطق الواقعة شمالاً فى سوريا وفلسطين ولبنان عبر سوريا والموانئ المصرية المختلفة ولعل ذلك العصر هو اكثر العصور التى خرجت فيها مصر عن العزلة لأنه لم يكن لها من مواردها ما يغنيها وكانت تلك العلاقات التجارية مع جيرانها السامية ضرورة ملحة .

وهكذا كان التأثير المصرى واضحاً فى فلسطين وغيرها من بلادالشرق القديم وقد اثبتت الآثار التى عثر عليها وجود صلات تجارية قائمة بين الكنعانين الساميين فى فلسطين ومصر الفرعونية منذ عصور ما قبل التاريخ وفى عصور الدولة القديمة منذ الأسرة الرابعة .

وهكذا وصلت إلى فلسطين هجرات عربية سامية منذ العصور الاولى للتاريخ وهى هجرات متتالية من الجنوب ومن بلاد ما بين النهرين ومن البلاد التى تشمل جنوب الجزيرة العربية ومن الثابت تاريخياً ان جميع شعوب الشرق القديم كانت على صلة ببعهضا البعض وكانت التجارة قد عرفت طريقها بين هذه الشعوب كما اخذت الهجرات تتوالى بين بعضها وبعض فاتصلت العراق وسوريا وفلسطين والجزيرة العربية وتلاقت جميعها فى فلسطين لكى تصبغ هذه الارض بالصبغة العربية السامية باستمرار وعبر فترات تاريخية متواصلة فى عصر ما يسمى عصر الاسرات المبكر Early Dynastic Period وهو يقابل فى مصر عصر توحيد البلاد وتحت حكم الملك (نارمر) وبدأ الأسرة الأولى وليس معنى ذلك ان الكنعانين لم يكونوا فى فلسطين فى الالف الرابعة قبل الميلاد وكذلك لأن الحضارة نشأت قبل ذلك بألف عام ولكن الهجرات العربية الى فلسطين كانت قديمة جداً ربما الى ثلاثة ملايين عام كما ذكر ذلك المفكر الفرنسى جارودى .

وهكذا يتأكد تاريخياً دون الدخول فى تفاصيل انثربولوچيه أو بيولوچيه أو اروكيولوچيه أن فلسطين عربية سامية كنعانية منذ ذلك الزمن البعيد قبل الميلاد بخمسة الاف عام حيث كان يعيش فيها اليبوسيون الكنعانيون ولذلك سميت ارض كنعان ومن كل هذا العرض الموجز والمختصر يتضح لنا كيف ان الساميين العرب كانوا هم سكان فلسطين منذ وجد كيان بشرى يعيش على هذه الارض الواقعة

جنوب بلاد الشام ولا يفصلها عن مصر سوى صحراء سيناء التى كانت تمتلئ بالقبائل العربية الوافدة من الجزيرة العربية شأنها شأن فلسطين ثم عبوراً الى مصر للتوطن والإقامة الدائمة ولهذا كانت سيناء عامل ربط بين عروبة فلسطين حيث الشعب الكنعانى العربى الذى استقر مع منتصف الالف الخامس قبل الميلاد (٤٥٠٠ق.م) ومن ثم توافدت الهجرات العربية متصلة أو متقطعة وكان اهمها الهجرات التى حدثت فى اعوام ٣٥٠٠ ، ٢٥٠٠ ، ١٥٠٠ ق.م حيث شكلت هذه الهجرات الواسعة الكثيرة العدد اضافت بعداً جديداً للدم العربى السامى الذى استقر فى فلسطين وغيرها من بلاد الشرق القديم يشكل الشعب الكنعانى الفرشه الواسعة فى الكيان الكنعانى حيث كان يطلق على فلسطين ارض كنعان أو وطن كنعان وذلك قبل قدوم الفلسطينين الذين اطلق اسمهم على فلسطين باكثر من ثلاث الاف سنة حيث كان قدوم الكنعانين حوالى ٤٥٠٠ق.م وقدوم الفلسطينين حوالى ١٥٠٠ق.م .

وبهذا نكون قد وضحنا فى هذا الفصل كيف ان عروبة فلسطين تعود الى الالف الخامس قبل الميلاد منذ العصر الحجرى القديم ، والحديث منذ العصر البرونزى وهكذا يقطع بالدليل الحق كل ادعاء باطل من قبائل بدوية رحل لاوطن لها بأن لها حق تاريخى فى فلسطين (كتاب للمؤلف هل لاسرائيل حق تاريخى فى فلسطين) .

الفصل الثانى

الكنعانيون أول من سكن فلسطين

كان السكان الاصليون الفلسطينين وقبل كل شئ هم الكنعانيون الذين عاشوا فى فلسطين حوالى الالف الخامس قبل الميلاد وتقول كتب التاريخ ان الكنعانين كانوا هناك فى فلسطين خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة من تاريخها القديم وان الفلسطينين الحاليين هم من سلالة ونسل الكنعانين ولم تكن خلال الثلاثة الالف الاولى من تاريخ فلسطين اى وجود لعناصر اخرى جاءت ورحلت ثم عادت وطردت ثم طردت وذابت فى المجتمعات الأخرى والكنعانيون نسبة إلى كنعان بن سام بن نوح سلف الكنعانين وهم مجموعة قبائل عربية سامية استقرت فى ارض فلسطين وحتى الوصول الى ساحل البحر الابيض المتوسط واشتغلوا بالزراعة ورعاية الماشية وقد عرفت الارض التى سكنوها بأرض كنعان .

ويذكر العالم الالمانى كارل بروكهن Karl Brokelman ان الكنعانين من ابناء سام بن نوح ولكن اليهود لاسباب سياسية ودينية وحضارية وتاريخية تجاهلوا هذا النسب ونسبوهم الى حام وليس سام مع انهم يعلمون حق العلم ان الكنعانين من اصل السامين وانهم ينتمون الى الساميين بصلات عرقيه ولغويه وغيرها من الروابط الاخرى .

ومن ثم فإن فلسطين هى ارض كنعان اساساً نسبة الى سكانها الكنعانيون والكنعانيون فى التوراه هم ابناء كنعان بن سام بن نوح وهم كما سبق القول فى الفصل السابق اول شعب عربى سامى سكن فلسطين باتفاق كل الآراء وهى

الدراسات السامية القديمة وان الكنعانيون هم الاخرين قبيلة سامية من السامين الشماليين جاءت اصلاً من الجزيرة العربية حوالى ٤٥٠٠ق.م وكانوا قد استقروا فى كنعان (فلسطين) منذ فترة تصل الى اربعة الاف سنة أو اكثر . واقاموا بها حضارة راقية ، كذلك فإن جزء من الكنعانين كانوا قد رحلوا منها الى الساحل الشمالى اللبنانى حيث عرفوا بالفنيقين وبذلك فإن الفنيقيون قد نشأوا على ارض فلسطين اولاً ثم رحلوا شمالاً حيث اسسوا المدن الكبرى (جبيل ، صور ، صيدا ، بيروت) ومعنى ارض كنعان هى الارض المنخفضة والى جانب الكنعانين فى فلسطين نمت كوكبه اخرى من القبائل العربية السامية الصغرى التى قدمت من الجزيرة العربية الى ارض فلسطين مثل العمورين والمؤامين والايدومين والذين سكنوا على تخوم ارض كنعان خاصة حول جنوب البحر الميت وكذلك سكن العمورين بعيداً الى الشمال وهم اولاد اناك كما ذكر فى التوراة وكانوا قد سيطروا على جزء من فلسطين قبل الزحف المصرى الفرعونى نحو الشمال الى فلسطين وما ورائها حوالى ١٨٠٠ق.م وسكن اليبوسيون والفلسطينيون (قبائل عربية) تفرعت من الكنعانين فى فلسطين والذين انتشروا على سواحل البحر الابيض المتوسط وفى الداخل واستقروا على سواحل ارض كنعان والكنعانيون من اصل عربى وهذا ما ذهب إليه الطبرى فى كتابة تاريخ الامم والملوك الى ان الكنعانين من القبائل العربية البائدة وقد أخذ بهذا الرأى ابن خلدون ، الى جانب طائفة من مؤرخى العصور الحديثة لاسيما الاوربيون الذين يعززون هذا الرأى وقد ذكر برستد جيمس Breasted . ان الكنعانين من القبائل العربية التى استوطنت فلسطين منذ ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد .

ويذكر عباس العقاد فى كتابه الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبرانين ان الكنعانين سكنوا ارض كنعان وهى قبيلة سامية من الجزيرة العربية

ومن المتحدثين باللغة العربية على اقرب لهجاتها واطوارها وان ابناء كنعان ينسبون ارضهم الواطئة على اشهر الاقوال وهى مادة (كنغ) مشتبهاً فى لغتنا الحديثة مادة (قنغ) ومادة (قنع) فى الدلالة على الخفض والاطمئنان .

ومدينة غزه وغيرها من المدن الاخرى الساحلية والداخلية هى من المدن التاريخية القديمة التى بناها الكنعانيون وتسمى غزه هاشم نسبة الى جد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبها مدفنه وفى هذه التسمية دليل على عروبة فلسطين قبل الفتح الإسلامى بعدة قرون . وكانت فلسطين التى عرفت على ايدى اصحابها الكنعانين بالبلاد التى تفيض لبناً وعسلاً وقد خصوا بلاد الكنعانين باهتمامهم اليها وشحنوا اسفار العهد القديم التى كتبوها فى الكثير من فصولها بانباء الهجرة الاولى . وإذا رجعنا الى مصادر العهد القديم (التوراة) وفحصنا سيرة فلسطين لوجدنا هذا الكتاب يبدأ بحقيقة اساسية تتفق بها مع سائر المؤرخين وهى ان فلسطين وطن الكنعانين وانها تعرف ببلاد الكنعانين أو كنعان . كما أن ذكر القبائل الكنعانية يملأ صفحاته وسطوره منذ القدم ومن المعروف ان هذه القبائل الكنعانية قد خرجت من جزيرة العرب التى تعتبر منبت الاسرة السامية وانها كانت الموجة الثانية (رأى الدكتور عز الدين فوده فى كتابه قضية القدس – القاهرة ١٩٦٧) فهى من الهجرات العربية التى كانت تقذف بها جزيرة العرب وانها الموجة الاولى فى الفترة ما بين ٤٥٠٠ق.م أو بعدها بقليل على رأس كل الف سنة ولايختلف احد من كبار المؤرخين على ان هذه القبائل العربية السامية قد استوطنت جنوب بلاد الشام وفلسطين منذ حوالى اربعة الاف عام اى منذ فجر التاريخ واول من يقول بهذا التوراة .

وبعد ان سكن الكنعانيون فى فلسطين قرابة ثلاثة الاف عام تعرضت البلاد لهجرات عربية سامية من العمورين والارامين وغيرهم من القبائل الاخرى لكن هذه

القبائل السامية عندما قدمت الى فلسطين قد وجدت الشعوب الكنعانية ووجدت حضارات تركزت فى تلك الاراضى منذ ٧٠٠٠ الاف عام قبل المسيح (فيصل أبو خضرا . تاريخ المسألة الفلسطينية صـ٥٨) .

وبالرجوع الى اى مرجع تاريخى تبين ان الشعوب والقبائل توالى وصولها من شبه الجزيرة العربية الى فلسطين وسوريا وبلاد النهرين منذ فجر التاريخ وفى مراحل ما قبل التاريخ اى قبل الاف السنين قبل وصول بعض البدو الرحل كما تقرر ذلك التوراة ، بل ان هذه الموجات البشرية الكنعانية والعموريه والاراميه اندمجت وانصهرت فى بوتقه حضارة عربية سامية شرقية واحدة هى الحضارة الكنعانية ثم ذابت فى هذه الحضارة الموجات البشرية الاخرى الآتية الى فلسطين ومحيطها من القوقاز والاناضول .

ولقد كانت الحضارة الكنعانية كما يذكر ذلك مؤرخى تاريخ الشرق القديم قد تعمقت جذورها وكيف لا وان الحضارة الكنعانية فى فلسطين وما حولها فى الشاطئين اللبناني والسورى والحضارة الفنيقية جزء منها قد وصلت الى درجة رفيعة من التطور الفكرى والادبى والهندسى والزراعى والملاحى والعسكرى . ويكفى لادراك أهمية التأثير الى ان هذه الحضارة قد اوجدت الابجدية وعلمت البشرية الكتابة والقراءة واقدم كتابة ابجدية فى التاريخ البشرى هى المكتشفة فى رأس شمرا ، هى لغة (اوغاريت الكنعانية) ومثلما تأثرت فلسطين طويلاً جداً بالحضارة الكنعانية تفاعلت ايضاً مع الحضارة الفرعونية المصرية . فأرض كنعان بحكم موقعها الجغرافى الهام شكلت معبراً استراتيجياً درجت الامبراطوريات الكبرى فى مصر وفى الشرق الادنى الاسيوى على سلوكه باستمرار وعلى التنافس حوله (الفصل الرابع من هذه الدراسة) علاقات الكنعانين مع المصريين ، فكنعان هى الممر الافضل بين آسيا وافريقيا من جهة ومن جهة اخرى واجهة آسيا على البحر الابيض المتوسط .

وهكذا نجد الحضارة الكنعانية فى فلسطين أو غير فلسطين شمالاً وشرقاً وكذلك الحضارة الفرعونية وسواهما من حضارات المنطقة البابلية ، والاشوريه ، والكلدانية ، الاكاديه وغيرها من الحضارات تركت اثارها على ارض فلسطين ، ومن ثم فلا نجد اى أثر للعبرانين فى فلسطين خارج ما جاء من كتابات فى التوراة التى وضعوها بما يحقق اهدافهم .

وهكذا فإن هذه البلاد (فلسطين) كما يعرفها التاريخ كانت آهله بالكنعانين وكانت تدعى ارض كنعان وانه فى استطاعتنا ان نفخر بهؤلاء القوم من اجدادنا الساميين العرب الكنعانين لأنهم ومن جاورهم من قبائل سامية قد اكتشفوا النحاس اللين البرونز فى حوالى ٤٠٠٠ اربعة الاف سنة قبل الميلاد وتعلموا خلال الالف سنة التالية كيف يجمعون ما بين النحاس والصفيح لينتجوا البرونز وهو اكتشاف قد يكون الاهم للعالم فى ذلك الوقت ذلك لأنه ادخل جديداً فى علم التعدين واعطى الشعوب البدائية ادوات واسلحة جديدة .

وقد انجب كنعان ذرية هم اليبوسين والذين تناسلوا فى فلسطين (انظر الفصل الثالث) وصيدون ، وحثا ، والاموری ، والحرجاشى ، والحوى ، والعرفى ، والسنين ، والاواردى والحماتى وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعانى فى فلسطين وغيرها من الاقطار المجاورة .

وكانت تخوم الكنعانى من صيدون حتى غزه ثم الى جراء الى سدوم وعموره وآدمه وجيوييم الى الاشع وقد سكن فى فلسطين الى جوارهم الجرجاشين ، اليبوسين ، والامورين والحثين والفرزين والرفائين ، القدمونين ، القزيين ، المقينين ، وهكذا اصبحت فلسطين التى تفيض عسلاً ولبناً ارض سلالة كنعان الذين سيطروا على هذه الارض الواسعة وكونوا امارات متجاورة قطنها الكنعانيون واليبوسين ، الحثيين والامورين ، الحونين ، والفرزين منذ منتصف الالف الخامسة قبل الميلاد .

ويذكر ان كنعان وهى الارض الواطئه كما سبق القول سميت بهذا الاسم للتفرقة بينها وبين جزء آخر من هذه القبائل سكن لبنان وسمى بالفنيقين وفى هذا الوقت نزح ساميون آخرون الى العراق وهم البابليون ونزح آخرون معاصرين لهم الى بلاد الشام وهم الاموريون ونظراً لوقوع الاموريون فى الشام والكنعانين فى فلسطين بين دول عظيمة فى وادى الرافدين (البابلين والاشورين) من جهة الشرق وبين مصر من جهة الغرب بالاضافة الى وجود الحثيين فى الشمال فكانت هذه الدول تتحارب وتتصارع مع بعضها البعض فى ميدان كان هو فلسطين والشام ولذلك لم يتسنى للامورين والكنعانين الوقوف امام دول قوية وكبيرة وانما اقاموا دولاً صغيرة (امارات) على غرار دول المدن الكبرى وهكذا فإن هذه البلاد فلسطين كما يعرفها التاريخ كانت موطن الكنعانين وانهم تقدموا فى صناعة المعادن وكانوا اول من عرف البرونز وعلموا الشعوب البدائية فن صناعة الادوات والاسلحة وقد قاموا ببناء المدن المسورة ذات الاسوار العالية والابراج وقد تعرض الكنعانيون فى فلسطين للزحف من القبائل العربية السامية وكان اهمها القبائل الفالستيه الذين سكنوا الساحل واقاموا العديد من المدن (خمس مدن) منها غزه واشدود وعسقلان واستطاعوا الاختلاط معهم لكنهم فشلوا فى أن يفرضوا سلطانهم على السكان الوطنين الكنعانين فى مدنهم المسورة ولكن ذابوا فى ثقافتهم وحضارتهم ولغتهم ووسائل معيشتهم .

ومعظم المؤرخين يعتبرون ان مصر قد حكمت ارض كنعان فى نهاية عهد رمسيس الثالث حوالى ١١٥٤ق.م (انظر الفصل الرابع . وكتاب رمسيس الثانى تأليف كنت يكتشنى . ترجمة احمد امين - القاهرة ١٩٩٨م) وظلت ارض كنعان بين شد وجذب مع الفلسطينين الذين اختلطوا بالسكان واستطاعوا ان يؤسسوا لهم عدة امارات مستقلة عن الكنعانين وقد اثبتت الكشوف الاثرية ان حضارة

كنعان كانت تمتد من غزه جنوباً الى رأس شمرا شمالاً واغاريت القديمة ، وان اللغة والديانة والحضارة كانت واحدة فى هذه البقاع ولم يكن اختلاف اللغة إلا من قبل اختلاط اللهجات . وقد بدأ الادوميين يتسللون الى ارض كنعان ولم يكن للادومين ذكر فى كنعان فى عهد الاسرة الثانية عشرة وانما بدأ استقرارهم فى عهد الاسرة الرابعة عشر حوالى ١٣٠٠ق.م وقد استطاع الادميون دفع بعض قبائل الكنعانين للهجرة الى مصر فدخولها فى هجرة امتزجت فيها معهم قبائل آسيوية سامية . وقد دفع هؤلاء البدو الرحل قطعان ماشيتهم الى مصر وقادوا قوافلهم عبر الصحارى شرق مصر طيلة الاف السنين قبل ان يستقر لهم قرار فظهروا اول الامر فى جنوب العراق برفقة الكنعانين الذين يذكر انهم وفدوا من العراق الى فلسطين وبجوارهم قوم من غير السامين هم السومريون وكانت الاراضى الداخلية من فلسطين تسكنها اقوام عربية سامية امتزجت مع بعض العناصر وقد ادي الامتزاج بين الجنسين الى ظهور الكنعانين وقد ظل العامورين الكنعانيون طيلة خمسة قرون يتلقون على يد الكلدانين فنون الحرب والسلم ويخزنون مقومات المستقبل الذى سيثمر قيام الامبراطورية العربية السامية وكان وصول الكلدانين الى البحر الابيض المتوسط وسيطرتهم على بلاد كنعان دافعاً لانشاء صلات مباشرة بينهم وبين الكنعانين وقد كان الكلدانين ثمرة هجرة لاحقه لهجرة الكنعانين بالف عام حيث كانت هجرتهم حوالى ٢٥٠٠ق.م ثم تلاهم الاراميون بعد ذلك الى بلاد الشام داخلياً والفلسطينيون والفنيقيون على الساحل السورى وعندما استطاع احمس مؤسس الاسرة الثامنة عشرة الفرعونية طرد الهكسوس من مصر عام ١٥٨٠ق.م فإن ذلك ادى الى اختفاء الهكسوس من التاريخ بعد سقوط عاصمتهم (افارس) فإنهم بعد ذلك اختلطوا وامتزجوا بالكنعانين سكان فلسطين ومعهم العمورين وذلك فى المنطقة الواقعة ما بين الفرات

شرقاً الى برزخ السويس غرباً فإنهم تركوا فى هذه المنطقة من الشرق العربى اثراً باقياً وهكذا لم ينقضى قرن واحد على سقوط (افارس) عاصمة الهكسوس فى دلتا نهر النيل حتى حقق ملوك طيبة وحدة ضمت مصر العظمى والقرن الغربى الهلال الخصيب فى آسيا .

ومن الثابت علمياً ان هناك وحدة ملحوظة بين العناصر الانثربولوچيه لاقوام فلسطين وبلاد ما بين النهرين والذين استقروا فى هذه المنطقة منذ سبعة الاف عام والذين يسمون عرباً سامين وهم الكنعانين والفنيقين والعمورين والكلدانيون والبابليون والاشورين .

كما ان هذه الوحدة ملحوظة فى لغاتهم التى لها جذور واحدة مهما اختلفت اللغات واللهجات وقد انتقل بعض الكنعانين منذ القدم الى مصر وذابوا فى المجتمع المصرى مشكلين تيارات هجرة بشرية حتى ازدادت حركة هجرة هذه العناصر مروراً بفلسطين حتى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ومنذ منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد ١٢٥٠ق.م سادت الاضطرابات مصر لكن العنصر الكنعانى العربى كان يضفى طابعه فى اثناء تلك الاضطرابات فقد تولى حكم مصر احد الامراء الكنعانين كما تمكن بعض البابلين من بناء مدينة على مقربة من مدينة ممفيس العاصمة المصرية مدينة اسموها بابل وقد ساعدت عوامل خارجية على اخفاق النفوذ المصرى فى فلسطين فى تلك الفترة مع نهاية الاسرة الثامنة عشر الفرعونية لاسيما عند ظهور العناصر الآريه غير السامية وقد تولى الكنعانيون والبابليون حكم بعض المناطق فى مصر لكنه انتهى فى بداية حكم رمسيس الثالث ١٢٠٠-١١٦٩ق.م .

ويذكر سليم حسن فى كتابه مصر القديمة الجزء الرابع صـ٥٦ : حيث يقول الواقع ان الهكسوس قد قضى عليهم فى مصر بوصفهم أمة مستعمرة غازيه

كانت تحتل مصر على يد احمس الاول ولكنه لم يكن قد قضى على نفوذهم الثقافى فقد استمرت ثقافتهم تطبع الحياة المصرية بطابعها الخاص الى مدة لايستهان بها فى عهد الاسرة الثامنة عشرة . اما من جهة كنعان (فلسطين) فأنا نعتقد ان تحتمس الثالث قد ضرب الهكسوس ضربة قاصمة قضت على اطماعهم وعلى وجودهم ونفوذهم فى آسيا ولكن مع ذلك نجد ان دم الهكسوس وطرق حياتهم وعاداتهم قد تغلغلت فى نفوس اهل كنعان سكان فلسطين كما نجد ذلك عند وفود القبائل السامية على هذه البلاد . وقد كان الكنعانيون يؤلفون معظم السكان عندما جاء رؤساء قبائل الهجرة الاولى من بلاد ما بين النهرين (مسوبوتامسيا) وكان الاموريون يسكنون الاراضى المرتفعة التى لم يكن فيها سكان متوطنون بكثرة وكانت هذه فرصة ليجد المهاجرون الساميون مكاناً يأوون إليه وهؤلاء الجدد العموريين والادميون اقوام صغيرة كانوا يحتلون الاماكن البعيدة عن الجهات المطروقه . وقد تزاوج المهاجرون الجدد بهؤلاء الكنعانيون والاموريون فكانوا خليطاً من السامين الحورين والخيتا واقوام لاينسبون الى الجنس السامى وقد نبذ المهاجرون الجدد لهجتهم السامية القديمة وتكلموا باللهجة الكنعانين والواقع ان اللغة الفنيقية واللغة العربية القديمة ، كما جاء فى العهد القديم هما لغة واحدة لتميز كل منهما بلهجتها وعلى كل حال فقد انتشرت الثقافة الكنعانية فى كل فلسطين وسادت الثقافة المادية الفنيقية والكثير من العبادات والعادات والشعائر الدينية الكنعانية وكان الكنعانيون أو الفنيقيون (فرع منهم) اول من نشر فى العالم نظاماً خاصاً للكتابة بالحروف الهجائية وبين سنتى ١٥٠٠ق.م–١٢٠٠ق.م تسرب الاراميون السريان الى فلسطين وشمال سهل البقاع الواقع بين جبل لبنان الشرقى والغربى وحوالى ١٥٠٠ق.م نزل الانباط . وقد سكنوا فى بادية الشام وشمال فلسطين وجنوب سوريا ، وقد اطلق عليهم اليونان اسم Nabataei ولم

تعثر على اخبارهم الخاصة بحملات الاشورين على بلاد الشام ومصر وانما جاءت اخبارهم في كتابات الاغريق وقد اتخذوا لغة الكتابة النبطية وهى خط ارامى نسطورى الخط الارامى القديم ويقال ان نزولهم كان فى الارض الواقعة الى الشمال الشرقى من شبه جزيرة سيناء وهكذا ظهرت العناصر الكنعانية السامية العربية القوية على ارض فلسطين وعلى الشاطئ السهلى الفلسطينى الذى يسمى إذ ذاك ارض شبلاح Shephelah وفى منخفض نهر الاردن وهؤلاء القوم يمتون بصلة القربى والدم والسلالة الى الكنعانين والعمورين والذين انتشروا حتى وصلوا شرقاً الى كلديا فى عصر مبكر وقد سموا باسم العرب منذ القرن الحادى والثلاثين قبل الميلاد ٣١٠٠ق.م .

وقد خضع الكنعانيون فى معظم الفترات التاريخية للسيطرة المصرية فإن لم تكن السيطرة المصرية فإن بابل واشور واكاد وكلدانيا قد اخضعت هذه المناطق لنفوذها عندما يكون النفوذ المصرى ضعيفاً ومن ذلك فإنه فى الثلث الاول من الالف الثالثة قبل الميلاد وحوالى ٢٣٠٠ق.م فإن دولة اكاد العربية السامية قد ضمت كنعان فيما ضمت من اراضى الهلال الخصيب بما فيه فلسطين ولقد كان امتداد الدولة التى انشأها سرجون الاكادى الى اراضى كنعان سبباً فى ظهور الاختلاط والمزج والمصاهرة والانصهار مع العرب القادمين من بلاد ما بين النهرين وقد ظل الكنعانيون والاراميون والعاموريون طيلة خمسة قرون يختلطون مما ادى الى قيام امبراطورية سامية عربية ولكن هناك بعض المصادر التى تذكر ان الكنعانين كانوا هجرة واسعة سبقتهم هجرة الاموريون .

ومن ثم فإن هذه الهجرات تكون على هذا المنوال حيث ان هؤلاء الاقوام هم الاموريون والكنعانيون والاراميون وكان لكل قوم من هؤلاء مركز جاذبية خاص به واتصال بمصر ففى العهد الاموى كان مركز الجاذبية للشئون السورية فى

الشمال حول حمص وحماه ودمشق اما فى العهد الكنعانى كانت القوة فى جنوبى فلسطين وكذلك كان على الشاطئ ايضاً وفى عهد الارامين كان مركز القوة فى الداخل وقد بقى الكنعانيون يمسكون بزمام الأمور مدة طويلة ونشروا ثقافتهم الكنعانية فى كل المناطق المحيطة بهم ونشروا عاداتهم وتقاليدهم واعرافهم واصبح النمط الكنعانى هو الذى يسود حياة هذه القبائل وقد تعرض الكنعانيون فى فلسطين للزحف من القبائل الفالستيه حوالى ١٥٠٠ق.م-١٨٠٠ق.م الذين سكنوا ساحل جنوب فلسطين وأسسوا بعض المدن فى الداخل وتم للفلسطينين (الفالستيه) الاستيلاء على الارض واستولوا على بلاد الساحل وقد جاء اهل مدين الى فلسطين للاستقرار بها مستعملين للمرة الاولى الجمل الاليف وبذلك ظهر سلاح جديد للحرب برهن على انه ذو مفعول مخيف وبخاصة فى الغارات البعيدة المدى وفى الواقع انه حدثت هجرات عديدة الى فلسطين لاتزال غامضة من جنوب أسيا الصغرى ومنطقة بحر ايجه فى نهاية القرن الثالث عشر ق.م وبداية القرن الثانى عشر نتج عنها انفصال قبائل باكملها قامت لتبحث عن مواطن وهاجرت جماعات منها قبائل الفلسطينين وقد ساروا براً وبحراً نحو سوريا ووصلوا الى الساحل المصرى ولكنهم استوطنوا بصفة دائمة على الساحل الجنوبى السورى ومن ثم اطلقوا عليه اسم (فلستيا) وهناك قبائل عربية اخرى تدعى تكر Tieker استوطنت بالقرب من نهر الكرمل فى بلاد "دور" والساحل والداخل الذى استوطن فيه الفلسطينيون يمتد من غزه حتى جنوب يافا والمدن الهامة التى اسسوها هى غزه وعسقلان واشدود والكرون وغاث والتى يحتمل ان تكون عراق المنشيه على مسافة ٦,٥ ميل غرب بيت جبرين وقد حافظت هذه القبائل على اسمائها السامية تحت نظام الحكم الجديد وكانت بلدة غاث ابعد مدينة لهم بالداخل وكانت سياستهم الاختلاط والانصهار بالكنعانين حيث انهم جميعاً سلالة سامية وفى

الوقت نفسه السيطرة على الساحل والداخل من المناطق الى خلف الشاطئ وكانت جبال الكرمل الى الحد الفاصل بين اقليمهم وبين الفنيقين فى الشمال وقد اخذوا ينتقلون من الشريط الساحلى الى الداخل فاستولوا على عدة بلاد ومدن كنعانية نازعين سلاح الاهالى وكانت المدن الخمس التى اسسوها منظمة فى حكومات مدينة كل منها يحكمها سيدها ومن كل هذه المدن كانت تتألف حكومة اتحادية بالاختلاط مع سكانها الكنعانين ويبدو أن اشدود كانت صاحبة السيادة وقد بلغت قوة الفلسطينين اوج عظمتها فى النصف الثاني من القرن الحادى عشر ١٠٥٠ بعد قدومهم بعدة قرون وقد كانت للفلسطينين اليد العليا على كل فلسطين وقد تفوق الفلسطينيون على السكان السابقين لهم من كنعانين وامورين واراميون بما لديهم من اسلحة يتوقف صنعها على صهر الحديد واستعماله للاسلحة اللازمة للدفاع والهجوم . وقد استغل الفلسطينيون صناعتهم للحديد لدرجة انهم احتكروا هذه الصناعة ولم يعلموها لأحد . وقبل دخول الفلسطينين ارض كنعان لم يستعمل -الخيتا- الحديد فى باكورة القرن الثالث عشر ق.م إلا قليلاً ولم يستعمل هذا المعدن بصفة عامة فى بلاد سوريا إلا عند دخول الفلسطينين . اما الكنعانيون اقدم من سكن فلسطين من السامين الذين تعلموا من الفلسطينين استعمال العربات المصنوعة من الحديد وكانت له فائدة حاسمة فى قهر من اراد ان يغزو كنعان من العبرانين فقد كانوا قد علموا القوم صناعة البرونز ثم الحديد وقد تعلم الفنيقيون استعمال الحديد فى بناء السفن وبذلك رفع الفلسطينيون درجة الثقافة السورية من استعمال البرونز الى درجة ارقى وهى استعمال الحديد وبهذا نرى انه إذا كان الكنعانين قد ادخلوا صناعة البرونز الى فلسطين فإن الفلسطينين ادخلوا صناعة الحديد ايضاً وانهم اورثوا جيرانهم وفرع من السامين هم الفنيقين الابحار فى عرض البحار والاتجار بواسطتها . وما خلفه الفلسطينيون من ثقافتهم المادية فى

صور الفخار وادوات زراعية وادوات كثيرة من الحديد وبمرور الزمن انصهروا بالكنعانين وضمتهم البلاد وسادت الصفة الكنعانية وبدأوا يذوبون فى الكنعانين باعتبار انهما جميعاً ساميين . ومن اسم الهتهم (داجون) إله الحب نعلم انه مأخوذ من طائفة الالهة الكنعانين وكان مركز عبادته اشدود اما قصر عبادة (عشتاروت) فكان بلدة (عسقلان) وكانت للفلسطينين معابدهم الكثيرة . وكان يطلق عليهم بلست (فلسطين) وهم الفلسطينيون الذين ذكروا فى التوراة وقد ظهر اسمهم فى عهد رمسيس الثالث (١٢٠٠-١١٦٩ق.م) وكان لهم اهمية عظمى فى ذلك الوقت وقد ارتبط اسمهم بكنعان وكما جاء فى النقوش من عهد رمسيس الثالث وكان رسول كنعان قد ارسل من فلسطين الى مصر فى عهد الاسرة الثانية والعشرين وإن كانت تعود الى قبل ذلك بكثير وكانوا متصلين بالاقوام الاخرين الذين كانوا يماثلونهم فى الشكل والاسلحة وكما سبق القول كانوا يسكنون الساحل من جهة الجنوب وقد اطلق واقترن بليست (فلسطين) بكنعان (سليم حسن. مصر القديمة ج٧ ص٧٩) وهذا يعضد عروبة وسامية الفلسطينين وهم لايختلفون عن الساميين وليسوا هم جنس اجنبى كما يحاول ذلك العبرانين اليهود لابعاد أية صلة بالفلسطينين واجدادهم الكنعانيون وانهم عند قدومهم فلسطين ساروا براً مخترقين الصحراء وكانوا قاصدين شمال سوريا ثم اتجهوا بعد ذلك جنوباً وفى هذه الهجرة كانت نساؤهم واولادهم يستعملون العرابات التى تجرها الثيران القوية التى نراها فى الموقعة البرية فى نقوش مدينة هابو واستعمال الثيران كان كثيراً فى بابل واشور وكلديا وآكاد وهذا يتعارض مع ما ذكر فى التوراة أو فيما كتبه الاغريق عن ان الفلسطينين قد جاءوا الى فلسطين من كريت أو جزر بحر إيجا ومن المؤكد ان كريت لم تكن الموطن الاول للفلسطينين فإنهم لم يهاجموا فلسطين من جهة البحر بل من الشرق والشمال وبذلك يكون الفالستين

(الفلست) امتداد للهجرات السامية العربية حيث اجمع معظم المؤرخين على انهم ساميون قبل انصهارهم مع الكنعانين وقد كانت كنعان (فلسطين) اثناء حكم ملوك الاسرة الحديثة فى الاسرة الثامنة عشرة تحت حكم الفراعنة وان الصلات السياسية والتجارية مع السامين الاسيويين وبصفة خاصة كنعان وفنيقيا سلكت طرقاً عدة منها الطريق البحري مروراً بفلسطين الى شواطئ لبنان ومن هذه الموانئ الشرقية التى شهدت فيما بعد عظمة الفنيقين وتقدمهم التجارى والحضارى وتعاونهم مع الكنعانين حيث كانت منتجات الاراضى الداخلية ومنها طريق القوافل المارة بغزه وشاطئ فلسطين وكانت سوريا على صلات مستمرة بمصر الفرعونية حوالى منتصف عهد الملك سنوسرت الاول (١٩٥٠ق.م) وبعد فترة من الزمن فإن الفلسطينين ظلوا يحكمون مدنهم الخمس وإن كانت الكتب القديمة فى اواسط القرن الخامس قبل الميلاد اطلقت عليهم اسم الاشدودين بدلاً من الفلسطينين لأنهم ظلوا فى اتحاد مغلق ولم تقم بينهم وحدة كاملة . اما الفنيقيون فقد كانت لهم حكومات مدنيه تطورت ونمت واتسعت مثل صيدا وصور بيلوصى (جبيل) وغيرها من المدن الشمالية شمال فلسطين ولما كانت الحدود السياسية لم تعرف فى ذلك الحين كالحدود السياسية فى العصر الحديث مثلما ما بين فلسطين وسوريا ولبنان فى العصر الحديث ولما كان الفنيقيون ابناء عمومة الفلسطينين الكنعانين وسكنهم مجاور لهم فمن هنا يحق لنا فى تلك الدراسة الحديث عن الفنيقين باعتبار الصلة الوثيقة بين الفلسطينين والفنيقين على مر العصور ويمكن اعتبار هؤلاء السامين جزء من سكان شمال فلسطين بل انهم حقيقة انثربولوچيه وسلاليه وچينيه هم جزء من الشعب الكنعانى الذى تفرعت منه هذه الفئة لاسيما ان العديد من المؤلفات اعتبرت الفنيقين جزء من الكنعانين .

وقد ذكر ماير Meyer ان صيدا ينسب الى صيدا بن كنعان وقد كانوا

يسكنون ارض كنعان ويسمون الصيداوبين وان لفظ فينقيا لفظ مصرى قديم (فتحو) وكان المصريون يطلقونه على البقاع السهلة من ارض آسيا التى تشمل المروج حول شرونه (البقاع) ووادى الاردن والساحل الفنيقى وكانت الى الشمال من مدينة عكا تبدأ البقاع الساحلية التى اسماها المصريون (زاهى) ثم اطلق عليها الاغريق (فينقيا) وهناك امتدت منازل الفنيقين ولم تكن دولة بالمعنى المعروف وانما نظام حياتهم كان اشبه بنظام المدن الإيطالية (بيزا - چنوه - البندقية) ولم تكن لهم حكومة مستقلة وقد خططوا لحكم المصريين والاشورين . وهم سلالة كنعانية وقد بسطوا سلطانهم على ارض الفنيقين وان الساحل الفنيقى هو جزء من ارض فلسطين وان الفنيقين كانوا يحملون الانبذه والبخور الى المعابد المصرية فى عصور الدولة الحديثة وما قبلها منذ ما قبل عصر الاسرات ومن اشهر مدن الفنيقين التى لعبت دوراً خطيراً فى تاريخهم وتاريخ من جاورهم من الامم تلك المدن الساحلية مثل صيدا ، بيروت ، صور ، بيلوصى . وقد ارتاد الكنعانيون تلك المدن ولعل نسبتهم الى صيدا ابن كنعان وان كان بعض المؤرخين يرى ان الكنعانين قد كانوا يزاولون فى مياهها صيد الاسماك وان اسمهم يتصل بهذه الحرفة .

وفى شمال لبنان والبقاع نزل قوم من الساميين يقال لهم العموريون وهم اقرب القبائل السامية الى الكنعانين وقد جاء اسمهم فى الاصحاح الرابع عشر فى سفر التكوين وكذلك العمالقة والاموريون . والعموريون كانوا يسكنون حصون (تامارا) وقد كانت فلسطين ومدن الساحل الفنيقى وقراه معمورة بقبائل اخرى من بينهم الكنعانيون الذين كانوا يتكلمون اللغة الكنعانية التى اشتقت منها الفنيقية .

والى الشمال من ذلك انتشرت منازل الارامين فى وادى العاصى ممتدة الى دمشق وهم من الساميين واكثرهم من القبائل الرحل الذين كانوا يتنقلون فى الصحراء السورية .

وقد هاجر الفنيقيون الى تلك المنطقة عندما بدأت الغزوة الحيثية للعراق حيث ان الموطن الاصلى لهؤلاء القوم كان على شاطئ الخليج العربى ثم عبروا الصحراء الى شاطئ البحر الاحمر ثم الى شاطئ البحر الابيض المتوسط حيث وجدوا على شواطئ سوريا موانئ تصلح لميولهم البحرية وكانوا يخالطون الكنعانين ابناء عمومتهم أو اخوانهم ويجاورنهم شمالاً . ويطلق اسم فنيقية على شاطئ فلسطين الى الشمال من مدينة صور والتى كانت فلسطين ومدن الساحل الفنيقى يسكنها الكنعانيون الذين كانوا يتكلمون اللغة الفنيقية هى فرع منها . والغالب ان الهكسوس قد جاءوا الى فلسطين أو جنوب أو شمال لبنان بعد خروجهم من مصر فى عهد احمس الاول بل ان هناك بعض المؤرخين يرون ان الهكسوس هم من الفنيقين ثم اخرون يسمونهم عرباً والآثار المصرية تسميهم آسيوين وكانت عقائدهم الدينية شديدة الشبه بعقائد الكنعانين ولاشك ان الهكسوس هم جماعة اندمج فيها العموريون والكنعانيون .

وكما سبق القول فإن فترة الاضطرابات التى سادت مصر وتولى فيها الكنعانيون والبابليون حكم بعض مناطق من مصر فى شرق الدلتا لم ينتهى إلا فى عهد الاسرة العشرين بتولى رمسيس الثالث حكم مصر فقد كان آخر ملوك مصر العظام وقد عمل على إعادة وحدة كنعان التى كانت تضم ثيلاج وزاهى (فنيقيا وكنعان) مع مصر وهناك اشارة الى معبد اقيم لرمسيس الثالث وامون فى احدى مدن زاهى (فنيقيا فى ارض كنعان .

ويذكر الدكتور جمال حمدان فى كتابه اليهود انثربولوجياً ص١٠ ان هناك جزء من الكنعانين كان قد رحل منها الى الساحل اللبنانى حيث عرفوا بالفنيقين وهم المشهورين فى التاريخ القديم والذين انتشرت كتاباتهم الفنيقية التى استعارها منهم كثيراً من الشعوب وكان الفنيقيون فى حوالى الالف قبل الميلاد

أو اكثر قليلا قد استطاعوا بواسطة تبسيط اللغة الهيروغليفية ان ينشئوا ابجدية للكتابة انتشرت عالمياً لأنهم كانوا يتبادلون الصلات مع المصريين والتى اصبحت تعرف باللغة الارامية وهى العربية القديمة وكان الاراميون قد اقتبسوا من الفنيقين ابجدية انتشرت بانتشار تجارتهم وغزت فيما بعد سائر اقطار الشرق القديم وحلت محل اللغة الهيروغليفية المصرية والخط المسمارى البابلى .

كان الكنعانيون هم النواة السامية التى سكنت فلسطين (كنعان) ثم اضيفت اليها القبائل السامية الاخرى كالفلسطينين والسوريين والارامين والعمونين والمؤابين والادمين فى بلاد ذات رقعه ضيقة ولكن موقع كنعان بين عواصم النيل وعواصم دجله والفرات هذا الموقع جعلها نقط لقاء هاتين الحضارتين وجاء بالتجارة الى هذه البلاد مما جعل الكنعانيون يعملون فى حركة النقل البرى ولم يجد الكنعانيون فى ظروف الصراع الدائر بين هذهٔ القوى سوى الانضمام الى احد الطرفين فى الصراع القائم بين الامبراطوريات الكبرى أو اداء الجزية التى غالباً ما كانت تدفع لمصر وقد تعرضت كنعان كثير للاجتياح وقد امتدت تلك الحضارة الى فلسطين .

وكما سبق القول أن الكنعانين ساميون لايتميزون أو يختلفون اختلافاً كبيراً عن غيرهم من الساميين سكان آسيا الغربية وقد اختلطت بهم بعض السلالات السامية الاخرى التى قدمت الى فلسطين . ولقد كانت اللغة الكنعانية هى السائدة والمشهورة والتى وجدت على بعض الآثار فى فلسطين ولم تكن تختلف كثيراً عن لغة الفنيقين أو المؤابين وكانوا يكتبون بحروف هجائية وثيقة الصلة بالحروف

الفنيقية لأن صلة الدم والرابطة قاربت من اللغة ومفرداتها . وفى عام ١٩٣١ عثر فى كنعان على قطع من الخزف من بقايا العصر البرونزى (٣٠٠٠ق.م) عليها اسم آله كنعان يسمى (ياة أو ياهو) وهو احد الالهة الذى اتخذه اليهود الهاً لهم جميعاً New York Times 9May , 1931 وكان آله الكنعانين والحثين والحويين الذين يسكنون كنعان ولقد كان للموابين الههم ثمش وكان (يلزيون) آله عكرون ، وملكوم آله عمون ذلك لأن النزعه الانفصالية فى فلسطين كانت تتملك نفوس اولئك القوم من الناحية الاقتصادية والسياسية وقد ادت بطبيعة الحال الى ما يمكن ان نسميه استقلالاً دينياً ولعلهم اخذوا شيئاً من عبادتهم عن المصريين وإن ظلت اقلية كبيرة من الشعب تسجد للحجارة المقدسة أو تعبد الإله بعل أو عشتروت أو تركع أمام الحية النحاسية أو العجل وقد ادى ذلك الى حدوث انقسام بين الكنعانين مما اطمع الاعداء فى غزوهم فى عقر دارهم ومحاولة السيطرة عليهم .

وقد وقعت كنعان واقاليم الشام تحت سلطان الهكسوس ايام قيام دولتهم فلما نهضت مصر على ايدى فراعنة طيبه (سقنن رع - كاموس - اح موسى) وانكسرت شوكة الهكسوس فى معركة (اوارس) قبل واقعة (شاروهى) انقسمت البقاع السورية واقاليم فلسطين الى امارات صغيرة يقوم على حكمها عدد من الامراء فمنهم من كان يمتد اصله الى الكنعانين أو الارامين أو العمورين أو الى اصول سامية ورسائل تل العمارنة اكتفت بتسمية تلك القبائل باسم الكنعانين سكان فلسطين وشمل هذا الاسم كل سكان الشام يومئذ على ان تلك التسمية لم ترد فى النصوص المصرية قبل ايام (امتنوفوس الثانى) الذى اسر منهم اكثر من ٦٤٠ شخص فى طريق عودته الى الوطن فى حملته الاولى .

ورسائل تل العمارنة (انظر سليم حسن - مصر القديمة ج٧ ص٢٧) تعد اكثر من ستين (٦٠) امارة من تلك الامارات الاسيوية التى اتصلت سياستها بالمصريين والغالب انها كانت اكثر من ذلك ومن وثائق تحتمس الثالث تعداد لست وعشرين ومائة امارة من تلك البقاع التى تحالف امراؤها مع امير قادش ثم رابط بهم فى مجدو فسار إليه تحتمس الثالث فرعون مصر وهزمه وكان المعتقد قبل ذلك ان اسم الكنعانين لم يرد فى النصوص المصرية ايام الاسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠-١٠٩٠ق.م) ثم كشفت الابحاث بعد ذلك عن لوح تاريخى كبير سجل عليه (امنبوفس الثالث) اخبار حملتين قام بهما الى الاقاليم الاسيوية والتوراة تؤكد وجود الفلسطينين فى فلسطين حتى بعد العودة من السبى البابلى فى زمن قورش ملك الفرس فى القرن السادس قبل الميلاد ٥٣٨ق.م وقد غمر الكنعانيون ومعهم بدو الصحراء اكثر تلك الاقاليم من سوريا وفلسطين وكان المصريون يطلقون عليه اسم (الشاسو) وهو اسم اطلقه المصريون على عرب آسيا جميعاً .

وهكذا نرى بوضوح كيف ان فلسطين هى ارض الكنعانين الساميين الذين كانوا اول من سكن فلسطين منذ الالف الخامسة قبل الميلاد اى منذ سبعة الاف عام هى ارض عربية سامية ولا ادعاء للعناصر الوافدة من شتى انحاء العالم بادنى حق لها فى فلسطين (راجع كتابنا : هل لاسرائيل حق تاريخى فى فلسطين - مكتبة العربى - القاهرة ٢٠٠٠) .

وفى بداية العصر الحديدى اى حوالى ١٢٠٠ق.م تعرضت فلسطين (كنعان) لغزوات من الفلسطينين Philistnes وغيرهم من الشعوب السامية وقد تحارب

الفلسطينيون مع بعض البدو وهزموهم فى عدة معارك والفلسطينيون مصطلح يطلق على القبائل التى استوطنت شاطئ كنعان الجنوبى الغربى من غزه جنوباً الى يافا شمالاً وقد جاءوا الى فلسطين حوالى عام ١١٩٤ق.م . وقد جاء ذكرهم فى عدد من المصادر المصرية القديمة حيث اسموهم (بليست) وكذلك فى المصادر الاشورية حيث اسموهم فليستوا أو بالستو ، ويدل الخزف الذى أدخلوه الى فلسطين على تقدمهم وكان المؤرخ هيرودوت أبو المؤرخين هو الذى اطلق على المنطقة التى احتلها الفلستيون اسم فلستيا Philistia وكانت تشمل خمس مدن هى اشدود العاصمة - غزه - عسقلان - عفرون - جات ولكنهم استوطنوا مدناً اخرى داخلية واسسوا مدينة اللد . وقد خضع الفلستيون فى القرن السابع ق.م لاشور ثم لمصر وبعد ان سيطرت عليهم الامبراطورية البابلية فاختلطوا ببقية الشعوب السامية المحيطة بهم واندمجوا معهم وصاروا جزء لايتجزأ من الكنعانين السامين الذين سبقوهم الى هذه الديار .

وقد تطور معنى كلمة فلستى Philistine عبر التاريخ وطرأت عليه تغيرات مهمة فهى تعنى بالنسبة للإنسان الغربى الفلسطينى القديم ، وهكذا فإن امتزاج العناصر الفلسطينية مع غيرها من الشعوب العربية السامية التى كانت تسكن فيها وامتزاج هذه القبائل مع من سبقها أدى الى ظهور العنصر الكنعانى الفلسطينى الذى ترسخت اقدامه فى هذه الارض منذ اربعة الاف عام قبل الميلاد وانتشرت ثقافة سامية واحدة هى الثقافة الكنعانية ولغتها الكنعانية وانصهرت هذه الشعوب فى حضارة واحدة اصلها كنعانى بكل ما تحمله من مظاهر حضارة فى

المعيشة والسكن والتجارة والصناعة والزراعة والعادات والتقاليد والعبادات .نتى كانت توجد منها آلة متعددة كلها ذات اصول كنعانية ولم تكن الهجرة الفلسطينية إلا اضافة لهجرات عربية سامية كلها تصب فى سامية هذه الشعوب وعروبتها ولم تكن هجمة القبائل البدوية الرعوية من قبائل (الخبيرو) أو العبرانين إلا عبوراً لفلسطين فى فترة زمنية ولم يكن لهم كيان سياسى أو اقتصادى منفصل عن السكان بل كانوا لاجئين انتشروا فى ارجاء العالم القديم بعد ان مكثوا فترة بسيطة فى فلسطين لاتزيد عن سبعين عاماً (٧٣ عام) اقاموا كيان سياسى منقوص السيادة فى عهد داود وابنه سليمان وهذا الكيان كان مقتصراً على بعض القرى فى وسط فلسطين ولم يتجاوز هذه المدن حيث كانت فلسطين تخضع للحكم الخارجى من المصريين والبابلين والاشورين والكلدانين والاكاديين والحثيين بل ان النفوذ الفنيقى المجاور لهم شمالاً قد اثر فى هذه المناطق الفلسطينية لاسيما من الامورين (العمورين) وغيرهم من الشعوب وهكذا فإن كنعانية فلسطين تمتد اربعة الاف عام قبل الميلاد .

وبعض الكنعانين استقروا فى كنعان بينما استمر البعض الآخر فى طريقه الى مصر وقد استعار من توطن كنعان من الكنعانين السابقين لغتهم وكتباتهم وديانتهم وذلك حوالى ١٤٠٠ق.م .

At the Begianing of the second millenncaum Blc arrived in Canaan anomd coming from Mesopatomia

وقد ظهرت بعض الولايات الكنعانية في كنعان اسسها الكنعانيون Canaanits هذه المدن كان يطلق عليها المدن الكنعان the city state of Canaan ثم قدمت قبائل الارامين Aramaean وكان هناك الكنعانين Canaanties والحثين Hithtes والعمورين Ammoniltes حول عمان Amman والمؤابين Moabities فى شرق البحر الميت Totheeast of the dead sea وكذلك الادومين Edomittes فى الجنوب الشرقى وكذلك الفلسطينين Phlestinais والذين كانوا يسكنون جبل الكرمل . وقد ظهر لفظ اسرائيل حوالى ١٢٢٥ق.م عند انتصار فرعون مصر مرنبتاح Merneptah والذى يذكر فى هذه اللوحة انه عندما سيطر على المدن الفلسطينية فإنه ايضاً دمر اسرائيل وقبائل بدوية تعيش على اطراف المدن .

وقد ذكر انه دمر اسرائيل Israel had been destroyed وجميع نسلها وسلالتها ولم يذكر شئ عن اسرائيل كدولة أو كيان سياسى فى هذا النص ولكن قبائل بدو رحل لا مكان استقرار دائم لها وقد تم العثور كما سبق القول عدة مرات على اكثر من اربعمائة لوحة طينية فى رسائل تل العمارنة فى ملوى بمحافظة المنيا بصعيد مصر وذلك فى عام ١٨٨٧ فى عاصمة امنيوفيس الرابع Amenophis (اخناتون) Akhenato والذى حكم ١٣٧٥-١٣٥٨ق.م حكم سبعة عشر عاماً والتى تشتمل على مراسلات بين الفرعون وامراء فلسطين وسوريا حكام هذه المدن والتى لم يرد فيها اى ذكراً واثر لاسرائيل .

وفى العصر البرونزى Bornza Age منذ اربعة الاف سنة قبل الميلاد

وسكن الكنعانيون Canaan منطقة فلسطين وتحدثوا اللغة الكنعانية حيث كانت الارامية Aramaic هى لغة الكنعانين The Langauge of Canaan وفى الفترة ما بين ٢٢٠٠–١٩٠٠ق.م قدمت الى فلسطين عناصر سامية بدوية Nom-ods ولكن فى العصر البرونزى الاوسط Middle Borze Age وفى الفترة ما بين ١٩٠٠–١٥٥٠ق.م ظهرت فى فلسطين حياة المدن والحضارة والتقدم وفى القرن السادس عشر قبل الميلاد خضعت المنطقة لحكم فراعنة الاسرة الثامنة عشرة المصرية واصبحت فلسطين سوقاً للمصريين وهكذا منذ اكثر من عشرة الاف سنة (هكذا يقول المفكر الفرنسى المسلم (Garaud) اصبح الكنعانيون فلسطينيون وفى تلك الفترة لم يكن العبرانين Hebrews قد ظهروا فى اى وقت من الاوقات ثم جاءت موجة كنعانية اخرى فى بداية القرن الثانى عشر قبل الميلاد .

وكانت القبائل السامية التي يطلق عليها الفلسطينيون Palestinians قد استقروا ما بين جبال الكرمل والصحراء Bitween Mount Carmel and desert والفلسطينيون ينحدرون من الكنعانين.

The Palestinlans are descanded from canaanites

والذين يسكنون فى فلسطين منذ خمسة الاف سنة منذ بداية التاريخ على الاقل.

Wholived in palestine Five thousond Years Age at least

ومن الفلسطينين اخذ هذا القطر اسمه .

From Pilistines Whogave the cauntry its name phlestine in Arabic.

ولقد كان هؤلاء الفلسطينيون يسكنون هذه الاراضى منذ بداية التاريخ ولقد كان الفلسطينيون الكنعانيون والفلسطينون اول من سكن هذه الديار The First occup lers are these palestinians who have inhabited the country since the dawn of history وعندما قدم العبرانين (الخبيرو) The Apiru أو Hebreuis فإنهم وصفوا انفسهم Asaslave كعبيد للكنعانين الذين اسسوا التاريخ الفلسطينى They estabished them in the History of palestine ويقول جارودى فى كتابه (دراسة عن الصهيونية السياسية Garoudy : The Case of Israel انه لايوجد على الإطلاق ما يسمى بالجنس اليهودى Jewish Race بل اجناس متعددة ولاتوجد امة يهودية Jewishnation بل امماً وشعوباً مختلفة ولايوجد تاريخ يهودى Histrocal Jewish ولكن توجد ديانة يهودية Jewish Religion وان سكان اسرائيل الحاليين هم يهود اتراك عناصر تركية مغوليه Turkish Jewish State وراجع كتابنا (شعوب اسرائيل وخرافة الانتساب للسامية العربى ، ٢٠٠١) من سلالة قبائل دولة الخزر Khazars من جنوب شرق روسيا اقاموا هذه الدولة اليهودية ما بين القرن الثامن حتى العاشر الميلادى والذين اعتمدوا على الاتراك فى انتشار العقيدة ما بين المغول والعناصر التركية Turkish أو الفنلنديين Finno وبعض العناصر السلافية Saivic ثم انتشرت اليهودية فمن هناك إلى الصين والذين اصبحوا صينين . The Jews of China become Chinese

الفصل الثالث

الكنعانيون (اليبوسيون)

وتأسيس يبوس (القدس) عاصمة كنعان

من المعروف كما سبق القول في الفصل الاول من هذه الدراسة أن أبناء كنعان أول من اقام في فلسطين هم احد عشر ابناء وأن يبوس هو الابن الثالث من هؤلاء الابناء من حيث الولادة لكنه كان اكثرهم انتشاراً هو وأخيه حث ، صيدون وأن كان صيدون تحرك شمالاً واسس مدينة صيدا اما حث فقد شاركه الحياة في فلسطين وان ابراهيم عليه السلام قد وفد على الحثيين اخوة اليبوسين عند قدومه من بلاد ما بين النهرين (الرافدين) ولقد تكاثر نسل اليبوسين وانتشروا في طول البلاد وعرضها ومن ثم رأوا ان يكون لهم عاصمة أو مدينة كبيرة تكون مقر الحكم والادارة لسائر انحاء فلسطين وقد كان لهم في فلسطين خمس مدن هي (يبوس) وحبرون (الخليل) ولاخشي (تل الحسي) وعجلون (خربه عجلون) ويرموث وعراق المنشية . وتذكر التوراة انه عندما تنازع ابراهيم عليه السلام مع ابن اخيه لوطاً فإنه سكن ارض كنعان وتسجل التوراة لسكان كنعان الاصليين في حادث نجدة الكنعانين ابراهيم لابن اخيه لوط عندما وقع اسيراً في حرب بين ملوك الارض . كما تسجل التوراة ايضاً ان ملكي صادق : ملك شاليم (يبوس) اخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله تعالى في يبوس وباركه وقال مبارك (إبراهيم من الله العلي مالك السموات والارض وملكي صادق هذا من نسل يبوس بن كنعان وكان ملكاً على مدينة وولاية (يبوس) .

وقد امتد ملكه فى ارض الشام سوريا ولبنان وفلسطين والاردن كما شمل ملك الكنعانين تل الملح وتل عداد والبحر الميت واتسع حتى شمل جزءاً كبيراً من شرق الاردن ويقول (فلندر بترى) ان الكنعانين اليبوسيون استولوا على مصر فى عهد (مرن رع) من فراعنة مصر عام ٣٢٣٥ق.م وقد كان العموريون والكنعانيون (اليبوسيون) من الد اعداء بنى اسرائيل ولذا اتحدت هذه المدن وحاربت بنى اسرائيل زمناً طويلاً .

وان بيت المقدس كنعانيه يبوسيه عربيه اسسها اصحابها قبل قدوم الغزو والاحتلال اليهودى فى عهد داود عام ١٠٠٤ق.م بأكثر من اربعة الاف عام ومن اسمها الكنعانى اشتق اسمها الغربى الاوربى والعبرى وان ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى لم يملكوها ، بل ان ابراهيم لم يجز لنفسه أن يملك مقدار قبر يدفن فيه زوجته سارة فى أية بقعة من ارض كنعان فالتجأ الى (بنى حث ، اخوة يبوس) اصحاب الارض وقال لهُم انا غريب ونزيل عندكم اعطونى ملك قبر معكم لادفن ميتى من امامى فقبل (بنو حث) طلبه ولكن ابراهيم عرض ثمناً لمغاره كان يملكها (عفرون بن جوهر) ليتخذها مقبرة فرفض عفرون الثمن وعرض المغارة هبه ولكن ابراهيم اصر على الشراء ودفع الثمن لعفرون (اربع مائة شكل فضة جائزة عند التجار - سفر التكوين ٢٣/٣-١٦) .

ومدينة (يبوس) القدس مدينة تاريخية قديمة ورد اول ذكر لها فى النصوص المصرية القديمة الفرعونية فى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد باسم (روشاليم) وكذلك وردت فى رسائل تل العمارنه مركز ملوى محافظة المنيا بصعيد مصر والتى يرجع تاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد باسم (اورشاليم) وتل العمارنة مدينة مصرية اسسها قديماً اخناتون وكان اسمها (اخت - اتون) وكان اليبوسيون هم اقدم سكان مدينة يبوس وهم قبائل كنعانية عربية سامية وكانت فى

عـهـدهـم تـسـمـى (يبـوس) وردت بـهـذا الاسم فى الـعـهـد الـقـديم اربـع مـرات وتؤكـد جميعها عروبة القدس . وجميع المراجع التاريخية القديمة بما فيها كتاب اليهود تؤكد عروبة فلسطين والقدس عبر تاريخها الطويل منذ نشأتها فى العصر البرونزى (٥٠٠٠ الف سنة قبل الميلاد على يد اليبوسين الكنعانين) .

وجاء فى سفر القضاة الاصحاح ١٩ فقرة ١٠ من التوراة قال الغلام لسيده تعال نميل الى مدينة اليبوسين هذه ونبيت فيها فقال له سيده لانميل الى مدينة غريبة حيث لا احد من بنى اسرائيل هناك . لاحظ عهد القضاة كان قبل داود باكثر من اربعمائة عام (القضاة الاصحاح ١٩/١١/١٣) . وكما سبق القول فاليبوسيون اقوام عرب ساميون ينتمون الى قبيلة كنعانية سكنت يبوس والجبال التى حولها (التثنيه) ١/١٧ وايضاً ١٧/٣ . ونظراً لقوتهم لم يستطيع داود القضاء عليهم أو طردهم من يبوس (صـمـوئيل الثـانى ٥/٦-٩ - اخـبـار الايام الاولى ١١/٤/٨) وذهب داود وحمل اسرائيل الى يبوس وهناك البيوسيون سكان الارض ، اخبار الايام الاول ١١/٤) وقال سكان يبوس (القدس فلسطين) لاتدخل هناك اخبار الايام الاول ١١/٥) وكان داود قد دخل يبوس بيت المقدس فى القرن الحادى عشر يبوس ق.م وحدث لداود ما حدث لابراهيم فقد اراد ان يقيم مذبحاً فى بيدر اورنه اليبوس، وعرض اليبوس على داود بيدرة مجانية ولكن داود اصر على دفع ثمن البيدر خمسين شكلاً من الفضة وبنى داود مذبحاً للرب (صموئيل الثانى ٢٤/١٨-٢٥) وهكذا لم يكن داود بعد دخوله يبوس يمتلك فيها شبراً واحداً ولذا اشترى بيارة من (اروحه اليبوس) وهكذا يعترف كتاب العهد القديم بهذه الحقيقة فى سفر القضاة فيذكر بنى بنيامين بأنه لم يستطع احداً على طرد اليبوسين سكان يبوس من ديارهم ولكن خالطوهم وسكنوا معهم وهذا يؤكد ان ارض كنعان عربية . وهكذا كما سبق القول فى الفصلين السابقين فإن الكنعانين كانوا قد

عبروا الى فلسطين من الجزيرة العربية فى هجرة ثانية غير الهجرة الاولى ٤٥٠٠ق.م والثانية فى عصر ملوك الاسرة الحديثة فى مصر (٣١٩٧ - ٢٧٧٨ق.م) واطلقوا على فلسطين اسم كنعان وهجرة الكنعانين اقدم هجرة الى فلسطين (دائرة المعارف البريطانية - الطبعة التاسعة ج٢٩ ، ص١٩٤) وهكذا منذ خمسة الاف سنة تدفقت موجات سامية كنعانية هى التى بنت وأنشأت مدينة القدس منذ اكثر من ثلاثة الاف عام قبل الميلاد وشاركهم العيش فى يبوس العموريون والفنيقيون وغيرهم قادمون من الجزيرة العربية الى فلسطين والشام وكذلك تراكمت موجات عربية الى سوريا وفلسطين (٢٨٠٠-٢٦٠٠ق.م) ومن الثابت تاريخياً وعملياً ان هناك وحدة بين العناصر الانثربولوچيه لاقوام فلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين (فنيقين وعمورين واكادين وكلدانين وبابلين واشورين) كما اشارت التوراة الى قبائل عربية سكنت فلسطين هم الموئبين والعمالقة وبنى قديم وان المدنين ازالوا الإسرائيلين وانهم عرب ويذهب بعض المؤرخين الى ان العمالقة كانوا من الطبقة الاولى من طبقات العرب وكما جاء ذكر ذلك فى القرآن الكريم انها فيها قوماً جبارين وقد جاء فى الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين ان (بنى حث) العرب الكنعانين سكان فلسطين قد قال لهم ابراهيم عليه السلام (انا غريب ونزيل عندكم اعطونى ملك قبر لادفن فيه ميتى) .

وكما سبق القول فلم يرد الرجل ان يبيت بل قام وذهب وجاء الى مقابلة وهى يبوس وهى اورشاليم (سفر القضاة الإصحاح ١٩ فقرة ١٠) وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جداً ، قال الغلام لسيده تعال نميل الى مدينة اليبوسين (القدس) هذه ونبيت فيها فقال له سيدة لانميل الى مدينة غريبة حيث لا احد من بنى اسرائيل هنا نعبر الى جنبه (القضاة الاصحاح ١٩/١-٢٢) وذهب داود وكل اسرائيل الى اورشاليم اى يبوس وهناك اليبوسيون سكان الارض (اخبار الايام

الاول ١١/٤) وقال سكان يبوس لداود لاتدخل فأخذ داود حصن صهيون وهى مدينة داود (اخبار الايام الاول ١١/٥) ونظراً لقوتهم لم يستطع داود طردهم أو اجلائهم عن ديارهم لكن سليمان بن داود هو الذى اخضع اليبوسين لفترة قصيرة لاتزيد عن ربع قرن ودخل بعض اليبوسيون فى اليهودية ولكن ظل العديد منهم على عبادته بل اثروا فى الاسرائيلين حتى بعد الرجوع من السبى البابلى الى يبوس .

إذن فأول من اسس القدس هم العرب اليبوسيون وظلوا يقيمون بها وظلوا عليها وسبوا الى بابل ثم عادوا مع انتهاء السبى وصار لهم حقوقهم وهو ما يدحض منذ ذلك التاريخ البعيد ادعاء النقاء العرقى العنصرى الذى ورد فيما بعد وان اى ادعاء غير ذلك فهو ليس له أى سند تاريخى ذلك لأن القدس لم تكن عبر تاريخها الطويل الممتد من نشأتها من حوالى ٥٠٠٠ الف قبل الميلاد على يد البيوسين وهم كنعانيون رحلوا من الجزيرة العربية ولايمتون بادنى صلة للعبرانين وبذلك كانت القدس عربية اقلية بين سكان فلسطين الاصليين الذين كما سبق القول عدة قبائل عربية كما يعترف العهد القديم بهذة الحقيقة .

وبذلك يتأكد تاريخياً دون الدخول فى تفاصيل ان القدس عربية شأنها شأن فلسطين كنعانية منذ ذلك الزمن البعيد وان القدس مدينة قديمة يرجع تاريخها الى اربعة الاف سنة قبل الميلاد وربما خمسة الاف وقد سميت خلال هذا التاريخ الطويل بعدة اسماء اقدمها أورسالم وهى كلمة قديمة اطلقها عليها اقدم سكانها العرب الكنعانيون (اليبوسيون) وهم من اشهر عشائر العرب الكنعانين ومن اشهر ابناء كنعان هم وحث وصيدون واسسوا هذه المدينة واتخذوها عاصمة لهم حوالى ٤٠٠٠ الاف قبل الميلاد واستوطنوا بها ودعيت بهذا الاسم نسبة الى زعيمها يبوس وتتكون من مقطعين هما اوروا وتعنى المدينة واسالم تعنى السلام وقد حرفها

الاكاديون اورسالم وهم شعب عربى سامى من ابناء الكنعانين . ويرى احد الباحثين وهو فيليب حتى فى كتابه تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ترجمة كمال الباز ، بيروت ١٩٥٩ ط١ ص٧٢ . ان اسم اورسالم مشتق من الكلمة الكنعانية باورشاليم بمعنى «دع سالم» يؤسس وسالم هم اسم السلام عند الكنعانين وقد عرفت بيت المقدس باسماء اخرى فى تاريخها الطويل مدينة ايبوس وهم الاسم الكنعانى العربى الذى اطلق على المدينة عندما كان يحكمها الملك الكنعانى اليبوسى الملقب بالملوك وكان الكنعانيون قد اتخذوا القدس عاصمة لهم ولكن شيشتق الاول ملك مصر الليبى الاصل اعاد القدس الى السيادة المصرية عام ٩٢٥ق.م ، وقام بتمزيق بعض القبائل التى تسكن بالقرب من المدينة الذين كانوا لازالوا لاجئين غرباء عن كنعان واحفادهم الفلسطينين .

ونقرر هنا حقيقة علمية ان اسم اورشاليم والمدنية المقدسة والمدينة صهيون قد وردت جميعها فقط ضمن اسفار الانبياء الاول يشوع والقضاة صموئيل الاول والثانى والملوك الاول والثانى والانبياء الاواخر اشعياء وارميا وحزقيال وغيرهم وكذا وردت ضمن المكتوبات التى تشتمل علس اسفار المزامير والامثال وايوب وفى سفرى اخبار الايام وجميع هذه الاسفار تحمل فى قدسيتها الدينية المرتبة الثانية بعد القسم الاول وهو التوراة وجميعها تعرض فى تاريخ انبياء بنى اسرائيل الذين ارسلوا بعد موسى والتوراة تشتمل على الاسفار الخمسة التى نزلت على موسى عليه السلام فى جبل سيناء وكتبها بنفسه ومن هنا تأتى قدسيتها ولم ترد كلمة اورشليم فى متن هذه الاسفار الخمسة بل وردت كلمة اليبوس أو يبوس نسبة الى يبوس المدينة التى من المؤكد انها لن تعرف باسم آخر حتى هذا الوقت حيث وردت بهذا المعنى فى سفر التكوين اصحاح ١٠ فقرة ١٦ وكذا الإصحاح ٢١/١٥ صريحه فى نفس السفر الخروج الاصحاح ٣ فقرة ٢٣ (اصعدكم من مذلة مصر

الى ارض الكنعانين واليبوسين الى ارض تفيض لبناً وعسلاً) ووردت بنفس الصراحة فى سفر العدد ١٣/٢٩ .

والحقيقة ورود هذه الاسماء المسندة الى يبوس والتى عرفت بعد ذلك فى سفر يشوع بأنها هى القدس واليبوس هى اورشليم (يشوع ١٨/٢٨) . ويعطى صفة القدسية للمدينة من ناحية ويؤكد وجودها العربى قبل الاسماء اليهودية جميعها ولو استعرضنا تاريخ مدينة القدس سوف نقف على حقيقة عروبتها وعلى مدى اهمية تعميق جانب الفكر العلمى المتعمق لتأكيد هذه الحقيقة التاريخية .

وللزيادة فى التأكيد على عروبة القدس ويبوسيتها كيف ان داود اشترى ارضاً فى بيت المقدس ودفع لصاحبها اليبوسى العربى ثمنها مع انها مخصصة للعبادة وحتى عند دخول الاعداء ظل العرب (اليبوسيون) ويسميهم العهد القديم (الاسماعيلين) يعيشون فى مدينتهم المقدسة وبذلك فإنه لم تنقطع صلتهم بمدينتهم المقدسة رغم وجود الاعداء على ارضها ومن ثم فإن الكنعانين قد انشأوا فى البلاد حضارة عظيمة اطنب فى وصفها مؤرخو البلاد المقدسة فلقد كان الكنعانيون خلال الاربعة الاف عام جسراً بين مدن الحضارة على الفرات والنيل ومنهم آخذ اليونان الحروف ونقلوها الى العالم وتأثر من اهل فلسطين بحضارة الكنعانين فأخذوا حروفهم التى كتب بها العهد القديم وتأثروا باسلوبهم الشعرى وبموسيقاهم وبدينهم ولقد كان سكان المدينة المقدسة فى اثناء تلك القرون عرباً لساناً وحضارة.

وكما سبق القول فإن للمدينة اسماء كثيرة وردت فى كتب المؤرخين والجغرافيين منها (يورسالم ، ويروشالايم ، وشلم بفتح الشين وتشديد اللام المفتوحة وشلم بفتح الشين وكسر اللام وشلم بفتح الشين واللام وسلم بفتح السين.

وتذكر معاجم الكتاب المقدس ان اقدم اسم للمدينة ورد فى نصوص الطهارة Execration Text المصرية فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد بصورة يوروشاليم ، وكانت يومئذ مركزاً لعبادة الكنعانين الذين سكنوا البلاد من قديم الزمن والراجح ان الاسم مركب من كلمتين يورو وشاليم . ويورو معناها تأسيس أو مدينة وشاليم اسم آله كان الكنعانيون يعبدونه والتفسير بأن معناها مدينة السلام والتفسير غير دقيق لا من ناحية الاشتقاق ولا من ناحية التاريخ ولكن الاقرب للقبول هو مدينة شاليم آله الكنعانين .

وكما سبق القول ورد ذكرها فى رسائل تل العمارنة فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد باسم يوروسالم Urusilam ثم بعد ذلك فى النقوش الاشورية باسم اوروسليمو Dictionary of the Bible . N.Y. 1962 وورودها بالشين حيناً وبالسين حيناً آخر فى اللغات السامية . فهذان الصوتان يتعاوران . ولهما امثلة كثيرة اقربهما شلوم وسلام وثم واسم فى العربية والعبرية . واقدم اسم لها فى العهد القديم هو شاليم والراجح انه اختصار للاسم الكامل يوروشالم وجاء ذكرها فى سفر التكوين اول اسفار العهد القديم بمناسبة قدوم ابرام (ابراهيم) الى ارض ووطن الكنعانين الذين اسسوا هذه المدينة اذ خرج الملوك لاستقباله ومنهم (ملكى صادق) ملك شاليم (القدس) اليبوس . وان (ملكنا صادق) كان ملكاً عليها وهو لم يكن اول من بناها اذ بنيت قبل ذلك باعوام كثيرة ولكن ملكيا صادق اول من اطلَق عليها يروشلم بمعنى بيت السلام وهذه اخطاء فملكى صادق ليس هو سام بن نوح وروشليم اسم آله الكنعانين وليس معناها بيت السلام (هذا رأى ذكرته للتوضيح) ولكن اوشليم هو الاسم الكنعانى القديم كما هو فى ارض كنعان قبل قدوم القبائل البدوية الى ارض كنعان وورد ذكرها اول مرة فى سفر يشوع حين سمع (أودنى صادق) ملك اوشليم ان يشوع بن نون الذى رافق موسى فى

خروجه من مصر وكان قد استطاع دخول البلاد المقدسة وقد فتح بعض البلدان الكنعانية وان سكان جيعون صالحوا اسرائيل فاجتمع ملوك الامورين الخمسة ملك اورشليم وملك جبرون ونزلوا على جيعون وحاربوها .

وإذا كانت اورشليم تطلق على مملكة الاموري (ادوني صادق) ثم يرد الاسم ثانية في سفر القضاة (٨/١) حيث حارب الكنعانيون القبائل البدوية الغازية ومهما تكن المتغيرات السياسية فالاسم كنعاني قديم والمدينة كنعانية قديمة وجدت قبل قدوم ابراهيم عليه السلام باكثر من الفي عام وبداية الاسم بالياء العبرية تطابق للنطق الكنعاني وبدائيه بالهمزة على النطق الاشوري والسرياني والعربي ولم يتمكن احد من انتزاعها من ايدي الكنعانين وظلت القبيلة اليبوسية تعيش فيها بعد ان فتح داود حصن صهيون رغم انه انهى حكم اليبوسين إلا ان معظم السكان كان لايزال موجود وقد اطلق عليها اسم في العهد القديم هو صهيون (صموئيل الثاني ٥/٦-١٠ - اخبار الايام الاول ١١/٥) وصهيون هو اصلاً اسم الحصن الذي استولى عليه داود حين انتزع المدينة من اليبوسين واقام فيه وكانت المدينة لاتزال قائمة ولها اسوارها التي انشأها الكنعانيون وكان لها عدة ابواب ولهم فيها معبد كبير يعبدون فيه الهتهم وكانت هي العاصمة السياسية والدينية والمكان الذي يتجهون إليه في العبادة ويطلق عليها اسم (موريا) وهو يطلق على التل الصخري حيث هيأ داود بعد ذلك مكاناً في بيدر (ارنان) اليبوسي .

وهناك العديد من الاسماء الاخرى التي وردت في العهد القديم عن مدينة القدس على ان الاسم الكنعاني اورشليم هو الشائع وقد تكرر ذكره في العهد القديم والعهد الجديد كما اطلق عليه اسم ايلياء وهو اسم اشتق من اسم الامبراطور الروماني الباوكي هيدريانس الذي عاش ما بين ٧٦-١٣٨م وهو الذي هدم مدينة أورشليم للمرة الثانية وبنى هدريانوس Aelius Hardianus مكانها

عام ١٣٥م مدينة باسمه الاول اى ايلياء العظمى Aelia Capitolina ليمحو من الوجود اى أثر للقبائل البدوية التى كانت تعيش لاجئين غرباء وليسوا اصحاب الارض الحقيقين الذين هم الكنعانين .

وظل اسم ايلياء سائداً مائتى عام الى ان جاء الامبراطور قسطنطين المتوفى عام ٣٣٧م فالغى اسم ايلياء واعاد اسم اورشليم ولكن ايلياء كان قد شاع وظل مستعملاً حتى العصر الإسلامى . وتاريخها عند نحو اربعة الاف عام وهى مدينة تركزت فيها الاديان السماوية كمدينة مقدسة لدى اصحاب الديانات السماوية .

وكان اليبوسيون قد سيطروا منذ ازمنة قديمة (٤٠٠٠ سنة ق.م) على التلال المرتفعة للمدينة القديمة وشيدوا على اكمتها الجنوبية جبل صهيون لاجل حمايتها والدفاع عنها ضد المغيرين من المصريين وغيرهم من القبائل المغيرة بزعامة ملكهم (سالم اليبوس) الذى زاد فى بنائها واقام تحصيناتها وكان اول من اختطها من ملوك اليبوسين (مليكا صادق) الذى عرف عنه أنه كان محباً للسلام ومن هنا جاء اسم المدينة سالم وشالم كما جاء فى الإصحاح ١٤ من سفر التكوين وعرفت المدينة باسمها الكنعانى (اورسالم) اى مدينة السلام كما ذكرت كتب العهد القديم واسمها (اورسالم) وهو الاسم الذى لازال يطلق عليها .

ومن المعروف انه عندما تفككت وحدة اليبوسين واغارت عليهم القبائل البدوية لجأ ملوك اليبوسين الى سياسة توازن القوى بالتحالف مع اقاربهم الملوك الكنعانين وكذلك مع فراعنة مصر الذين كانوا عوناً لهم فى منع الاستيلاء على بلادهم لفترة طويلة وتشير الواح تل العمارنة الى ان (عبيد حبيبا) حاكم يبوس قد وضع نفسه تحت حماية فرعون مصر (تحتمس الاول) ١٥٥٠ق.م لحمايته ودولته من غارات القبائل البدوية الغرباء وكذلك خضعت يبوس لفراعنة مصر عام ١٤٧٩ق.م فى عهد تحتمس الثالث واقام عليها حاكماً من ابناء مصر فى ذلك التاريخ ودرجت سياسة

مصر الفرعونية على حماية هذه البلاد الكنعانية اليبوسية من القبائل المغيرة المجاورة الاخرى حماية لسيناء وتأميناً لطرق التجارة عبر يبوس فضلاً عن كثرة اخشاب ساحل بلاد الفنيقين وحاجة مصر الى ذلك واهميته فى بناء السفن .

وهكذا نرى كيف ان الكنعانين هم الذين قاموا ببناء مدينة يبوس (القدس) واتخذوها عاصمة لهم وقد اطلق عليها اسم سومرى (بعض الامراء) قديم هو اورسالم وقد اطلق سكانها العرب الكنعانيون (اليبوسيون) هذا الاسم واليبوسيون كما سبق القول قبيلة عربية من ابناء كنعان ومن اشهر قبائل العرب الكنعانيون عاشت فى فجر التاريخ فى جزيرة العرب ثم رحلوا الى بيت المقدس واتخذوها عاصمة لهم حوالى ثلاثة الاف ٣٠٠٠ق.م واستوطنوا بها وعمروها وشيدوا بها كل ما يحتاجون إليه من مبانى واحاطوها باسوار عالية ودعيت بهذا الاسم نسبة الى زعيمها (يبوس بن كنعان) وكانت على عهدهم تسمى يبوس وقد وردت بهذا الاسم فى كتاب العهد القديم وقد سكنوا المدينة وما حولها من جبال وبسطوا سيطرتهم . وقد ذهب داود وكل اسرائيل الى اورشاليم اى يبوس وهناك اليبوسيون سكان الارض وقال اليبوسيون لداود لاتدخل هنا فأخذ داود حصن صهيون وهى مدينة يبوسية كنعانية قديمة .

واليبوسيون كما اسلفنا اقوام عربية ينتمون الى اسم قبيلة كنعانية سكنت بيوس والجبال التى حولها فى ايام داود ونظراً لقوتهم لم يستطع القضاء عليهم أو طردهم من يبوس بل وقد اشترى داود عليه السلام بيارة من اروحه اليبوسى ورغم كل ما لاقوه ابناء يبوس من اضطهاد فقد ظلوا سكان كنعان ولم يتم طردهم وإن كانوا قد خضعوا سياسياً لدواد وابنه سليمان لأنه هو الذى استطاع اخضاع اليبوسين باعتبار ان اليهود غزاة ومحتلين واستعمارين . وقد دخل بعض الكنعانين اليبوسين فى اليهودية وظل العرب الفلسطينيون الكنعانيون اليبوسيون هم سكان

فلسطين والقدس وغيرها من المدن وظلوا يقيمون بها ومنهم من اعتنق الديانة اليهودية وظلوا عليها وسبوا الى بابل ثم عادوا اليها بعد السبى وحول جقيقة عروبة القدس ما جاء فى التوراة سفر الخروج الإصحاح ٢ فقرة ١٧ ٠اصعدكم من مذلة مصر الى ارض الكنعانين واليبوسيون الى ارض تفيض عسلاً ولبناً) وردت بنفس الصراحة فى سفر العدد (٢٩/١٣) وللحقيقة ورود هذه الاسماء المسندة الى يبوس والتى عرفت فيما بعد ذلك فى سفر يشوع بها القدس (يبوس) وذلك يعطى صفة القدسية للمدينة من ناحية ويؤكد وجودها العربى منذ الاف السنين عندما جاء الكنعانيون .

ومن هنا فالقدس عاصمة الكنعانين وفلسطين وطنهم وذلك ما تؤكده جميع المصادر التاريخية ويعترف العهد القديم بهذه الحقيقة فى سفر القضاة فيذكر ان بنى بنيامين لم يطردوا اليبوسين سكان اورشاليم حتى اليوم اى حتى فترة السبى البابلى فى القرن السادس قبل الميلاد . بل ان هناك اقوال تذكر (يورشاليم) تعد اقدم اسم لمدينة منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد حينما كانت مركزاً لعبادة الكنعانين الذين عاشوا منذ زمن بعيد (يعنى مدينة اورشاليم اسم آله الكنعانين) بل ان اورشاليم ظلت فى ايدى الكنعانين اليبوسين طوال خمسة عشر قرناً هم اصحاب السيادة السياسية والدينية .

وعلى الرغم من ان التوراة مليئة بحوادث الصراع الذى قام بين الكنعانين والقبائل البدوية الغازية فى تلك البلاد والذى استمر قرابة ثلاثمائة سنة استبسل فيها الكنعانيون فى الدفاع عن بلاد فلسطين (كنعان) ورغم احتلال هذه القبائل البدوية ليبوس إلا أن هذا الاحتلال لم يخرج البلاد الكنعانية عن عروبتها ولم تعط بأى شكل من الاشكال حقاً تاريخياً لهذه العناصر فى فلسطين ولعل هذه الحقائق فى مجموعها تدل دلالة صريحة عن ان حياة الكنعانين العرب لم تختص من ديار

الشـام بما وقع لهـا من غـزوات هذه القـبـائل البـدوية أو الفـرس أو اليـونـانين أو الرومان وكل ما فى الامر ان البلاد ظلت باقية يسكنها العرب الكنعانين اليبوسين دون ان تفقد اهلها وسكانها وهويتها العربية بسكناها .

وكانت اللغة السائدة فى البلاد هى اللغة الكنعانية الى جانب البابلية وقد اضطرت القبائل البدوية الى اخلاء يبوس تحت ضغط الخبيرو ولكنهم عادوا فدخلوها مرة ثانية بقيادة داود ولم يكن نفوذ هذه القبائل يتعدى بعض القرى فى وسط كنعان (الهضاب الوسطى فقط) ويروى لنا سفر التكوين فى التوراة كيف تحول ابراهيم عليه السلام من ارض النهرين الى ارض كنعان وانه تلقى البركة من ملكى صادق ، حاكم (يبوس) وكان كاهناً لله من الكنعانين والتوراة والانجيل معاً يصفان الكاهن الكنعانى بصفة الرئاسة الدينية ويرفعانه الى المنزلة التى يتلقى فيها ابراهيم بركة الله تعالى منه .

ولقد بقيت اورشاليم فى ايدى اليبوسين العرب الكنعانين لعدة قرون طويلة بعد ابراهيم بل وبعد موسى ايضاً ولم يسيطر على مقاليد الحكم إلا فى عهد داود من ابناء بنيامين بعد ان نزلوا بجوارها وبعد ايام من حكم داود وجاء بعده ملك عربى من ذرية ابراهيم يدعى (بهواش) فهدم سور يبوس واخذ الودائع الذهبية والفضية من خزائنها . ومن ثم فقد استمر اهل البلاد الاصليين من الكنعانين استمروا يمارسون حياتهم العادية بقوة ويعيشون فى مدنهم وقراهم ومزارعهم وتشير التوراة بهذا الصدد الى القبائل العربية ومنازلهم وقراها فى كنعان . وسكن اليبوسيون والفلسطينين فى كنعان والذين انتشروا على سواحل البحر الابيض المتوسط وكذلك فى الداخل واستقروا على سواحل كنعان وقد تعرضت بيوس لهجمات قبائل يسمو الهبرو Habira عند المصريين القدماء وعند البابلين khebirru وهى تعنى فى زاوية البدو أو اللصوص أو المرتزقة كما وصفهم اهل

كنعان اشارة الى طبيعتهم كرعاة متخلفين حضارياً واستطاعت هذه القبائل ان تهزم اليبوسين والفلسطنين وتدخل يبوس على الرغم من استبسال هؤلاء القوم فى الدفاع عن بلادهم لكن حكمها لم يكن إلا لفترة قصيرة (٧٣ سنة) فالقدس سوف تظل متفردة بمكانتها الروحية والتاريخية والحضارية بما تتضمنه من آثار وتراث للديانات السماوية الثلاث ولما بعثته ونشرته فى العالم من القيم الخيرة والمثل الرفيعة ولقد استأثرت المدينة بهذه المكانة عبر التاريخ وتعرضت منذ تأسيسها على يد الكنعانين فى عام ٢٨٠٠ أو ٣٢٠٠ق.م الى الكثير من الغزوات . وبعد لقد تضافرت قوى خارجية عديدة للفصل التام بين الواقع الدينى والتاريخى والحضارى لمدينة القدس وبين الدعاية المغرضة التى لاتستند إلا الى القوة والقهر ورغم انها تستند الى افكار غير عقليه فقد لاقت رواجاً الى حد الاقناع فى غياب النزعة العقلية الهادئة للعلماء العرب بما يثبت دينياً وتاريخياً وحضارياً عروبة القدس ولقد كان من الاولى ان يحتفل المسلمون والمسيحيون العرب بمرور (خمسة الاف عام) على تأسيس الكنعانين لمدينة يبوس التى ورد ذكرها فى اصحاحات التوراة بأنها القدس التى اسسها اليبوسيون . والامر يتطلب جهوداً تبذل على كل المستويات العلمية والاكاديمية حتى تعود للوعى العربى معرفة تاريخه وحضارته كى يستطيع المطالبة بها ويتمسك بحقوقه التاريخية والحضارية والدينية والقومية والأثرية لفلسطين .

الفصل الـــرابـــع

العــلاقات الكنعانية - المصرية القديمة

كانت علاقة مصر مع كنعان علاقة متصلة ودائمة فى كل الظروف والاحوال فهى علاقة قديمة العهد ومتصلة وكانت كنعان فى معظم الفترات التاريخية تكون مستعمرة لمصر نظراً لقربها وصلتها المتصلة مع سيناء ولاسيما فى عصر الامبراطورية والدولة الحديثة بل وقبلها وبعدها من عصور وإن كان يغلب على تلك العلاقة روح الود والصفاء والاخوة وحسن الجوار .

ويذكر بعض الاثرين الذين درسوا تاريخ العصر الحجرى القديم والحديث ان الذين اسسوا الاسرة الاولى فى مصر قبل عام ٣١٠٠ق.م هم شعب غازى قدم من الشرق من كنعان عبر سيناء وانهم انتصروا على المصريين فى العصر التيوليتى اى الحجرى الحديث وبعد غزوهم وادى النيل علموا المصريين استخدام الذهب والنحاس والبرونز وفن البناء بالطوب وادخلوا الكتابة اى ان هذا الشعب الحاكم القادم من الشرق اصبح الجنس الحاكم . ومن هنا فإن ذلك يعود الى اصل اسيوى قديم وربما كانت كنعان اوكلديا . وعاد علماء تاريخ الشرق القديم يتساءلون اى طريق سلكه هذا الغزو فقيل انه عبر سيناء أو جاءوا من آسيا عبر اليمن وارض بونت والبحر الاحمر فى القصير على الشاطئ المصرى ، ولكن هذه الاقوال لاقت معارضة من جانب العديد من العلماء ، لكن ذلك لا ينكر وجود علاقة بشرية وحركة هجرة متصلة بين مصر وكنعان منذ اقدم عصور التاريخ ولقد كانت الصلات دائمة لاسيما ان العديد من هذه القبائل الاسيوية كان يسكن فى برزخ

السويس وشبه جزيرة سيناء قوم هم اسيويون صميمون يسمون القوم الذين فوق الرمال أو هيريوستا Heriu-Sha وعلى الضفة الشرقية للنيل كان يسكن فى الجبال وسهول الصحراء الغربية قوم يطلق عليهم اليونتو Juntiu وقد اثبتت قبور أبيدوس فى سوهاج بصعيد مصر والتى تعود الى العصر التيوليتى ان هناك صلات تجارية كانت قائمة بين الكنعانين سكان كنعان (فلسطين) ومصر وثبتت ان صلات مباشرة وأغير مباشرة كانت بين الكنعانين سكان كنعان (فلسطين) ومصر وثبتت ان صلات مباشرة أو غير مباشرة كانت قائمة بين الدلتا وسوريا شمالاً وجنوياً (كنعان) وكانت قائمة فى بداية العصر التاريخى مع هؤلاء الساميين العرب سكان كنعان وما جاورها من اقطار سامية فى الهلال الخصيب وكل بلاد الشام وقد اقام المصريون الفراعنة فى عهد الدولة القديمة بل وفى عهد الأسرة الرابعة نقطاً حصينة فى وادى طميلات المؤدى الى فلسطين وهو الطريق الجنوبى عبر سيناء وحماية لحدود مصر من هجمات البدو (الشاسو) القادمين من كنعان وفى عهد الملك بيبى الاول من ملوك الاسرة السادسة امتدت حدود الدولة المصرية شمالاً بعد كنعان ولقد وجدت كثيراً من الاثار المصرية التى عثر عليها فى فلسطين وسوريا من اوائل الدولة القديمة أو فى بلاد ما بين النهرين وما وراءها .

وقد خضعت كنعان منذ عصر الدولة القديمة لمصر ومن ذلك ما نكر فى عهد بيبى الاول بأن جاءت الأخبار بأن ثورة قد انفجرت على اثر حادث فى جهة الكرمل فى كنعان (بلاد انف الغزال) وعلى اثر ذلك ابحرت فى سفن البحر ونزلت الحملة خلف مرتفعات الجبال الواقعة شمال بلاد سكان الرمال (سيناء) وان هذه الحملة التى قام بها قائد الجيش المصرى خمس مرات الى بلاد البدو .

وان هذه الحملة تعد الاولى الى فلسطين فى تاريخ مصر بل وفى تاريخ العالم إذ الواقع انها اول حملة اشترك فيها الجيش والاسطول دونها التاريخ وكان

سبب قيام الملك بيبى الاول بهذه الحملة الى كنعان (فلسطين) ما يقال عن هجرة واسعة من الشمال الشرقى (كنعان) ومن بلاد ما بين النهرين (موسوبوتاميا) وتقدمهم فى هجرتهم الى ان وصلوا من فلسطين الى حدود مصر الشرقية فاضطر فرعون مصر الى تتبع هؤلاء المهاجرين الساميين ومنعهم من دخول مصر .

وقد اقام المصريون معابد للآله (سبتو) Septu آله الشرق وكانت تماثيل الآلهه المصرية تقام الى جانب الآلهه المحلية فى فلسطين (كنعان) وفى الشرق العربى الآسيوى وكان الفرعون يعبد فى سيناء ويتضح من حجر (باليرمو) عاصمة صقليه وصول اربعين سفينة محملة باشجار الارز فى عهد الملك سنفرو من ملوك الاسرة الرابعة وكان مستورداً من لبنان ومما يقطع بقيام علاقات تجارية فاشراف الدولة على المناطق الاسيوية المجاورة لسيناء ، وقد بدأ المصريون فى عهد الاسرة الرابعة يقيمون معابد للشمس تتوسطها مسله وقد تسربت عبادة الشمس من الساميين الى مصر .

وقد تعمقت العلاقات بين كنعان وما جاورها من بلاد شمالاً ومصر وقد جاء مؤكداً أن كل ما نشر من وثائق قديمة وبحوث أثرية حديثة وما اسفرت عنه حفائر بيلوصى (جبيل) احد الامارات الفنيقية شمال كنعان حيث وجد فى اساس معبد هذه البلدة (بلط من حجر مصقول وسكاكين من الظران ولوحات وخرز من الذهب والبلور الصخرى ومن العقيق ومن المرمر) هذا الى جانب اشياء اخرى وجد ما يماثلها بين ما كشف فى عصر ما قبل الاسرات فى مصر ومحفوظ الآن بالمتحف المصرى وان ما عثر عليه فى جبل (بيلوصى) هو طراز من صناعة مصرية فى عصر ما قبل الاسرات مما يؤكد وجود صلات قوية فى ذلك العصر وقد استمر استعمال هذه الادوات فى عهد الملك (مينا) كذلك عثر على آثار فى هذه المدينة للملك (خع تحموى) منقوش على قطعة اثرية ترجع الى عصر الاسرة الثانية يضاف

الى ذلك الى ان حجر (يلرم) عاصمة صقليه قد ذكر لنا عن وجود علاقات بين مصر وكنعان والامارات الفنيقية فى عهد الملك سنفرو اول ملوك الاسرة الرابعة (سبق الإشارة الى ذلك) وعودة اسطول مؤلف من اربعين سفينة محملة باخشاب لبناء السفن البحرية ولاتمام اقامة القصر الملكى هذا فضلاً عما عثر عليه فى معبد بيلوصى على قطع آثرية عليها اسماء ملوك من الأسرة الرابعة وخرطوش الملك خوفو وكذلك اسم الملك منكارع والملكة (مريت اتسى) زوجة سنفرو ثم زوجة خوفو وكذلك عثر على نقش عليه ملك الوجهين القبلى والبحرى (وناس) وصور السفن البحرية التى عثر عليها فى طريق معبد (وناس) الجنائزى فى سقارة ومعبد الملك (سمورع) ونشاهد الاسطول المصرى عائداً يحمل الساميين العامورين من رجال واطفال ونساء من غابات لبنان وعثر على آثار من عصر الاسرة السادسة ويرجع تاريخها الى عصر الملك (تيتى) وبيبى الاول ثم بيبى الثانى ونقش عليه اسم الفرعون ويوجد فى متحف بيروت نقش من عهد الدولة القديمة وهو للملك بيبى الاول أو الملك بيبى الثانى وهو يقدم قرباناً الى آله ونقش عليه (محبوب حتحور سيد بيلوصى) .

ولاشك ان كل هذه الآثار وغيرها الكثير والتى نسبت الى عصر الدولة القديمة تدل دلالة واضحة على تاثير الحضارة المصرية القديمة فى بلاد ساحل سوريا وكذلك نجد نقوش عظماء المصريين فى عهد الدولة القديمة والاسرة السادسة ، يدل على اهمية العلاقات بين القطرين (مصر وكنعان) وكيف تطورت الى علاقة صداقة وسلام بدلاً من الحروب والغارات وتدل كل الظواهر على ان فراعنة مصر كانوا يراقبون عن كثب كل حركات الاقوام والقبائل التى كانت تهدد البلاد وتكون سبباً فى قطع العلاقات التجارية الخارجية وانهم كانوا يقضون على كل حركة عدائية وكذلك فى سيناء صلة الوصل بين مصر وكنعان .

وقد كان نفوذ مصر وسلطانها قوياً عظيماً فى امارات فنيقيا وكذلك ايضاً فى كنعان (سليم حسن - مصر القديمة ج٢ ص٢٥٠) الى حد اقامة بعض الآثار المصرية فى تلك البلاد وقد تكون هناك امارة (مستعمرة) مصرية صغيرة لربط العلاقات التجارية بين البلدين (انظر سليم حسن ج٢) وقيام المسئولين عنها لتحضير السفن والبضائع وشحنها الى مصر وكانت فى الغالب تحتوى على الاخشاب السورية وغيرها من الاخشاب التى يحتاج إليها فى مصر وكذلك الروائح العطرية والصموغ. الواقع ان الاخشاب وانواع الصموغ كانت تجلب من منحدرات جبال لبنان التابعة لاقليم جبيل وهى بيلوصى القديمة وآله هذه الجهة المحلية كان يسمى (خاى تاو) وقد توحد معه الملك "بيبى" فى متون الاهرام وان بيبى هو (خاى تاو) ويقول احد امراء بنى حسن فى ملوى محافظة المنيا بصعيد مصر فى عهد الدولة الوسطى أن هناك علاقات مع بلاد كنعان فى ذلك الوقت وقد استورد المصريون من (كنعان) زيت الزيتون والنبيذ الذى كانت تنتجه هذه البلاد بكثرة والواقع ان كروم كنعان قد ذكرها (اونى) فى نقوشه وزعم ان النبيذ الكنعانى الاسيوى كان يجلب الى مصر اما زيت الزيتون فقد كان ضمن المحاصيل التى تشحن بها اسطول الملك (سحورع) وعلى أية حال فإن المصريين كان يجلبون سلعاً اخرى لم تكن معروفة أو متداولة فى مصر إلا قليلاً ويلاحظ ان نقوش الملك (سحورع) على الاوانى التى كانت تحتوى على سوائل مختلفة تأتى من بلاد وسواحل سوريا كما استورد المصريون منذ عصر ما قبل الاسرات اللازورد الذى كان يقدم جزية للفرعون فى عهد الدولة الحديثة .

ومن ثم فإن العلاقات التجارية بين مصر وكنعان وبلاد الساحل السورى كانت من الحقائق التى لاتقبل النقاش وان هذه العلاقات لم تكن بحراً بل كانت براً بالطرق البرية عبر سيناء وبلاد كنعان وبلاد فلسطين الجنوبية التى كانت تابعة لمصر الفرعونية لاسيما فى النصف الاخير من عهد الدولة القديمة .

وللمرة الاولى فى التاريخ نجد قبر محارب مصرى يحتفظ لنا بمناظر عن حملة على مدينة "تيديا" ويبدو انها كنعانية سورية وبذلك لم تتخذ مصر من الاسرة الثالثة الى الاسرة الخامسة سياسة عدوانية بل اكتفت بمد حدودها الى سيناء وحماية هذه الحدود للتعاون التجارى وفى الدولة الوسطى فى الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ - ٧٨٧ق.م) فى عهد امنمحات الاول (٢٠٠٠-١٩٧٠ق.م) وقد ابدى هذا الفرعون نشاطاً لمنع هجرة الاسيويين عن طريق سور الحاكم واتخذ تدابير فعالة ضد بدو الصحراء كما تدل على ذلك النقوش التى تركها لنا وهى محفوظة بمتحف اللوفر فى باريس وقد ظهر فى اللوحة انه قهر سكان الكهوف من الاسيويين سكان كنعان . وسكان الرمل وخربت معاقل البدو فى كل الانحاء التى احتمى فيها هؤلاء البدو (شيلاج) .

وفى عصر الدولة الوسطى تروى لنا قصة سنوهى (سنوهيت) عن عمق العلاقة بين مصر وكنعان فى ذلك العصر مع الفلسطينين وكيف ترك (سنوهى) مصر الى بلاد فلسطين عندما انفرد سنوسرت بالحكم (١٩٨٠-١٩٣٦ق.م) وكيف وصل الى فلسطين وفيها يتضح ان كل امراء فلسطين كانوا يخضعون لحكم مصر ويحكى سنوهى كيف بارز رجل فلسطينى كان اخضع كل فلسطين .

وكانت الصلات السياسية والتجارية مع الساميين لاسيما سكان فلسطين من الكنعانين وشواطئ لبنان وسوريا لتسلك عدة طرق منها الطريق البحرى الذى كان يصل الدلتا وميناء جبيل على شاطئ البحر الابيض المتوسط الشرقى ومن هذه الموانئ الشرقية التى شهدت مجد الفنيقين كان يصدر خشب لبنان كما تصدر منتجات الاراضى الداخلية فى كنعان ومنها طريق القوافل المارة بغزه وشواطئ فلسطين وكانت لوتاتو العليا التى تقابل سوريا على صلات مستمرة بمصر حوالى منتصف عهد سنوسرت الاول (١٩٥٠ق.م) فكانت علاقات بدون ان تحتل احتلالاً

عسكرياً عامرة بالمصريين المهاجرين وكان يقصدها دائماً رسل الملك والمسافرين التجار كما كان اهلها يتكلمون اللغة المصرية فى اغلب الاحوال ومن الفراعنة الذين كان لهم نفوذ فى كنعان الفرعون امنحتب الثانى (١٤١٢ق.م) واخناتون الذى اصبحت يبوس اهم ممتلكاته ١٣٧٥ق.م وكذلك الملك الصغير توت عنخ امون ١٣٥١ق.م وسيتى الاول ١٣١٤ق.م .ورمسيس الثانى الذى ادخل يبوس (فلسطين) فى حدود مصر بعد تخطيطها اثر معركة قادش والمعاهدة مع الحثين عام ١٢٩٤ق.م . وقد توثقت العلاقات بين مصر والكنعانين فى فلسطين وسواحل بلاد الشام حيث لايستبعد ان يكون بعض المصريين يقيمون فى تلك البلاد للتجارة ازماناً تختلف طولاً وقصراً خصوصاً فى بعض مدن الساحل كغزه وجبيل وفى زمن جديث سنوهى ما يشير الى تردد المصريين على البلاد السورية وظواهر الامور تأكد كلها على ان العلاقة بين مصر وجيرانها كانت على احسن ما يرام من الود والصفاء وتستقر الامور فى عهد سنوسرت الثالث (١٩٠٦-١٨٨٨ق.م) حيث سجلت مناظر احد الوفود الكنعانية على جدران قبر (خنوم حتب) حاكم اقليم الوعل (بنى حسن مركز ملوى محافظة المنيا بصعيد مصر) وهو امير من امراء اقليم الوعل ويدعى (خنوم حتب الثانى) وقد بلغ عدد افرادهم ٣٧ سبعة وثلاثين فرداً من الذكور وانثى بملابسهم المزركشه ولحى رجالهم المرسلة تتقدم (اشاى) حاكم البلاد الاجنبية ولعل فى اسم (اشاى) له رنيناً كنعانياً مما يدل على ان القبيلة كانت من الكنعانين وكانت البلاد تتمتع فى ايام سنوسرت الثانى بقسط وافر من الرخاء وينتشر السلام ربوع الارض فتأخذ بعض قبائل الشرق فى الهجرة الى مصر بل ان عهد سنوسرت الثانى يمتاز بحسن العلاقات بين مصر والاقاليم الاسيوية ووفود القبائل الكنعانية الى مصر طلباً للرزق وهكذا نرى كيف ان العلاقات كانت قوية بين مصر وبلاد الكنعانين العرب الذين سكنوا فلسطين

معهم حيث كانت العروبة القديمة تربط بين شعوب هذه المنطقة برابط الدم والسلالة السامية التى انتشرت فى تلك الانحاء من بلاد الرافدين الى مصر وما بينهما وفى عهد امنمحات الثانى (١٩٣٨-١٩٠٣ق.م) فإن العلاقة مع كنعان وفنيقية وسوريا فى عهد ملوك الاسرة الثانية عشرة كانت تدل على انها كانت على احسن حال وبخاصة فى عهد هذا الفرعون إذ عثر فى جبيل (بيلوصى) على نقوش مصرية قديمة ذكر فيها إسم شخصية مصرية عظيمة تحمل لقب الامير الوراثى (حاثى عا) وانه من اصل مصرى وان تاريخها يرجع الى ما قبل عهد حكم الفرعون (سنوسرت الثالث) وكانت السيادة المصرية لازالت على بلاد فنيقيا وان النفوذ المصرى كان عظيماً خلال الاسرة الثانية عشر حتى نهايتها فى كنعان وبلاد فنيقيا بل ان العلاقة فى عهد امنمحات الثانى وبلاد سوريا كانت علاقة ود وصداقة وقد وضع الفرعون اميراً على بيلوصى ربما من اهل البلاد نفسها أو كان اميراً مصرياً .

وفى عهد الفرعون (سنوسرت الثالث ١٩٠٦-١٨٨٨ق.م) فقد اشارت المصادر الى ان سنوسرت الثالث قام بحملة الى فلسطين (كنعان) وقد عثر على لوحة فى العرابة المدفونة مركز البلينا محافظة سوهاج بصعيد مصر. حيث انه سار نحو الشمال ليهزم الاسيوين وقد وصل الى مكان يدعى شكيم (فلسطين) وقد كان ذلك تدخل مصرى فى الشئون الاسيوية السورية الكنعانية خلال الاسرة الثانية عشرة وقد تكون العلاقات علاقة ود ومحبة حيث كانت الهدايا تأتى الى مصر من هذه الجهات فى عهد اسلاف سنوسرت وان السورين كانوا يحترمون المصريين ويعجبون بالحكم المصرى والعادات المصرية رغم الغزو والفتح من جهة المصريين ولم تكن الفتوح إلا للوحدة وتأمين حدود مصر الشرقية وفى عهد امنمحات الثالث (١٨٤٩-١٨٠١ق.م) اشتبك قائده (شبيك حرحب) فى قتال مع سكان فلسطين فى السنة الخامسة والاربعين من حكمه كما اخضع ثورة كانت فى

شبه جزيرة سيناء وقد وجدت هذه النقوش مبعثرة فى شبه جزيرة سيناء فى اماكن متفرقة .

ومع نهاية الأسرة الثانية عشرة بدأت ملامح ظهور عصر الهكسوس الذى غزا ارض مصر قادماً من الشرق عبر شبه جزيرة سيناء وقد كان ملوك الاسرة الثالثة عشر نحو ستين فرعون (٦٠ فرعون) وفى عهد هذه الاسرة كانت كارثة غزو البلاد بقوم من الاجانب يعرفون بالهكسوس أو الملوك الرعاه . وانه منذ عهد الملك (سنوسرت الثانى ١٩٠٦-١٨٨٧ق.م) اى فى منتصف عهد الدولة الوسطى كانت هناك مؤثرات ثقافية وسياسية ادت الى الاعتقاد بأن الهكسوس قد حكموا مصر قبل عام ١٧٠٣ق.م .

ولكن من الطبيعى ان المؤثرات الثقافية كانت موجودة قبل ذلك العهد فى الاقطار الاسيوية المجاورة وتركت اثرها الى حد بعيد فى مصر بل ربما ان المصريين انفسهم قد نقلوها الى بلادهم وان هناك عناصر ثقافية جديدة قد دخلت فى كل من سوريا وفلسطين ومصر قبل عام ١٩٠٠ق.م وان هناك علاقة بين هذه العناصر الثقافية الجديدة وان كنعان وبيلوصى على الشاطئ السورى كانت موالية لمصر حتى عام ١٧٠٤ق.م وان غزو الهكسوس لمصر لم يتم دفعة واحدة ولكن بمرور الزمن وقد اختلف مؤرخو الشرق العربى القديم فى اصل الهكسوس فمن قائل انهم بطون سامية من القبائل المنتشرة فى فلسطين وفى ربوع سوريا وبلاد الجزيرة نزحوا الى مصر بسبب ما اصاب اوديتهم من قحط وجفاف ومن قائل انهم هاجروا من الاقطار السورية . وقد عثر على قبر كشف ببلده بنى حسن مركز ملوى محافظة المنيا بصعيد مصر حفرت على جداره صورة تمثل مهاجرين اسيوين وصلوا الى قلب وادى النيل اى توغلوا جنوباً بعيداً عن الدلتا يعود تاريخها الى السنة السادسة من حكم سنوسرت الثانى حوالى ١٩٠٠ق.م مما يدل على

الاضطراب الذى ساد قبائل البدو العرب مما دفعهم الى القدوم الى مصر وقد شهدت الاسرة الثالثة عشر المصرية عدة ملوك (٦٠ ملكاً) وقد اطلق احدهم فى نهاية عهد تلك الاسرة على نفسه المحبوب من الآله سيث أو سيت Seth وهو الآله المصرى السامى الذى حمله الاسيوين الغزاة الهكسوس ولذلك يحتمل ان الهكسوس وصلوا الى الدلتا وفرضوا سلطانهم على ملوك مصر على الاقل فى مصر السفلى فى نهاية الاسرة الثالثة عشرة أي حوالى ١٧٠٠ق.م .

وقد وصل اسم الهكسوس من المؤرخ اليونانى Manetho نقلاً عن اليهودى (يوسيفوس) وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان اليهودى يوسيفوس كان متأثراً بقصة النبى الكنعانى يوسف بن يعقوب وبذلك عهد للمؤامة بين حكام الهكسوس وبين الكنعانين الذين وفدوا الى مصر في اعقاب الصديق يوسف وقد ذكر (مانيتو) انهم قدموا من الشرق وانهم من الفنيقين بينما اخرون يسمونهم عرباً والاثار المصرية تسميهم بدو اسيوين وان بينهم عناصر سامية وسورية وكانت عقائدهم شديدة الشبه بعقائد الكنعانين وابطالهم ولاشك ان الهكسوس هم جماعة اندمج فيها العموريون والكنعانيون (احمد بدوى : ايام الهكسوس المجلة التاريخية مايو - اكتوبر ١٩٤٨ ص٤٤) . وبعد ان دخل الهكسوس الى مصر توغل نسل تلك القبيلة العربية ووردت اسماؤهم على الجعارين فى عهد الهكسوس . وقد فنى الغزاه الهكسوس فى الحضارة المصرية واستوعبوا معالمها وعبد الهكسوس الآله المصرى (رع) الى جانب الآلهه المصرية . وقد وجد اسم (خبيان) على صخرتين فى جبلين بين طيبه والشلال الاول وعلى تمثال فى تل بسطا شرق الدلتا وكذلك فى خرائب جزيرة فى فلسطين وفى بغداد بالعراق .

وقد طرد احمس الهكسوس فى عهد الاسرة الثامنة عشر . اما من جهة فلسطين فإن تحتمس الثالث قد ضرب الهكسوس وقضى على اطماعهم فيها وعلى

نفوذهم فى آسيا ولكن مع ذلك نجد ان دم الهكسوس وطرق حياتهم وعاداتهم قد تغلغلت فى نفوس اهل كنعان سكان فلسطين وعند استيطانهم مصر وجدوا الآله ست المعبود المحلى للبقعة التى اقاموا فيها تحصينات عاصمتهم وهى التى كانت تضم مصر وفلسطين وسوريا وعلل بعض المؤرخين اختيارهم لهذا الآله بما يوجد بين ست وبين الههم "بعل" أو الآله ست من صفات .

وقد استولى احمس الاول بعد طرده الهكسوس على فلسطين بعد حصاره "شاروهن" بسقوطها سيطر على زاهى (بلاد فنيقيا) شمال اشاروهن وبعد ان وطد الهكسوس اقدامهم فى فلسطين قامت حركة اخرى تركت اثرها فى البلاد وهؤلاء القوم الذين دخلوا فلسطين ربما يكونوا قد سكنوا سابقاً شمال بلاد ما بين النهرين وكانوا يتكلمون اللغة الحوارنيه . ولقد كانت كل من مصر وفلسطين وسوريا تعمل فى التجارة مع بعضها البعض وكانت تتاجر سوريا فى مواد مختلفة فى خلال عهد احتلال الهكسوس فقد كان ساحل فلسطين وسوريا يزخر بالموانئ البحرية الصالحة للتجارة . وفى عهد الهكسوس تم جلب عمال من فلسطين وسوريا للعمل فى اعداد هرم لأحد ملوكهم أو لاقامة مبانى ومشاريع للرى . وفى نقوش ملونة فى مقابر بنى حسن يرجع تاريخها الى اوائل الاسرة الثانية عشرة يشاهد اسيويون يستعملون بلطا من طراز يوجد عادة فى فلسطين وسوريا . بل ان الهكسوس انفسهم قبل احتلالهم مصر كانوا قد استوطنوا بعض اجزاء من سوريا وفلسطين وهذا يعنى ان هناك اتصالات بين ملوك الاسرة الثانية عشرة بالبلاد الاسيوية (كنعان وسوريا) وان هذه الاتصالات ربما يعد عام ١٩٠٠ق.م . ومعنى هذا انه ليس كل فلسطين وسوريا لم تكن تحت نفوذ الهكسوس . إذ نجد ان بيلوصى (جبيل) لم تكن خاضعة لحكم الهكسوس قبل عام ١٧٣٠ق.م وان بيلوصى تكاد تكون متمصرة وذات طابع حضارى مصرى .

وكما سبق القول فإن ثقافة الهكسوس لم تمح من الوجود فى البلاد المصرية مباشرة اما فى فلسطين وسوريا فكان الموقف يختلف تماماً فى خلال الجزء الاول من الاسرة الثامنة عشرة بعد نهاية الاسرتين السادسة عشرة والسابعة عشرة كانتا تحكمان البلاد فى مدة واحدة تقريباً هزم الهكسوس فى (اواريس) وولوا الادبار مخترقين الصحراء ووصلوا الى شاروهن ، حيث قاوموا حصار احمس لهذه المدينة طوال ثلاث سنوات . وفى عهد الاسرة الثامنة عشرة تحدثنا الوثائق المصرية عند غزوتين لآسيا قبل تحتمس الثالث فقد قام تحتمس الاول بحملة الى آسيا وصلت سيرها حتى بلاد ما بين النهرين على نهر الفرات وقد قاد تحتمس الثانى على اقل تقدير حملة الى آسيا وان ذلك يعنى ان الهكسوس كانوا لايزالون فى فلسطين وسوريا عندما اعتلى تحتمس الثالث العرش وانه هو وابنه "امنحوتب" الثانى قد قضيا على الهكسوس القضاء الأخير فى هذه البلاد .

وكان تحتمس الاول قد عبر الصحراء الشرقية وسوريه ووصل الى ضفة الفرات فكان اوسع شكل من اشكال التوسع صنعته مصر وتحققت وحدة مصر مع اقطار الشرق العربى لم يكن يتردد عليها المصريون إلا التجار أو رسل الفرعون وقد استطاع رسل وسفراء حتشبسوت (حوالى ١٥٠٠ق.م) ان يعملوا على طاعة اهل (نبط) جنوب فلسطين اهل الدولة المعنيه التى كانت تقوم فى جنوبى شرق شبه الجزيرة العربية وفى عهد تحتمس الثانى دعى المصريون الى تدعيم الوحدة مع لوتاو أو سوريا ، وعاد تحتمس الثالث (١٥٠١-١٤٤٧ق.م) الى مد الوحدة ولقد استطاع مؤرخو ذلك العهد أن يحددوا تواريخ المراحل التى اجتازها المصريون لتحقيق هذه الوحدة ففى ١٩ ابريل ١٤٧٩ق.م وصلوا الى غزه فقضوا تسعة ايام ليقطعوا مائة وستة واربعين ميلاً من الصحراء واستأنفوا السير بعد راحة يوم واحد فوصلوا فى ١٠ مايو ١٤٧٩ق.م الى سفح الممر الذى يصل بين الكرمل

ومجدو وقطعوا مائة وخمسة اميال فى احدى عشر يوماً وقد امتدت الحملة الى قادش ومجدو وتابع تحتمس الثالث سيره الى سوريا العليا فى وادى العاصى وبنى قلعة فى قلب لبنان وظل يعود الى هذه المنطقة الآسيوية من الشرق العربى كل عام حتى العام الثانى والاربعين من حكمه حتى شملت الوحدة المراكز الاستراتيجية التى تتحكم فى الهلال الخصيب وضمت الجزء البابلى من العراق الشمالى واشوريا ثم الجزء الحيثى وبذلك لم يمضى قرن واحد على سقوط (افارس) عاصمة الهكسوس حتى حقق ملوك طيبه وحدة ضمت مصر وفلسطين وسوريا ولبنان والقرن الغربى للهلال الخصيب . وهكذا شهد عهد تحتمس الثالث وحدة دامت مائة عام (١٤٦٠-١٣٦٠ق.م) .

وقد وصلت هذه الوحدة الى ذروتها فى عهد امنحتب الثالث وفى بدء عهد امنحتب الرابع (١٣٨٠-١٣٦٢ق.م) وقد كشفت ثلاثة الواح من الطين عثر عليها فى خرائب تل العمارنه التى كانت عاصمة امنحتب الرابع (اختاتن - اخناتون) وهى ان الحكام المصريين كانوا يخاطبون امراء سوريا باللغة البابلية مكتوبة بالخط المسمارى اى ان تلك اللغة كانت هى اللغة الدبلوماسية المتعارف عليها فى العالم أو انهم لم يكونوا قد علموا اللغة الهيروغلوفيه بعد .

وقد فكر امنحتب الثالث فى ان يجعل فلسطين وسوريا ولايتين تابعتين لمصر بتنمية العلاقات السياسية وتدعيم المصالح التجارية ولم يكن ملوك مصر يباشرون سلطانهم فى الاقطار الآسيوية (كنعان) وفى الشرق العربى مباشرة بل كانوا يعتمدون على النظم السياسية القائمة فعلاً فى تلك الاقطار بواسطة مصريين يندبون لذلك ولقد اشارت رسائل تل العمارنه الى رؤوساء المدن الذين كانوا يسمون (كازانى) وذكرت فى هذا الصدد موانئ غزه وعسقلان وصور وصيدا وجبيل على الشاطئ الفلسطينى والسورى وتدل الاسماء التى عثر عليها على ان اولئك الحكام

كانوا يسمون احياناً ملوكاً ولم يكونوا مصريين بل كانوا ممثلين للاسر العربية السامية الحاكمة فى المنطقة .

وكان اولئك الحكام المحليون يديرون الاقطار التى يحكمونها مباشرة وكانت المدن تابعة لهم كما تقرر رسائل تل العمارنه كما كانت الجيوش المحلية هى التى تحمى النظام العام وكانت مصر تقنع باحتلال نقط استراتيچيه وهى القلاع التى شيدها تحتمس الثالث ليتحكم فى مجدو وقادش .

وفى عام ١٤٤٥ق،م اتم امنحتب الثانى غزوات تحتمس الثالث وفتح المناطق التى كان يحتلها المتيانيون الاجانب وعمل ملوك مصر على توثيق عرى الوحدة مع حكام ذلك الجزء من الشرق العربى فتزوج تحتمس الرابع ابنة ملك ميتانى ثم جدد امنحتب الثالث تلك الرابطة فتزوج ابنة ميتانى وثم تزوج اخته فيما بعد . ومع نهاية حكم امنحتب الثالث تحقق اول شكل من اشكال الوحدة بين شعوب الشرق العربى فتدعمت العلاقة بين مصر وفلسطين ولبنان وسوريا وغيرها من بلاد الشرق القديم.

ولقد بدأ منذ حكم امنحتب الثالث الذى حقق للشرق العربى وحدته نمو فكرة عبادة شكل من اشكال الشمس (اتن) وهو قرص الشمس الذى يذكرنا اسمه بكلمة "ادوناى" ADONAI اى سيد الساميين وقد وصل "اتن" فى عهد امنحتب الرابع الى مرتبة آله الآلهه ان لم يكن الآله الوحيد ولم تفلح جهود كهنة امون رع بطيبه فى عرقلة ذلك الإصلاح الدينى ومن ثم فقد سمى الملك نفسه باسم اخناتن وسمى عاصمته (اخناتن) اى "افق اتن" فى موضع تل العمارنه الحالى. وفى نفس الوقت الذى شيد فيه عامل مصر عاصمته اخناتن انشأ فى فلسطين (كنعان) ربما فى مكان القدس مدينة خيتاتينى وقصر العبادة بها على قرص الشمس يدل على ان اخناتون قد تبين ان شعوب الشرق العربى كانت فى حاجة

الى مثل اعلى مشترك لتحقيق مصالحها السياسية والتجارية فيما بينها لتكون فى شكل وحدة عربية سامية قديمة .

وقد تضمنت رسائل تل العمارنه تفاصيل خلاف بين "ازيرو" الحاكم العمورى العربى مع "ربيادا" حاكم جبيل الذى ظل موالياً لمصر فى نهاية حكم اخناتون امنحتب الثالث وبعد ان تغلب "ازيرو" على خصمه بقتله جاء الى مصر وقدم فروض الطاعة للكها "اخناتون" وغادر مصر مفوضاً منها كحاكم محلى على ذلك الاقليم من اقاليم كنعان .

وكان تحتمس الثالث (١٤٧٩-١٤٤٧ق.م) الذى تولى حكم مصر بعد حكم (حتشبسوت) قد بدأ لسلسلة غزواته فى آسيا والتى بدأها بفلسطين وعقد ملوك تلك الامارات بقيادة ملك قادش تحالفاً ضد مصر وساق تحتمس الثالث جيوشه فى ستة عشر حملة فى خلال عشرين عاماً الى هذه البلاد وكان امنحتب الثانى قد قاد حملتين مظفرتين بحيث لم يعد للهكسوس ادنى وجود فى كنعان .

وتدل المعلومات الاثرية التى يتزايد ظهورها فى فلسطين على ان نظام الحكم المصرى لم يصبح ذا اثر فعال فى البلاد الاسيوية فى عهد تحتمس الثالث وان الهكسوس لم يغلب على امرهم فى ارض كنعان إلا فى ذلك الوقت . وعلى ذلك كان يوجد عنصر سامى واضح فى الهكسوس قد اختلط فيما يطلق عليه هجرة الهكسوس وهذا ليس بغريب بالنظر للتفوق الشامل للسامية ويشمل ذلك العامورين والكنعانيون فى فلسطين وسوريا حوالى ٢٠٠٠ق.م .

ولاتزال سيرة احمس الاول طارد الهكسوس يتوالى ذكرها حيث يحدثنا احمس نفسه عما احرزه من انتصار بعد ان سار بجيشه فى بلاد زاهى (فنيقيا) وتم له النفوذ فى هذه الاقطاع الآسيوية وكان تحتمس الاول بعد ان وطد ملكه بالقضاء على بقايا الهكسوس فى آسيا وتأسيس امبراطورية واسعة تبدأ من

فلسطين جنوباً حتى بلاد الحثيين شمالاً والميتانين شرقاً . ومن ثم فإننا نجد تحتمس الاول قد وصل فى زحفه على نهر الفرات الى المنحنى العظيم بالقرب من قرقميش . وانه اقام هناك لوحة تذكارية لانتصاره حيث ذكر تحتمس الثالث انه وجد اللوحة التى اقامها جده هناك عندما وصل الى هذه المنطقة فى حملته الثامنة واقام هو بدوره لوحة اخرى على الجانب الايمن لنهر الفرات ومن ثم فإنه لايوجد إلا القليل عن الحملات التى دونها لنا التاريخ القديم عن حملات تحتمس الاول فى آسيا باعتبار ذلك جزء من تاريخ الشرق الادنى القديم فقد كان بداية الاستعمار بين آسيا وافريقيا وبين ثقافة وادى النيل وثقافة بلاد النهرين حيث كانت كنعان ولاسيما الجزء الجنوبى خاضعاً دائماً لمصر (لم يكن استعماراً بل تكاملاً) .

ومن ثم فإن الحملة كانت محاولة حقيقة (تأسيس السيادة المصرية على تلك البقاع الشاسعة من آسيا التى تبدأ من حدود مصر عند برزخ السويس وتنتهى عند منحنى الفرات وإن كانت لم تحدث حروب فى عهد تحتمس الثانى والملكة حتشبسوت وقد بقى الحال الى ان اعتلى عرش مصر الملك تحتمس الثالث حيث كان اول عمل قام به ان طار بجيشه العظيم الى ربوع آسيا حيث كان الهكسوس الذين طردوا من مصر قد الفوا حلفاً بقيادة قادش وهى بلدة على نهر العاصى على مسيرة مائة ميل تقريباً شمال دمشق حيث كانت سوريا كما كانت كنعان مقسمة الى ولايات صغيرة يحكم كل منها اميراً وملك ولها آله خاص بها وافلح ملك قادش فى ضم هذه الولايات تحت قيادته لكن تحتمس الثالث زحف الى قادش ودارت معركة مجدو التى انتصر فيها تحتمس الثالث على جيش الحلف السورى فى اول معركة حربية فى تاريخ العالم القديم حيث اخترق فى ١٩ أبريل ١٤٧٩ق.م الصحراء الشرقية والحدود الجنوبية لكنعان (فلسطين) فوصل غزه ثم اتخذ الجيش طريقه حتى عسكر عند مجدو استعداداً للمعركة حيث استطاع ان يحطم جيش

الاعداء وفى عهد الملك سيتى الاول (١٣١٩-١٣٠٠ق.م) بذلت مصر جهداً جباراً لجمع شمل الوحدة مع فلسطين وقد سجلت الصور والنقوش بواسطة ملوك الأسرة التاسعة عشرة على جدران معابد مصر العليا وخاصة فى ابيدوس والاقصر والكرنك وابى سمبل مراحل هذه الاعمال المصرية ففى العام الثامن من حكم سيتى الاول (١٣١٩ق.م) ضم قلاع كنعان واجتاز الكرمل واقام نصبا فى حوران وتابع تقدمه فضم موانئ شرق البحر المتوسط واعاد اعدادها لتكون قواعد بحرية تمكنه من ضم سوريا وشواطئها الى مصر ومن هنا كانت كنعان نقطة الانطلاق للشمال واصبحت فلسطين ولبنان مرة اخرى جزأ من الدولة المصرية وضم قادش التى كانت فى ايدى الحثيين وارض عامور . وهكذا اصبحت فلسطين وشواطئ فنيقيا تحت السيطرة المصرية وإذا ارجعنا الى الوراء لعلمنا ان فراعنة مصر كانوا يعملون منذ الدولة الوسطى على تأسيس امبراطورية مصرية فى البلاد الاسيوية المجاورة للكنانه وقد ظهر التوسع المصرى منذ عصر الدولة الحديثة فى الأسرة الثامنة عشرة ولقد كان الفرعون تحتمس الثالث الذى اسس هذه الامبراطورية وقد يكون من المسلم به ان اختيار عنوان هذا الفصل كنعان ومصر والعلاقات بينهما فإن ذلك يعنى انه من المسلم به ان السيطرة على جنوبى سوريا نهائياً واعنى بذلك فلسطين حتى عكا وهو الذى فتحه تحتمس الثالث ثم فقد فى عهد "اخناتون" (اعيد لمصر ثانية فى عصر سيتى الاول) يعد سيطرة اقليمية بالمعنى المفهوم وعلى الرغم من ان عدداً قليلاً من الحكام المحليين الذين ذكروا فى رسائل تل العمارنه فى عهد الفرعونين (امنحتب الثالث واخناتون) كانوا يحملون اسماء مصرية وان بعض الاراضى فى فلسطين قد اصبحت ضمن املاك الفرعون نفسه أو فى يد الكهنة إلا ان ادارة هذه المناطق كانت قد بقيت فى يد حكام من الاهالى الاصليين ومع ذلك كانت توجد حاميات مصرية ومن ذلك نستخلص انه حتى فلسطين لم تكن فى عهد

الامبراطورية المصرية فى الاسرة الثامنة عشرة قد اصبحت تحت السيادة المطلقة أو الدائمة حيث ان الامبراطورية المصرية كانت تتجه مباشرة لطرد الهكسوس من وادى النيل حيث فتح الطريق امام المصريين لتأسيس امبراطورية جديدة فى آسيا على الرغم من ان الغارات التى قام بها ملوك الاسرة الثامنة عشرة مخترقين جبال الكركل حوالى ١٥٨٢ق.م وذلك تلاشياً لحركة الهكسوس التى لم تكن فى الواقع إلا جزء من المد الذى كان يفد من الشرق وحمل معه الكنعانين الى مصر والهكسوس ايضاً .

ولقد كان ظهور المصريين فى الجنوب الغربى لآسيا (كنعان) فى عهد الفرعون احمس الاول وتحتمس الاول مقدمه لتوطيد النفوذ المصرى فى بلاد كنعان ولكن لم يكن نفوذاً دائماً فلم نسمع عن الاستيلاء على غزه أو عسقلان أو مجدو وهى المدن التى كانت تقع فى طريق الجيوش الغازية بل كانت اغارة على قبائل الساشو (البدو) الذين يسكنون الصحراء وكذلك سكان جبل الجليل وفرض ضرائب على البلاد الفنيقيه وكذلك البلاد التى تجاور حلب وشمال نهرينا ، لكن تحتمس الثالث هو الذى استولى على غزه ومجدو والاماكن الحصينة الاخرى فى فلسطين (كنعان) ثم ضم الجزء الجنوبى من سوريا ويشمل فنيقيه وذلك فى العام الثلاثين من حكمه ونصب على هذه البلاد حكاماً من اصل مصرى . وبعد انقضاء قرن من الزمان على عهد تحتمس الثالث نعلم من خطابات تل العمارنه التى كانت ترد الى الفرعون من فلسطين ان الامراء هناك كانوا يشكلون من سحب الجنود المصريون اللذين كانوا معسكرين فى الحاميات القائمة . ولقد كان على الممالك الاخرى المتاخمة له ان تحترم حقوق مصر فى هذه المناطق مثل مملكة بابل ودولة متنى وقد كانتا اصحاب السيادة واشور وكذلك بلاد خيتا وكان الجيش المصرى يقوم بحملات تأديبية فى جهات مختلفة من هذه الاقاليم السورية الشمالية ولم

يقتصر ذلك على شمال فنيقيا والجزء الاسفل من نهر العاصى بل امتدت هذه الحملات الى بلاد النهرين . حتى وصلت الى بلدة (توتب) التى جاء ذكرها فى النقوش المصرية . وتدل الشواهد على ان سوريا كانت فى سلام مع مصر فى عهد (امنحتب الثالث) حيث وضع اسس علاقة سليمة متصلة بين وادى النيل وكنعان وفنيقيا وسوريا وبلاد ما بين النهرين وكذلك ما فعله تحتمس الثالث من تمصير السوريين بتعليم ابناء امرائهم فى مصر ، لكن هذه المناطق قد فقدت من ايدى مصر فى عهد (امنحتب الثالث) وتقصيره فى امداد حمايتها أو ارسال الحملات بعد ان طلب الامراء النجدة من الفرعون . اضافة الى قيام دول جديدة قوية الشوكة فى آسيا ، ومن المحتمل ان هذا التدهور يقع على عاتق "اخناتون" نفسه لاسيما انه منذ عام ١٢٨٠ق.م قد تجمع الاراميون والفوا حكومة ثابتة فى دمشق .

وعندما تولى (حورمحب) عرش الفراعنة كانت املاك مصر السابقة فى آسيا قد اصبحت فى ايدى ملوك آسيوين ، لكن الفراعنة الذين جاءوا بعده اعادوا لمصر تلك الامبراطورية التى كانت تسيطر عليها واعنى بذلك كنعان (فلسطين) وجنوبى فنيقيا . والواقع ان ما تعلمه المصريون وشاهدوه فى آسيا وما جلبته جيوشهم من غنائم الى مصر وما تدفق من خيرات الجزية التى كانت تتدفق على مصر من اقاصى آسيا . كل هذه الاشياء قد تركت اثرها العميق للثقافة المصرية ولكن من عهد الاسرة الثامنة عشرة لم يكن تأثيراً متبادلاً إذ أن الاماكن الآثريه التى كشف عنها فى فلسطين وسوريا يرى فيها الاثر القوى للثقافة المصرية فيجد عدداً من الاشياء قد صنعت فى مصر أو سوريا طبعت بالطابع المصرى لاسيما فى عصر الاسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة وذلك التأثير المصرى كان اشد ما بين القرن العاشر حتى القرن السابع ق.م . .

ولقد كان النزاع بين الامراء الخاضعين للسيادة المصرية فى فلسطين وسوريا لاينقطع ولكن مصر كانت يقظه وبقى الامر حتى تولى الملك (امنحتب

الثالث) وبدأ الخطر يحدق بالاملاك المصرية فى سوريا وبذلك تحلل الحكم فى هذه الولايات وانتشرت الفوضى فى ارجائها ولم ينقطع سيل الخطابات التى كانت ترد من فلسطين يطلب الغوث من مصر لدفع الاعتداء الواقع على هذه البلاد ولما حكم رمسيس الثانى مصر (١٣٠٠-١٢٢٤ق.م) رأى ان يكون قريباً من ولايات سوريا التى كان يرمي الى اعادة ما كان لها من مجد فأنشأ عاصمة جديدة تحمل اسمه (بر رمسيس) فى شرق الدلتا وذلك لادارة اجزاء دولته فى كنعان (فلسطين) وسوريا وفى العام الثانى لحكمه وصل رمسيس الثانى الى شاطئ البحر المتوسط الشرقى بين صور وجبيل واقام نصباً على فم نهر الكلب وفى عام ١٢٩٥ق.م انتصر رمسيس الثانى فى موقعة قادش التى تعد اولى معارك التاريخ الكبرى . ولكن رمسيس لم يفقد الامل فعاد الى ارض عامور والتى تقع شرق البحر الابيض المتوسط وظل عشرين عاماً يجاهد فى تنفيذ خطته الكبرى وفى القرن الثالث عشر قبل الميلاد بدأت قوة دولية منافسة تظهر فيما بين النهرين بين اشور وبابل والحثيين الذين عقدوا مع رمسيس الثانى اول وثيقة دبلوماسية وتم التحالف عام ١٢٧٩ق.م .

وفى عهد توت عنخ امون كان سلطان مصر لازال قوياً وممتداً على بعض اجزاء من آسيا وبخاصة كنعان (فلسطين) وكان لحور محب قائده وقوته الحربية الفضل فى ارجاع الممتلكات المصرية إليها ومد السلطان المصرى الذى كان قد تقلص فى آسيا كلها فى عهد اخناتون ، ورسائل تل العمارنه ورد بها اسم كنعان اكثر من مرة ومن ذلك مراسلات ملك بابل (بورابورياشى الثانى) للفرعون (اخناتون) وكذلك رسائله التى يشير منها إلى انه فى ود وصفاء مع (امنحتب الثالث) (اخناتون) وكان ملك بابل قد رفض ما عرضه عليه الكنعانيون حكام كنعان فى عقد تحالف بينهما ضد مصر وملكها امنحتب الثالث وان ملك بابل كان

يسعى جهد طاقته لارضاء فرعون مصر . كذلك حفظت رسائل تل العمارنه خطاب غريب يدل على انه جواز سفر يحتمل ان كاتبه هو ملك متنى "متنى" لملوك كنعان وقد حث فيه كاتبه ملوك كنعان على السماح لرسوله بعبور اراضيهم ليذهب الى اخيه ملك مصر ويعتقد ان هذا الخطاب ارسله "دوشرنا" ملك بابل إلى الفرعون (تحتمس الرابع) وتوجد بعض خطابات مرسلة الى مصر تناقش تدخل بلاد متنى فى فلسطين والإغارة عليها والتى تفهم منها ان ملك متنى قد زحف بجيشه الى فلسطين حتى وصل "سومورا" وقد كان على وشك الاستيلاء على جبيل وان ملك متنى كان يساعد ملك كنعان (عبدى اشرنا) ضد القبائل البدوية والظاهر ان اطماع بلاد متنى وعدائها لمصر كان من قديم الزمن ، وكانت جبيل قد طلبت من مصر المساعدة ولكن بعد ان فقدت الامل دفعت الجزية لمتنى لأن قوات مصر لم تصل اليها للدفاع ضد هجوم ملك متنى ولقد كانت من اهم الوثائق التى بقيت منقوشة على معبد الكرنك بالأقصر التى تحدثنا عن الفرعون سيتى الاول . ومهاجمة قبائل (الشاسو) البدو الاسيوين فى كنعان والواقع ان الموقف الذى كان يواجهه هذا الفرعون فى فلسطين كان موقف خداع كالذى صادفناه فى خطابات تل العمارنه وبخاصة تلك التى كتبها (عبدى خيبا الكنعانى) صاحب بيوس (اورشليم) وقد نوه عنها فى نقوش مقبرة (حور محب) حيث طلب عبدى خيبا مساعدة مصر له فى صد هجوم البدو الذين كانوا يستعدون لتوطيد اقدامهم فى فلسطين وقد كان هؤلاء البدو ينتهزون الفرصة للاستيلاء على كنعان وبصفة خاصة (يبوس) والتخلص من النفوذ المصرى وقد وصلت التقارير الى سيتى بأن الثورات تندلع فى كنعان ومدنها ولقد نجح رؤساء قبائل سوريا معلنين العصيان على مصر. ونعلم من نقوش الكرنك ان الحملة الاولى سارت فى ثلاث مراحل الاولى هى زحف الجيوش من ثاروه الى كنعان لمنازلة "الشاسو" الذين يسكنون الاقليم الواقع

بين مصر وكنعان ولقد كان من الطبيعى ان يخضع هذا الاقليم أولاً قبل التقدم داخل فلسطين ومن اجل ذلك كانت اول خطوة فى سبيل الوصول الى ذلك هو الاستيلاء على كنعان ثم اقليم "رتنتو العليا" وهو اقليم يمتد ما بين شمال جبال الكرمل واعالى نهر الاردن .

وقد سار الفرعون من قلعة "ثارو" حتى "كنعان" وغرس الخوف فى قلوب الشاسو من مصر الى فلسطين وقضى على ثوار كنعان وعصاباتها وانه استولى فى فلسطين على العديد من المدن بعد اختراق جبال "الكرمل" ومدن "ياهيريا" وبيت شائيل وحماه ورحبو وينعم وكان امير بلدة حماة قد استولى على بيت شائيل وانضم الى ولاية ناهيريا واخذ فى إثارة القلاقل فى الاقاليم المجاورة ومن اجل هذا عقد سيتى الاول العزم على القيام بضربة حاسمه يحصل بها على انتصار سريع ويقضى على الثورة وقد كان المتن الخاص بالملك سيتى الاول يظهر تقدم الجيش المصرى فى سل اسدرالون Eas draclon قد اعقب مباشرة اقتحام كنعان ومن المحتمل كذلك ان حصن مجدو الذى يشرف على المنفذ الشمالى لسهل كنعان الساحلى لم يعترض مرور الجيش المصرى شمالاً وقد كان النفوذ المصرى قوياً فى فلسطين اما الحملة التى ارسلها توت عنخ امور الى فلسطين فلم تكن ذات اثر فعال فى نتائجها .

ومن المعروف ان مدينة بيسان فى فلسطين قد انشأ قلعتها الملك تحتمس الثالث لذا كان لزاماً على سيتى الاول ان يقوم بحروب على الشاسو عند حدود فلسطين الجنوبية تحذر الرؤساء فلسطين بأن قوة مصر قادرة على بسط نفوذها على كنعان وقد استولى الجيش المصرى على ميناء عكا وصيدا وبعد ان اتم سيتى الاول النصر انتهز فرصة وجوده فى لبنان واخذ فى قطع الاخشاب لبناء المعابد والسفن المصرية التى كانت فى امس الحاجة الى حاصلات بلاد زاهى (لبنان)

وعندما تولى رمسيس الثانى فإنه فى عام ١٢٧٣ق.م كانت سحب الاضطرابات تتكثف على الجبهة السورية فقد ادى انسحاب رمسيس من قادش دون رد فعل مناسب . كل هذه العوامل ادت الى اعتقاد كنعان بأن ذلك دليل ضعف القيادة المصرية .

فبدأ حكام كنعان يتقاعصون عن دفع الجزية لمصر وفى نفس الوقت كانت هناك ممالك فتية قد بدأت فى الظهور مثل مملكة اموأ اب التى تلى البحر الميت ومملكة ادوم جنوبها مباشرة وهاتان الملكتان رفضتا السيادة المصرية وبدأت قبائل البدو الساشو فى الإغارة على قلب كنعان وشهدت سوريا اضطرابات خطيرة لم تشهدها منذ حكم سيتى الاول وكان عام ١٢٧٢ق.م قد شهد قيادة رمسيس لحملة ثانية فوصل الى غزه واوقف حكام كنعان التابعين عند حدودهم وتمكن من طرد الساشو ودفعهم نحو الشرق خارج حدود كنعان كلية وبعد ذلك تعامل رمسيس مع شرق فلسطين ووصلت القوات المصرية الى قلب مؤاب بعد عبور صحراء النقب جنوب البحر الميت ، ثم عبر جبل كنعان الرملى وتجاوز (يبوس) القدس حالياً ثم تجاوز "اريحا" الى الشمال لا حر الميت ثم اخترق مؤاب وضرب مدينة ذيبون . وبهذا تكون كنعان جميعها قد اخضعت وهدأت ويكون فى وسع رمسيس ان يتطلع الى الشمال مرة اخرى وصولاً الى دمشق ثم الى كوميدي ويعيد هذه المناطق للسيادة المصرية . ثم قام عام ١٣٧١ق.م بالقضاء على آخر جيوب المقاومة فى شمال كنعان ويسيطر على الخارجين فى تلال الجليل (ماردم وبيت عنان) واحتل عكا ومن عكا الى كل الساحل الفنيقى الجنوبى شمال عكا وبذلك تكون صور وبيروت وجبيل وارقات (اوزلازا) ثم سامرا قد خضعت للجيش المصرى وقد تقدم الجيش المصرى فى اراضى يسيطر عليها الحثيون وهى ارض لم تطأها قدم الجيش المصرى منذ ١٢٠ عام .

وكانت قد حدثت ثورة ضد مصر فى كنعان (فلسطين) حيث هب كل امراء فلسطين بالثورة ضد رمسيس الثانى بتحريض من خيتا ومن ثم بدأ حملته بدءاً من عسقلان التى كانت فى حلف مع مدن فلسطين وكان ان سيطر رمسيس الثانى على كل هذه البلاد والمدن كما سبق الإشارة . وبعد حروب دامت اكثر من خمسة عشر عاماً مات (مواتالو) ملك خيتا . وخلفه اخوه (خاتوسيل) على العرش وكان سياسياً قد بدأ فطلب ابرام معاهدة مع مصر وخضعت كنعان (فلسطين) ولبنان للسيطرة المصرية وهكذا كانت العلاقات مع هذه البلاد متصلة ودائمة لاسيما جنوب سوريا وكنعان وبذلك انتهت الحروب التى نشبت بين مصر وبلاد خيتا بالعراق فى عهد الملك (خاتوسيل) وكذلك عقد معاهدة مع ملك الاموريين وكان رمسيس الثانى قد تولى الحكم عام ١٣٠١ق.م ومعركة قادش حدثت عام ١٢٩٦ق.م . وقد ظلت العلاقات السلمية طوال عهده وحتى عهد (مرنبتاح) وفى مصر الكثير من الوثائق التى تشير الى هذه العلاقات .

ونظراً لأن الجوع كان شديداً فى ارض كنعان فإن بعض البدو الساشو (ادوم) قد سمح لهم بأن يجتازو الحصن الذى فى اقليم تل المسخوطه (ثلوت) ليتاح لهم رعى ماشيتهم حيث كان فى فلسطين (كنعان) يقوم البدو الرحل الساشو بحركات هجرة لاتنقطع وهذا برهان اكيد على ان الكنعانين قد استوطنوا فلسطين منذ عهود سحيقه حيث كان الفراعنة كما سبق القول يقومون بالحملات العسكرية على هذه القبائل كما شاهد ذلك فى نقوش المعابد المصرية حيث كان من مفاخر هؤلاء الفراعنة ان يسجلوا انتصاراتهم على بدو الساشو على المعابد مثل معبد بيت الوالى . معبد الكرنك وغيرها من المعابد الأخرى .

وفى مدن فنيقيا الساحلية نمت المبادلات التجارية مع مصر ولاشك ان الكتابة الفنيقية قد ظهرت وازدهرت فى هذا العهد وفى العهود التالية لعصر

رمسيس الثانى فقد عثر على اوانى فى جبيل بيلوصى كتب عليها اسم رمسيس الثانى حيث ان الحروف الابجدية التى عثر عليها فى قبر ذلك الامير تعد اقدم حروف ابجدية فنيقية وصلت إلينا . أما فى فلسطين فقد قامت مصر فيها بنشر ثقافتها ومدنيتها منذ اقدم العهود فقد اقام الفرعون رمسيس الثانى على غرار والده سيتى الاول معبداً فى بيت شان ، وأقام لوحة على مقربه من اللوحة التى اقامها والده فى (حوران) ، ولوحة اخرى فى قرية الشيخ سعيد فى اقليم (عشتاروت) وكانت بلاد فنيقيا وفلسطين على صلة تجارية دائمة مع مصر حيث كان انتاج هذه البلاد مرغوب فيه فى مصر ويكون عليه اقبال شديد والذى ربما كان استعماله للملك والكهنة وعلية القوم .

وكانت هناك عناصر فلسطينية وكنعانية وسورية ولبنانية وغيرها من بلاد آسيا تفد على البلاد المصرية كطوائف بدو واستوطنوا العاصمة بررمسيس عاصمة الملك (قنتيرا الحالية) وكانوا جنود مرتزقه وكانوا يعملون فى الجيش وسكنوا منف وغيرها من المدن فقد انشئت احياء كاملة لهؤلاء المهاجرين من الكنعانين والفنيقين الذين جاءوا الى مصر مصطحبين معهم الهتهم وأربابهم المحليين من اجل ذلك اعترى الجيش المصرى تغير فى الدم والواقع ان بلاد كنعان وفنيقيا لم يكن لهما اى صناعات خاصة بهما ولذلك لم تترك صناعة هذين القطرين أثراً فى الصناعة المصرية . غير ان هذه البلاد كان لهما أثرها فى مصر فى اللغة إذ نجد الكلمات الكنعانية كانت تتدفق بمقدار عظيم على اللغة المصرية .

ولم يكن ذلك قاصراً على اسماء السلع والبضائع والاسلحة والخيل والعربات وادوات الحرب . بل الى الالفاظ السامية التى تستعمل فى اداء التحية مثل كلمة السلام وكذلك الالفاظ الدالة على الشباب كما تركت كل هذه الامور اثرها فى الثقافة العالية فى اللغة المصرية والواقع ان العلاقات المصرية الكنعانية قد ادت الى

تطور الثقافة المصرية وصلتها بالبلاد مثل سوريا وكنعان (فلسطين) وكذلك نجد ان الالهة السامية اخذ دخولهم فى زمرة الآله المصرية يزداد فنجد مثلاً الآله عشتروت وآله الحرب مارشب ، والآلهة اعنتاى وكانت هذه الآلهه موضع تبجيل فى نفوس المصريين خاصة ان الفرعون (رمسيس الثانى) قد سمى احد بناته باسم الآله (بنت عنتا) وكذلك الآله بعل السامى كان معبوداً عند المصريين مع الآلهه سيت الذى كان معبود البلاد الآسيوية وكذلك وجد اسم الهه تدعى (بصلات سابون) كانت تعبد فى منف وكان هناك حى سامى فى منف العاصمة له آله هو "عشتارت" وكان له مكانة سامية بين الآلة السامية والواقع ان عبادة هذه الآلهة الآسيوية كانت سائدة ومنتشرة فى مصر فى عهد الاسرة السادسة والعشرين ولقد كان لهذه الآلهه معابد فى منف العاصمة القديمة وذلك فى رعمسيس الجديدة عاصمة الرعامسه . وقد عثر على خطابات تتعلق بالتجارة بين مصر وكنعان والبلاد الاسيوية وكان لها قيمتها فى مصر ولاسيما الغلمان الكنعانيون الذين كانوا فى بلاط الفرعون كخدم أو مرتزقه أو يقيمون بالأعمال الخدميه فى القصور الملكية .

وكما سبق القول فإن ما جاء فى تاريخ الشرق القديم بأن الاضطرابات التى حدثت قبل تولى الاسرة العشرين مقاليد الحكم فقد تولى فى تلك الفترة حكم مصر بعض الامراء الكنعانين والبابلين مما كانوا يعيشون فى منف فى الحى السامى وقد حكموا بعض المناطق من مصر وظل ذلك الحكم حتى زمن رمسيس الثانى (١٢٠٠-١١٦٩ق.م) حيث استطاع اعادة وحدة مصر مع كنعان التى كانت تضم ارض شيلاح (كنعان) وزاهى فنيقيا مع مصر وفى البردية المعروفة باسم بردية هاريس إشارة الى معبد اقيم لرمسيس الثالث وامون فى احدى مدن زاهى بارض كنعان وكما سبق القول فقد كانت لمصر علاقات متصلة مع الفنيقين الذين استقروا على الساحل وفى الداخل خلف لبنان استقر الاراميون وقد تبادلوا الصلات مع

المصريين وتجمعوا في المدن وانشأوا لتلك المدن حكومات تبادلت علاقات دبلوماسية ودولية واصبحت قواعد مصر البحرية السابقة صور ، صيدا ، بيلوصى ، بيروت موانئ تجارية لهم . وفى عام الالف قبل الميلاد استطاع الفنيقيون بواسطة تبسيط اللغة الهيروغليفية ان ينشئوا ابجدية للكتابة وفى داخل البلاد وخلف مراعى لبنان استطاع الاراميون ان يبسطوا سيطرتهم وان يكونوا ثلاث دول هى حما ، زوبا ، دمشق وهذه المدن كانت لها علاقات قوية مع مصر ، وكان الاراميون قد اقبسوا من الفنيقين ابجدية عملت على انتشار تجارتهم ومنذ القرن التاسع ق.م استطاعوا ان ينزعوا السيادة التجارية أما فى جنوب سوريه فكانت المنطقة الساحلية فى ايدى الفلسطينين ، وكانت اهمها غزه فى الساحل واشدود فى الداخل وكان الكنعانيون والعاموريون العرب لازالوا يتحكمون فى الارض الكنعانية ومع نهاية الاسرة التاسعة عشرة فى عهد (مرنبتاح) توجد لوحة توضح انتصارات شرقاً وغرباً فى جميع الاراضى وكل الاراضى قد اخبرت بذلك الانتصار حيث جاء فيها . لم يعد يرفع واحد من بين قبائل البدو رأسه .

فالتحنو قد خربت . وبلاد خاتى اصبحت مسالمه ، وكنعان اسرت مع كل خبيث ، وازيلت عسقلان ، وجيزر قضى عليها ، وينوام اصبحت لاشئ ، واسرائيل خربت وليس بها بذر ، وخارو (فلسطين) اصبحت ارمله لمصر . وكل الاراضى قد وجدت للسلم والكاتب اعتبر اسرائيل قبيلة بدوية تقيم فى فلسطين وانها تدل على مجموعة من الناس وليس اسم بلد كفلسطين وكنعان وليبيا وخاتى وبلاد ما بين الرافدين .

والنتيجة التى يمكن استخلاصها من هذا النص ان الاسرائيلين كانوا اجانب لا وطن لهم يقيمون بجوار القبائل كغرباء لقد كانوا كما تسميهم التوراة ابناء اسرائيل وانهم ليسوا سكان هذه البلاد أو تلك فقد كانت لاتزال كنعان كما

ورد بالنص وفلسطين وعسقلان وهى الارض المملوكة للكنعانين . ثم ارتحلوا الى ايتام . وايتام قد كانت ارض ادوم يسكنها العرب البدو الذين يسميهم المصريون "ساشو" وقد كانوا ينزحون حتى الحدود المصرية وقد جاء ذكر ادوم وكنعان وفلسطين فى ورقة "انسطاطى" وتدل شواهد الاحوال على ان الطريق الرئيسى للمواصلات بين مصر وفلسطين كان فرع (بلوزيم) فقد كان يمتد الى ما وراء ادفينا وهرقله ويسير حتى "شارو" تل ابو صيفه ، وفى شرق تل شارو توجد بلدة مجدول وكانت معروفة على الطريق المؤدية الى فلسطين وهى الطريق التى سلكها سيتى الاول الى فلسطين ولذا كانت بداية الطريق البرية الى فلسطين هى قلعة شارو وقد كانت بلدتى سقنه ومجدول حداً جنوبياً لكنعان وشمالياً لمصر من جهة كنعان وكانت شارو اول بلدة فى الطريق المؤدى من فلسطين الى مصر .

وإذا كان النفوذ المصرى قوياً فى عهد الدولة الحديثة للأسرة الثامنة عشرة ولاسيما فى عهد سيتى الاول وتحتمس الثالث وامنحتب الثانى وغيرهم من ملوك مصر العظماء فإن الأسرة التاسعة عشرة قد شهدت قيام رمسيس الثالث بإعادة المجد المصرى قوياً ومن ذلك قيامه باتخاذ العدة لحماية حدود مصر براً وبحراً فقد حارب الامورين والسورين وكان الغرض من هذه الغزوات هو منع التعدى على املاكه فى بلاد فلسطين التى كانت مرتبطة بمصر ارتباطاً وثيقاً منذ قدم التاريخ المصرى وحتى بلاد كنعان نفسها كادت ان تفلت من ايدى المصريين لأن كل الاقليم الساحلى قد بسط الفلسطينيون نفوذهم عليه ولكن ما اشارت إليه الآثار المصرية فى عهد رمسيس الثالث يدل على ان مصر كانت مستمرة فى فرض سيطرتها على بلاد كنعان وظلت السيطرة فى عهد الملوك الذين خلفوا رمسيس الثالث وقد وجدت فى مجدو قاعدة تمثال لرمسيس السادس تدل على ان النفوذ المصرى لازال قوياً وأخيراً كما سبق القول فإن بردية هاريس (هـ/٨/١٣/٩/٣)

تذكر ان رمسيس الثانى اقام معبدين فى الخارج احدهما فى بلاد كنعان والآخر فى بلاد النوبة للآله امون .

وفى عهد الاسرة الحادية والعشرين الذين يبدأ ملوكهم بالفرعون شيشنق الاول الذى كان من الامراء اللبيين الذين تمصروا بمرور الزمن والذين كانت مملكة فلسطين وشرق الاردن لازالت تحت السيادة المصرية لاسيما ان مجموعة من البلاد الفلسطينية لازالت هى كنعان رغم وجود القبائل البدوية الغاربه داخل الاراضى الفلسطينية وقبل تولى شيشنق فإن العلاقات الخارجية مع البلاد تكاد تكون معدومة إلا بعض الاتصالات مع كنعان وفلسطين ، والنوبة تكاد لاتصل ادنى معلومات عن فلسطين وقد انتهز شيشنق الفرص لاعادة بعض ما كان لمصر من سلطان فى آسيا ولاسيما فلسطين الجنوبية (كنعان) وقد نجح فى ذلك اشد نجاح لاسيما ان بلاد ادوم ومتواب وعمون كانت تسودها القلاقل مما دفع "هدد" امير ادوم بالهرب الى بلاط الفرعون ومعه بعض حاشيته وقد استقبل الفرعون هذا الامير ومن معه . وبعد ذلك بوقت قصير بعد ظهور داود فى فلسطين نجد ملكاً يحتمل (سنسى) قد ولى وجهه شطر كنعان واستولى على جازر (فلسطين) حيث ورد فى التوراة كتاب الملوك الاول الاصحاح التاسع سطر ١٦ ، صعد فرعون مصر واخذ جازر (فلسطين) . واخذ منها وقتل من الكنعانين الساكنين فى المدينة وهكذا يبرهن على ان الفرعون كان قد حاول التقرب لجارته فلسطين ، وفى عهد "شيشنق الاول" ملك مصر هرب (يريعام بن نياط) من اعدائه اليهود الى مصر (سفر الملوك الاول الإصحاح الحادى عشر من سطر ٢٦) ثم عاد بعد ذلك بالقوة المصرية لتولى حكم القبائل اليهودية نيابة عن حاكم مصر.

والواقع ان السياسة المصرية كانت فى ظاهرها فى ذلك الوقت (الاسرة الحادية والعشرون) تدل على الصفاء والود مع ملوك كنعان وان الفراعنة لم يتركوا أية فرصة دون ان تبث الفرقة بين امراء كنعان وقد حدث التمزق بعد موت سليمان

وفى عام ٩٣٠ق.م قام شيشنق بحملة على فلسطين وانتصر انتصاراً عظيماً بل أنه لم يتعد الحدود الشمالية للجليل (بيت انان) وبذلك انتشر النفوذ المصرى فى الإقطاع الاسيوية وكما ذكرت التوراة فإن شيشنق قد استولى على كل ماله قيمة هناك وصلة معه الى مصر فقد عاشت مصر قرنين من الزمان على الغنائم التى حملها شيشنق من فلسطين .

وفى عهد "اوسركدن الثانى" ابن شيشنق كانت مصر مع كنعان قوية ويسودها الود والصفاء حتى ساحل فينقيا (بيلوصى - صيدا - صور) حيث وضع تمثال الملك فى جبيل (بيلوصى) فى معبد الآلهه "بعلات" وعندما ارسل اوسركدن الثانى الى امير جبيل فلم يكن من اجل شراء الخشب للسفن ولكن تحدث معه فى القيام بحملة على ايبوس ، اورشليم وكان اوسركدن الثانى عام ٨٣٥ق.م قد ارسل عدة حملات الى كنعان وذلك بعد حملة شيشنق الاول بستين عاماً ، ومن المحتمل ان هناك علاقات مباشرة بين الليبين والاشورين مع كنعان على حساب مصر وربما كانوا يتأمرون معهم دون اعلان حرب ، أو ان يمر بمصر ولايجب ان يغيب عن البال ان اوسركدن الثانى قد ترك اثار كثيرة فى بيثوم الواقعة على الطريق الذاهبة من مصر الى فلسطين وان رسل اوسركدن الثانى يذهبون الى شمال وجنوب كنعان الى جبيل والسامرة فقد كانوا يتفاوضون مع ملك دمشق عندما غزا "سلامندر الثالث" ملك اشور بلاد سوريا عام ٨٥٣ق.م وقد حاول جيش مصرى صغير العدد وقف زحف الاشورين .

Breasted , A.R: Ancicnt Records of Egypt . P.72

وهكذا قامت الاسرة الثانية والعشرين فى عهد شيشنق الاول وابنه اوسركدن الثانى ، بالمحافظة على النفوذ المصرى فى كنعان وفلسطين وشرق الاردن وادوم وشمالاً بلاد فنيقيا وسوريا وصولاً حتى بلاد النهرين وهكذا كان الوجود المصرى واضحاً قوياً فى بلاد الشرق القديم وبصفة خاصة ارض كنعان

وفنيقيا وسوريا لكن الجزء الجنوبى من كنعان كاد ان يكون طوال عصور التاريخ المختلفة منذ عصر ما قبل الاسرات مروراً بالدولة القديمة والوسطى والحديثة نهاية بالأسرة الثانية والعشرين فإن هذا الجزء كان يخضع خضوعاً تاماً لمصر أو تحت السيادة المصرية لحماية الاراضى المصرية فى سيناء .

وهكذا فإن العلاقات المصرية طوال عصورها كانت قوية مع الكنعانين لاسيما قبل نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد ٣٢٩٧ق.م حيث كان الكنعانيون قد بدأوا الهجرة والاستقرار الواسع فى فلسطين ونشروا ثقافتهم ومؤسساتهم ،كان ذلك حوالى عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد فاطلقوا على فلسطين اسم كنعان وكان فى بادئ الامر يطلق على الجزء الساحلى من البلاد ثم شمل فيما بعد كلاً من بلاد الاردن وشمال فلسطين وصولاً حتى صور وصيدا وهكذا كانت العلاقات متصلة بل وثابتة على اسس قوية لم تكن فرضاً للنفوذ العسكرى بل يغلب عليها الطابع السياسى والتجارى والاقتصادى وحسن الجوار حيث ان هجرة الكنعانين الى فلسطين هى نتيجة هجرة عربية اقدم عهداً من هجرات لاحقه لأنه منذ عام ٤٥٠٠ق.م تدفقت موجات من هجرة سامية قادمة من بلاد العرب وانتشرت فيما بين بابل وسوريه وفلسطين .

Encyclopuedia Britannica . 9th ed. Vol . 19 . P. 194

كما ان هناك هجرات عربية اخرى اتخذت نفس الاتجاه عامى ٢٨٠٠، ٢٧٠٠ق.م ولكنها لم تنتشر فى بابل فقط بل وصلت الى سوريا وفلسطين وكل هذة الهجرات العربية كانت تحاول الدخول الى الاراضى المصرية عبر سيناء مما كان يحتم على الفراعنة ضرورة ضد هذه الهجرات أو السماح لها سلمياً بالدخول للرعى والعيش فى شرق الدلتا تحقيقاً لمبدأ التعاون بين الساميين فى كل بلاد الشرق القديم ويذهب المورخ "تروجوس Trugus" الى ان منشأ الفنيقين الذين ارتبطت بهم مصر بعلاقات ربما تكون ذوى من الكنعانين كان على شواطئ البحر

المتوسط وكان الفنيقيون فى عصور التاريخ الاولى يسمون انفسهم كنعانين كما يسمون ارضهم كنعان وسواء اكان الكنعانيون والفنيقيون جنساً واحداً كما يرى اترديوس ، أم عرب هاجروا من جنوب شبه الجزيرة ولكن مما لاشك فيه انهم كانوا متحالفين متآلفين وربما من الاصح ان الفنيقين قد هاجروا الى فلسطين وسوريا بعد هجرة الكنعانين إليها فامتزجوا بهم ولكن هناك اقوال تذكر ان صيدا هو من ابناء كنعان (مدينة صيدا) .

ويذهب بعض المؤرخين الاوربين المحدثين تيودور/ رينسون Theodore H. Robinson الى ان اقدم طبقات الارض تدل على ما كان لمصر من اثر فقد كانت تبسط سلطانها على فلسطين وما نستطيع استخلاصه مما بقى من فن العمارة المتأخرة يتضح منه ان اصول هذا الفن ترجع الى مصر على انه وصل فلسطين عن طريق فنيقيه اما السيطرة البابلية والاشورية على فلسطين فقد جاءت متأخرة عن النفوذ المصرى ولم تترك أثراً يذكر .

ومن هنا ندرك كيف ان الوجود العربى المكثف من الكنعانين ومن القبائل العربية الكنعانية وغيرها من القبائل العربية الأخرى التى استقرت فى فلسطين والتى تزداد فى بطونها وبتشعبها الى اكثر من اربعة عشرة قبيلة وهجرة متصلة من الجزيرة العربية كانت كلها تصب فى مصلحة الاستقرار المصرى حيث ان مصر لم تشعر بالخطر إلا منذ الغزو الهكسوسى لمصر والذى استمر ما يقرب من قرنين وكيف ذهب الفراعنة منذ عهد احمس الاول مؤسس الاسرة الثامنة عشرة وانطلاقاً الى تحتمس الاول والثانى والثالث وسيتى الاول وامنمحات ورمسيس الثالث وكل ملوك الفراعنة الذين وطدوا النفوذ المصرى دفعاً للخطر عن مصر وليس للسيادة وفرض النفوذ ذلك لأن مصر عبر تاريخها الطويل لم تكن دولة غازيه بل مدافعة عن حقوقها ومن هنا كانت العلاقات المصرية الكنعانية تصب فى مصلحة الشعبين المتجاورين العربيين الساميين .

العلاقات الكنعانية المصرية

فى عهد تحتمس الثالث

كانت مصر ترتبط بعلاقات قوية مع الأقاليم الاسيوية التاخمة لها (كنعان – فنيقيا بشمال لبنان – سوريا الشمالية وبلاد ما بين الرافدين) وما كان لمصر من سلطان ونفوذ فى هذه الاقاليم الاسيوية وهى الاقاليم التى فتحها فراعنة مصر فى الأسرة الثامنة عشرة ولكن فراعنة مصر منذ الدولة الوسطى كانوا يعملون على تأسيس الامبراطورية المصرية فى هذه الاقاليم الاسيوية المجاورة لمصر وفى هذا الفصل ندرك التوسع المصرى ونفوذه الذى حققه فراعنة الاسرة الثامنة عشرة فى آسيا وكيف ان مصر بسطت نفوذها على هذه البقاع وقد كان تحتمس الثالث هو الفرعون الذى مد النفوذ المصرى من اعالى نهر دجله والفرات شمالاً حتى الشلال الرابع فى بلاد النوبة والسودان وكوش جنوباً وكل بلاد الشرق القديم .

ومن ذلك نجد ان بسط النفوذ المصرى على جنوب سوريا كان نهائياً الى ما قبل عهد البطالمه وتعنى بذلك كل فلسطين (كنعان) حتى عكا شمالاً وهو الجزء الذى فتحه تحتمس الثالث ثم فقد فى عهد (اخناتون) واعيد لمصر فى عهد (سيتى الاول) ويعد ذلك سيطرة مصرية تامة غير أنه على الرغم من ان الحكام المحليين الذين ذكروا فى رسائل تل العمارنه فى عهدى الفرعون (امنحتب الثالث) واخناتون كانوا يحملون اسماء مصرية إلا ان بعض الاراضى الفلسطينية قد اضحت ضمن املاك الفرعون نفسه أو فى يد الكهنه إلا ان ادارة هذه البقاع كانت قد بقيت فى

ايدى حكام من الاهالى الاصليين بطريقة غير مباشرة ومع ذلك كانت توجد حاميات مصرية وممثلون للفرعون لكبح اى عصيان وكان رجال هذه الحاميات من الجنود المرتزقة أو مجرد مجندين ممن جندهم الامراء المحليون ومن ذلك نستخلص انه حتى فى فلسطين لم تكن الامبراطورية المصرية فى عهد الاسرة الثامنة عشرة قد وصلت الى المرتبة الثابتة . والواقع ان الامبراطورية المصرية فى آسيا كان نتيجة مباشرة لطرد الهكسوس من مصر أو انها قامت بتأثير طرد اولئك الاجانب ولانزاع فى ان مصر منذ عهد الدولة الوسطى كانت قد بدأت فى مد سلطانها وانشاء امبراطورية فى أواخر عهد فراعنة الاسرة الثانية عشرة ، لكن ما حل بالبلاد من انحلال من جراء الغزو الهكسوسى وضعف ملوك الاسرة الثالثة عشرة على الرغم من نفوذهم فى فلسطين فإنهم لم يتمكنوا من انشاء هذه الامبراطورية واصبح تأسيس هذه الامبراطورية فى ذلك الوقت امراً مستحيلاً ، لكن عندما طرد المصريون الهكسوس فإنه فتح الطريق أمام المصريين لتأسيس امبراطورية جديدة فى آسيا على الرغم من الغارات التى قام بها ملوك الاسرة الثامنة عشرة مخترقين جبال الكرمل عام ١٥٨٢م لم تكن إلا للانتقام من الهكسوس ووقف موجات الغزو الهكسوسى التى لم تكن إلا جزء من المد البشرى والحضارى الذى يأتى من الشرق وحمل معه الكنعانين الى فلسطين وكان المصريون قد تعلموا من محاربة الهكسوس ما كان ينتظرهم فى سوريا وكيف يمكنهم الاستيلاء عليها وكان ظهور المصريين فى الجنوب الغربى لآسيا فى عهد الفرعون احمس الاول وتحتمس الاول مقدمة لترسيخ الحكم المصرى هناك ولم تكن فى عهدهما اى حكم مصرى فى بلاد كنعان وسوريا .

إذ ان هذه الغزوات لم تسمح بالاستيلاء على الحصون والاستقرار النهائى بها مثل غزه وعسقلان أو مجدو ، وهى المدن التى كانت تقع فى طريق الجيوش الغازية بل كانت مصر تغير على قبائل (الشاسو) البدو والذين كانوا يسكنون الصحراء أو على قبائل "رنتو" فى جبال الجليل وكذلك فرضوا جزية على بلاد فنيقيا حتى مدينة (ارواد) وعلى القبائل التى كانت تسكن فى الداخل فى شمال (بلاد نهريبا) وبلاد حلب وان الجزية كانت ترسل خوفاً من الفرعون وقد ظل الحال حتى تولى تحتمس الثالث الحكم وعندئذ اخذ فى تأسيس الامبراطورية فى اقاليم آسيا وبالاستيلاء على غزه وعسقلان ومجدو والاماكن الحصينة الاخرى فى بلاد فلسطين (كنعان) وتم لهذا الفرعون ضم الجزء الجنوبى الاقصى من سوريا وتشمل كنعان وفنيقيا ومعظم سوريا وذلك فى العام الثلاثين من حكمه وبلغ النفوذ المصرى العسكرى قوته فى تلك البقاع وبعد انقضاء قرن من الزمان على حكم (تحتمس الثالث) نعلم من خطابات (تل العمارنه) التى كانت ترد على الفرعون من فلسطين ان الامراء هناك كانوا يشكون من سحب الجنود المصريين الذين كانوا معسكرين فى الحاميات القائمة هناك وقد ترك تحتمس الثالث حاميات مصرية فى هذه المدن والامارات الكنعانية والفنيقية ، ولكن الامارات كان يديرها حكام من اهل البلاد انفسهم نصبهم الفرعون على حكم هذه الامارات وان النفوذ المصرى كان يبدأ من ساحل البحر الابيض المتوسط شمال (ارواد) ثم ينحنى الى الجنوب عند انفصال نهر (العاصى) عن نهر (الاردن) ثم يأخذ فى التلاشى فى الصحراء الشرقية على مسافة قليلة من جنوب دمشق .

والواقع ان تحتمس الثالث عند نهاية حكمه كان قد اسس اقليماً امبراطورية كان يدخل فى دائرة النفوذ المصرى ولم يعد لأية قوات اخرى قدرة على دخول هذه الاقاليم وكان لزاماً على الممالك الأخرى المجاورة ان تحترم حقوق مصر المطلقة كدولة بابل الكاسيه ودولة متنى وكانا اصحاب السيادة الى ان استقلت بلاد اشور الواسعة شمال (مسبوبوتامبا) وكذلك كانت بلاد (خيتا) اخذه فى الظهور .

وكان الجيش المصرى يقوم ببعض الغارات التأديبية فى هذه الاقاليم الشمالية السورية ولم يقتصر ذلك على شمال فنيقيا ، والجزء الاسفل من نهر العاصى بل امتدت هذه الحملات الى بلاد النهرين حتى وصلت الى بلدة (تونب) التى جاء ذكرها فى النقوش المصرية وربما كان هذا الأقليم يشمل كليكا) آسيا الصغرى حيث كان تحتمس الثالث قد وصل الى الشمال الشرقى حتى قرقمش وربما وصل الى خيتا وسكانها الذين اظهروا ولائهم للفرعون ، غير ان الجزء الواقع شمال قادش فإنه ربما لم يدخل تحت نفوذ تحتمس الثالث والواقع ان سيادة مصر على وسط سوريا الشمالى وشماليها كانت سيادة اسميه . وقد ظلت هذه الامبراطورية تحت الحكم المصرى طوال حكم الفراعنة الثلاثة الذين خلفوا تحتمس الثالث وتدل شواهد الاحوال على ان سوريا كانت فى سلام فى عهد (امنحتب الثالث) [illegible] صر اثرها الثقافى والحضارى فى عهد هذه الانحاء .

لكن مع بداية حكم (اخناتون) تدهورت الامبراطورية المصرية فى آسيا وبدأت المدن الفنيقية تتساقط مدينة أثر مدينة بسبب تقصير امنحتب الرابع فى امداد حامياتها أو ارسال الحملات من وقت لآخر الى هذه الاماكن وادى قيام دولة قوية

لم يمكن كبح جماحها فى الشمال والوسط وهذا كان يشكل عبأ على عاتق اخناتون الذى كان مشغولاً بالثورة الدينية . لم يحرك ساكناً لتدهور النفوذ المصرى فى بلاد زاهى وشبلاح والرافدين وإن كان بعض اللوم يقع على عاتق من سبقه وقد كونت مصر امبراطوريتها الآسيوية فى فترة كانت قد تلاشت فيه دول آسيوية عظمى لذا سار تحتمس الثالث الى قلب سوريا بجيوشه ولم تكن هناك دولة قوية تقف فى وجه الزحف المصرى ولم تكن هناك قوى غير الدولة الكاسية ودولة متنى ، نهرينا وكذلك انزوت مملكة خيتا فى ذلك الوقت بينما كانت آشور تأخذ وضعها كقوة عسكرية نامية فى الظهور على حساب غيرها .

وكذلك كانت هجرة الارامين من العرب الساميين لاتزال فى بدايتها نحو الشمال والغرب وبعد مرور قرن ونصف على عهد تحتمس الثالث اسس ملوك خيتا دولتهم ثم اصبحت اشور دولة عظيمة على استعداد لقتال مصر فى غرب آسيا وظهروا بقوة فى عهد ملكهم (سالمنرر الاول) عام ١٢٨٠ق.م اما الاراميون فقد الفوا حكومة حول دمشق وقد رسخت اقدامها وثبت ملكها اكثر من مصر فى اى عهد من عهود سلطانها وبذلك تراجعت مصر الى داخل حدودها وعندما تولى (حور محب) عرش مصر كانت املاك مصر فى آسيا قد اصبحت فى ايدى الاسيوين ، لكن مصر كانت لاتزال تسيطر على كنعان (فلسطين) وجنوبى فنيقيا وكذلك اخذ الفراعنة فى استعادة سلطان مصر فى الجنوب على الامارات الشمالية غير ان هذا السلطان لم يكن ثابت الاركان .

ولقد ترك الفتح المصرى فى سوريا أثراً ثقافياً بالغاً من عهد الاسرة الثامنة عشرة فقد طبعت هذه المناطق بالطابع المصرى ولكن جزءاً ضئيلاً من هذا التأثير ينسب الى عهد الاسرة الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة اما الجزد الاعظم فى التأثير المصرى فقد كان فى القرن العاشر حتى القرن السابع قبل الميلاد وللحقيقة فإن التأثير المصرى كان قوياً فى الثقافة السورية الكنعانية الفنيقية ولكن تأثير الثقافة السورية كان قوياً على الجانب المصرى ايضاً حيث كان لايقيم فى سوريا إلا عدد قليل بين المصريين فى حين كانت هناك اعداد كبيرة من الكنعانين والفنيقين تعيش فى مصر يحفزهم الى الاستقرار فى مصر الرزق الواسع واكتساب العيش ، ونستطيع القول ان الثقافة المصرية كانت داخلية دون ان تحدث الاثر فى التقدم العالمى ذلك لأن المصرى لم يحاول نشر ثقافته فى الخارج . ولقد كان اخفاق مصر فى المحافظة على سلطانها الامبراطورى فى عهد الاسرة الثامنة عشرة فى غرب آسيا امر لامفر منه نظراً لظهور دول قوية فى غرب آسيا ومن هنا سقطت مصر تحت حكم آشور واستولت عليها لجيل واحد فقط وكذلك استطاعت بابل ان تثبت اقدامها فى مصر وقد افلح المصريون فى احضار سفن محملة بالرجال من آسيا الصغرى وساعدوهم فى طرد الاشورين من مصر بعد ان احتلوها بضع سنوات .

أما الفرس الذين خلفوا بابل فإنهم اثر ظهورهم على ساحل البحر الابيض المتوسط عقدوا المحالفات مع الفلسطينين واستغلوا اسطولها وبذلك استطاعوا ان يستولوا على مصر وقد مكثوا يحتلونها اكثر من نصف قرن بمساعدة الفنيقين إلا

ان مصر طردت الفرس على يد (بسماتيك الاول) ونجحوا فى طرد الاسيوين مرة اخرى .

والواقع ان الفرس لم يستطيعوا تثبيت اقدامهم ثانية فى مصر على الرغم من المحاولات التى حاولوها ولكن محاولاتهم نجحت فى السيطرة على مصر وقد استمرت هذه السيادة حتى غزو الاسكندر الاكبر للبلاد بعد عشرين عاماً من دخول الفرس مصر مرة ثانية (٣٣٢ق.م) .

ومن ذلك نرى ان سقوط امبراطورية الاسرة الثامنة عشرة امام اول دولة اسيوية قوية هى دولة خيتا التى عملت على ازالة الامبراطورية المصرية واخذت مصر تنسحب امام القوة الخبتيه والواقع انه قد ظهر فى خدمة مصر بعض رجال من فنيقيا لاسيما من صور ومن المحتمل ان سفنهم وكذلك سفن الفنيقين فى الشمال كانت فى خدمة مصر ولكن كما سبق القول فإن هذه المدن قد سقطت فى عهد (اخناتون) ولكن على الرغم من ان الفراعنة الذين حكموا الاسرة التاسعة عشرة قد استردوا هذه البلاد لفترة اخرى فإنه لم يكن فى استطاعتهم ان يحافظوا عليها فى وجه قوة (خيتا) القوية فنجد ان امارة (اوردا) كانت تساعد عدو (رمسيس الثانى) فى موقعة قادش ولكن رغم المعاهدة التى ابرمت مع حاكم خيتا فقذ ظلت اجزاء من سوريا تحت الحكم المصرى فى جنوب كنعان (فلسطين) ولكن هذا الاقليم فقد فى عهد رمسيس الثالث) .

وعلى الرغم من ان الفرعون (نخاو) كان فى مقدوره ان يعبر فى سوريا شمالاً حتى قرقميش بجيوشه ويحررها لبضع سنين فإن ذلك الاستيلاء لم يكن إلا

غزوة طارئة فى آسيا الى أن جاء الاسكندر وفتح مصر ثم اسس خلفائه البطالمة دولتهم التى كان مقرها فى مصر وهكذا نرى كيف كانت العلاقات متواصلة بل قوية منذ عهد الدولة القديمة وليس الوسطى أو الحديثة بين مصر وتلك الاقاليم ولكن بصفة خاصة بين كنعان أو جنوب كنعان وفنيقيا علاقات يجمعها الروابط المشتركة والمصالح المتبادلة .

وهكذا فإن العلاقات المصرية الفلطسينية هى علاقات عميقة الجذور والاعماق بل ان مصر وكنعان (فلسطين) يكادان يكونا كيان واحد على مر العصور .

ومن هنا فإن هذه العلاقات الوطيدة ساعدت على صبغ البلاد بالصبغة العربية السامية التى تمثلت فى حركة الهجرة المتواصلة من الجزيرة العربية ولاسيما ان كل هجرة عربية كانت تصل الى فلسطين لابد ان يتبعها تسلل الى صحراء سيناء ومن ثم الى مصر ولذا فقد كان الوجه عربياً سامياً منذ اقدم العصور فى الشرق العربى القديم وان كل الامبراطوريات والدول التى ظهرت فى تلك المنطقة لم تكن تعمل إلا من اجل ايجاد نوع من الترابط والصلات لما فيه خير شعوب تلك المنطقة منذ الأزمنة السحيقة قبل ان تكون أية حضارات فى أوربا أو أية بلاد مجاورة بل كانت حضارة بلاد الرافدين ومصر تترك اثارها القوية فى بلاد كنعان وبقية اجزاء سوريا الكبرى فى حين كانت اوربا عبارة عن غابات ومستنقعات عندما تناون شعب كنعان والشعب المصرى القديم المتحضرين اصحاب اقدم حضارة فى حين كان يسكن اوربا الهمجيون المتوحشون اذن نحن اصحاب حضارة قديمة وتعيش فى ظل حضارة وليس فى الظلام .

الفصل الخامس

" مآثر الكنعانيين الحضارية فى فلسطين "

إذا وضعنا فى الاعتبار ان الوجود الفلسطينى الكنعانى منذ أن استقر الكنعانيون فى المناطق التى فى جنوب غرب القارة الآسيوية منذ اربعة الاف سنة قبل الميلاد وامتدادهم شمالاً حتى السواحل الفنيقية فإن ذلك يحتم الحديث عن الحضارة الفنيقية وأثرها فى تلك البلاد ولكن ذلك قد يخرجنا عن نطاق البحث ومن هنا فإن حديثاً سوف ينصب على الحضارة الكنعانية فى كنعان أو فلسطين مكتفياً بأن تكون الحدود السياسية لنطاق الحديث هى مدينة عكا شمالاً دون الوصول للساحل الفنيقى وذلك لأن الحدود الشمالية لم تكن واضحة فى ذلك الزمن البعيد وإن كان المؤرخون قد اتفقوا على أن فلسطين بلاد يبلغ طولها من الشمال الى الجنوب نحو مائة وخمسين ميلاً ويتراوح عرضها من مساكن الفلسطينين فى الغرب ومساكن السورين والارامين والعموريين والمؤابين والأدومين فى الشرق بين خمسة وعشرين ميلاً بلاداً ضيقة الرقعة الى هذا الحد الذى لايتوقع منه انسان ان يكون لها تاريخ حضارى أو تخلف ورائها اثاراً اعظم مما خلفته بلاد بابل أو أشور أو كلدنيا أو اكاد أو الحضارة المصرية القديمة أو حتى بلاد اليونان أو غيرها من الحضارات القديمة ولكن كان من حسن حظها حضارياً وثقافياً أن تقع بين عواصم نهر النيل وعواصم دجله والفرات فى هذا الموقع جاء الكنعانين بالتجارة والاقتصاد والفن والعمارة كما جاءوها بالحروب التى كانت شراً عليها حيث كانت نهباً القوى المتصارعه من المصريين جنوباً والحثيين شمالاً ودول الرافدين شرقاً

لكن الفائدة كانت اعظم حيث انه من المعلوم ان فلسطين من الوجهه الاثرية تعتبر بلداً فقيراً إذا قورنت بالدول المجاورة أو ربما لطبيعة الشعب الكنعانى إذ ليس فيها معابد ضخمة كما فى مصر أو مقابر ضخمة كما يوجد فى مصر ، لذا كان لزاماً على ان يتعرف الباحث على المواد الاثرية المتاحة والمكتشفة فى فلسطين .

ويدين الكنعانيون من الجزء الاعظم من حضارتهم للمصريين الذين اختلطوا بهم وتاجروا وتجاوروا معهم وحدثت هجرات من هنا وهناك الى الحد الذى وجد فيه فى العاصمة السياسية سواء منف أو طيبه إو برميس ، حى خاص للكنعانين والساميين وحيث ان الكنعانين كانوا اسبق الشعوب السامية فى سكن كنعان ومن قدم بعدهم من طوائف عربية فقد اخذ الفنيقيون لغتهم وحروفهم الابجدية من اللغة الكنعانية كذلك عندما قدم البدو الرحل للعيش كغرباء فى فلسطين بجوار اليبوسين والكنعانين وعاشوا فى الوطن الجديد نبذوا لغتهم ولهجتهم البدوية السامية القديمة واتخذوا اللغة العربية الكنعانية لغة لهم وتكلم كل من عاش فى فلسطين بلهجة القوم الذين سكنوا معهم حيث ان اللغة العربية الكنعانية لغة تكتب ولقد نتج عن الاختلاط بالكنعانين بالزواج والزراعة مع السكان الاصليين ان اخذ هؤلاء القوم من الكنعانين الشعائر الدينية والعادات التى كان يعبدها السكان الجدد من الساميين والذين سبق الإشارة إليهم واسمائهم العديد فى الصفحات السابقة وانهم اتخذوا مجموعة من الشعائر والاحتفال بها والتى كانت سائدة على نطاق واسع بين الكنعانين .

ولقد اوجدت الشعوب الكنعانية حضارة راقيه تركزت فى هذه الارض العربية منذ سبعة الاف سنة قبل المسيح وبالرجوع الى اى مرجع تاريخى وهو مثبت بكل

وثائقه وآثاره ومبينين ان الشعوب والقبائل التى توالى وصولها من شبه الجزيرة العربية الى فلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين منذ فجر التاريخ وفى مراحل ما قبل التاريخ وان هذه الموجات البشرية الكنعانية والعمورية والآرامية وغيرها من الموجات العربية السامية قد اندمجت فى حضارة سامية واحدة هى الحضارة الكنعانية ثم ذابت فى هذه الموجات البشرية الاخرى الآتية الى فلسطين ومحيطها من القوقاز والاناضول ومن جزر البحر الابيض المتوسط وغيرها من الموجات السامية ولاسيما ان الحضارة الكنعانية كانت فى فلسطين وما حولها فى الشاطئين اللبنانى والسورى والحضارة الفنيقية جزء منها قد وصلت الى درجة رفيعه من التطور الفكرى والثقافى ويكفى لادراك اهمية التأثير الحضارى الى ان هذه الحضارة قد اوجدت الابجدية وعلمت البشرية الكتابة والقراءة وان اقدم كتابة ابجدية فى التاريخ البشرى قد اكتشفت فى رأس شمر هى لغة أوغاريت الكنعانية ومثلما تأثرت فلسطين طويلاً جداً بالحضارة الكنعانية تفاعلت ايضاً مع الحضارة الفرعونية المصرية فهى بحكم موقعها الجغرافى الهام شكلت معبراً استراتيچياً درجت الامبراطوريات الكبرى فى مصر وفى الشرق الادنى الاسيوى على سلوكه باستمرار وعلى التنافس حوله فهى الممر الافضل بين آسيا وافريقيا من جهة ومن جهة اخرى واجهة آسيا على البحر المتوسط وهكذا نجد الحضارات الكنعانية والفرعونية وسواهما من حضارات المنطقة مثبته بدقة فى آثارها ولوحاتها الكتابية والرمزية والتى تم اكتشافها فى ارض فلسطين والتى تثبت عروبتها منذ الزمن البعيد .

ولقد تركت اللغة الكنعانية اثرها فى الادب المصرى (سليم حسن . مصر القديمة جـ٧ ، ص١٨) ويلاحظ ان اللغة الاجنبية التى كان الادباء يزينون كلامهم

بها فى العصر الأخير من الدولة الحديثة كانت مستعارة من لغة فلسطين غالباً لما كان بين البلدين من علاقة قوية وهذا يدعونا الى القول بأن كنعان قد تأثرت بمصر من ناحية الادب كما تأثرت بها من ناحية الفن وقد وصل الى مصر شئ من الادب الفنيقى . وكذلك فإن الكنعانين وإن كانوا قد عرفوا بناء المدن والاسوار العالية التى تحيط بهذه المدن ولحفظها من الاعداء إلا أنه لم يتم العثور على مبانى عظيمة من المدن الهامة ولكن وجدت بقايا من مبانى فى مواقع ليست ذات شأن عظيم ولقد كشفت فى اريحا حضارة تعود الى حوالى عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد حضارة قد امتدت الى فلسطين عبارة عن حجرات ومواقد من مخلفات العصر الحجرى الحديث وهى ترجع بتاريخ هذا الاقليم الى عصر برونزى متوسط (٣٥٠٠٠ - ٢٠٠٠) جمعت فيه مدن فلسطين وسوريا من الثروة ما اغرى مصر بفتحها وكانت اريحا فى القرن العشرين قبل الميلاد يحكمها ملوك يعترفون بسيادة مصر عليها وقد وجدت فى قبور هؤلاء الملوك التى اكتشفتها بعثة جارستانج -Gar stang على مئات من المزهريات والهدايا الجنائزية وغيرها من الادوات التى تدل على وجود حياة مستقرة فى تلك المدينة وعلى وجود حضارة لابأس بها من عصر الدولة الحديثة (حتشبسوت وتحتمس الثالث) لقد كان صرح الحضارة قوياً فى فلسطين فلقد كانت فى يوم من الأيام ارض تفيض لبناً وعسلاً كما تصفها كثيراً من الفقرات فى اسفار موسى الخمسة وانها مملؤة بالزراعة والفاكهة وانها لاترويها الانهار ولكنها تنال معظم ما تحتاجه من ماء المطر .

وكان الكنعانيون قد زرعوا هذه الاراضى بالقمح والشعير والذرة وتثمر اشجارها الزيتون والتين والقمح وغيرها من الثمار المعروفة فى ذلك العصر وتنفرد

بها فلسطين وكانت اللغة الكنعانية لاتختلف كثيراً عن لغة الفنيقين الذين اخذوها عن الكنعانين وكذلك لغة المؤابين وكانت القبائل البدوية (الخبيرو) يكتبون بحروف هجائية وثيقة الصلة بالحروف الكنعانية والفنيقية بل انها اصلاً لغة كنعانية .

وكان الاهالى يقربون القرابين للآلهة يهوه . الذى اتخذه الكنعانيون الهاً لهم قبل غيرهم من شعوب فلسطين وذلك فى هيكل محلى أو هياكل ساذجة فوق التلال وكان طراز الهيكل من الطراز الذى اخذه الفنيقيون عن مصر واضافوا إليه ما اخذوه عن الاشورين والبابلين من ضروب التزيين ولم يكن هذا الهيكل كنيسة بالمعنى المفهوم بل كان سياجاً مربعاً بضم عدة اجنحه وكان هيكل هذه القبائل البدوية لا يعد شيئاً مذكوراً بجانب هياكل طيبه وبابل ونينوى .

ومن ثم فإنهم خضعوا لتقاليد مجتمع جديد وعبدوا الآله "البعل" آله الكنعانين وهجروا لغتهم ولهجتهم واتخذوا اللغة الكنعانية لغة لهم وورثوا عن الكنعانين اسس الثقافة المادية وكذلك اخذوا بتقاليد عبادة آله تموز الذى كان الكنعانيون يعتقدون كغيرهم من اقوام الشعوب السامية فى الشرق القديم موته صيفاً وعودته للحياة ربيعاً . وكان الاراميون قد اقتبسوا من الفنيقين ابجدية انتشرت بانتشار تجارتهم وغزت فيما بعد سائر الاقطار وحلت محل اللغة المصرية الهيروغليفية والخط المسمارى البابلى ثم كان عهد اليبوسيون والتطلع الى حياة فاخرة مقلدين المصريين والكنعانين والفنيقين قد ساعد ذلك على أن تصبح الدولة لها طراز من الموظفين والمديرين والعمال الذين جلبوا من البلاد المجاورة كان للأخذ بالحضارة والتقدم الذى بدأ يظهر على ارض كنعان . بل اننا نجد الكتاب المقدس نفسه يعترف صراحة بأثر الكنعانين عندما قام سليمان بن داود ببناء الهيكل وهو اقوى

واقدس المشاريع الفنية حيث كان عملاً فنيقياً نفذه المهندس (حورام) الصورى الفنيقى الذى احضر العمال من النجارين والحجارين والبنائين من الكنعانين والفنيقين بل ان الفنيقين كانوا شركاء للكنعانين فى تجارة البحر الابيض المتوسط وكذلك البحر الاحمر .

كذلك فإن الكنعانين كانوا يعبدون الآلهة (يهوه) حسب ما اخذته عنهم الشعوب البدائية البدوية فصاغوه فى الصورة التى كانوا عليها وجعلوا منه الهاً وكذلك من بين الآثار التى وجدت فى كنعان (فلسطين) عام ١٩٣١م قطع من الخزف من بقايا عصر البرونز (٣٠٠٠ق.م) عليها اسم آله كنعان كان يسمى "ياه" أو ياهو . ولم يكن يهوه الآله الوحيد الذى تعترف كنعان بوجوده فقد كان للموابين الههم وكان للمكوم آله وعمون وكذلك الآلهه تموز وكانوا يعبدون "بعلا ومولك" ولعلهم اخذوا شيئاً عن عبادات المصريين ولكن انتشار العبادات لم يحرر عقول الناس من الخرافات والاوهام وعبادة الاوثان ، بل ظلت اقلية كبيرة من الشعب تعبد الحجارة أو تعبد بعل وعشتروت أو تركع امام الحية النحاسية أو العجل الذهبى وكل هذه معبودات متعددة كانت تعبد على ارض كنعان وكان (يهوه) أحد هذه الآلهه

وقد ترك الكنعانيون مآثرهم على الحياة اليومية فى فلسطين فقد كانت لهم عطلة اسبوعية واعياد اخرى عظيمة منها مواسم كنعانية للزرع والحصاد ومنها اعياد دورية للقمر والشمس فكان الآله (مزوت) أو تموز فى بادئ الامر عيد بداية حصاد الشعير وشباؤوت الذى يسمى فيما بعد "بنكست" عيد حصاد القمح و"سكوت" عيد الكروم ويساقش أو عيد الفصح ويساتشى عيد بداية انتاج الضأن

وكان "رشى – ها – شناة" عيد رأس السنة وكان عيد الفصح عند الكنعانين عيد تقريب حمل لأحد الآلهه المحليين .

ومن اسم آلهتهم (داجون) آله الحب الذى تعلم انه مأخوذ من طائفة الآلهه للكنعانين وكان مركز عبادته (اشدود) اما مقر عبادة زوجته "عشتاروت" فكان بلدة عسقلان على الساحل فى فلسطين ايضاً ولايعرف شئ عن كيفية بناء معبد "داجون" وقصر الرب في "غزه" وكذلك المعابد الفلسطينية الاخرى فى العديد من المدن ويبدو ان كل مدينة كان لها آله خاص بها .

وقد علم الكنعانين الشعوب المجاورة صناعة الحديد ولم يكن احد يعرف الحديد أو استعماله قبل دخول الفلسطينين ارض كنعان ولكن لم يستعمل هذا المعدن بصفة عامة فى بلاد سوريا والكنعانين إلا عند دخول الفلسطينين وكان سر صناعة الحديد محافظة عليه بشده عن الفلسطينين . أما الكنعانيون الذين تعلموا من الفلسطينين استعمال العربات المصنوعة من الحديد فكانت له فائدة حاسمة فى قهر الشعوب البدائية البدوية التى هاجمت فلسطين . وكانت ادوم مصدراً غنياً للحديد الخام ويوجد هذا الحديد كذلك فى لبنان وقد تعلم الفنيقيون استعماله فى بناء سفنهم وبذلك رفع الفلسطينيون درجة الثقافة السورية من استعمال البرونز الى درجة استعمال الحديد وقد ورثوا من جيرانهم الفنيقين المغامرة في البحار والاتجار وقد ادى ذلك الى اكتشاف الفنيقين مجاهل البحر المتوسط والبحر الاحمر وشرق المحيط الاطلسى . وهذا ما خلفه الكنعانين من آثار قليلة تدل على ثقافتهم المادية فى صورة فخار وآلات زراعية وفؤوس من حديد وقواديم ولم يترك الكنعانيون والفلسطينيون خلاف لذلك آثاراً اخرى تذكر ولم يتركوا إلا القليل جداً مما يمكن ان

يتميزوا به من الوجهه الدينية واللغوية والمعمارية ومظاهر الحياة الرفيعة الاخرى وقد كان يطلق على الفلسطينين فى اواسط القرن الخامس ق.م الاشدودين الذين كانوا يتكلمون لغة اشدوديه (سفر صموئيل الاول اصحاح ٢٧ سطر ٢) .

وقد تفوق الفلسطينيون بما لديهم من اسلحة ممتازة يتوقف صنعها على صهر الحديد واستعماله للأسلحة اللازمة للدفاع والهجوم . وكان الفلسطينيون قد استوطنوا الساحل الكنعانى للبحر المتوسط والساحل الذى استوطن فيه الفلسطينيون يمتد من غزه حتى جنوب يافا والمدن الهامة التى استوطنوها هى غزه ، عسقلان ، اشدود ، اكرون ، غات ، عراق ، منشيه) وقد حافظت على اسمائها السامية وظلت غات ابعد مستعمرة فى الداخل ولم يأسس الفلسطينيون مدن جديدة بل اخذوا ينتقلون من الشريط الساحلى الى الداخل فاستولوا على بلاد كنعانية كثيرة واندمجوا وذابوا فى الكنعانين .

ويذكر فيليب حتى فى كتابه تاريخ سوريا . Hittis, History of Syria P.169 ان كتابة الفنيقين كانت مستعارة من الكتابة الكنعانية لاسيما ان العلاقة بين كنعان وصور وملكها (حيرام) كانت قوية وساهم سكان صور فى تقدم كنعان وكانت هناك صلات دائمة ومشتركة .

وقد شهدت كنعان نشاطاً واسعاً فى استخراج المعادن واقامة المبانى وقام مهندسو عمارة من بلاد فنيقية مستعملين الخشب اللبنانى فى بناء القصور الفلسطينية الكنعانية وكان الجزء الخاص بالملك (حيرام) ملك صور غنياً بخشب الارز لدرجة انه اصبح يطلق عليه بيت غابة لبنان . وكان مهندسو العمارة والبناءون الذين صمموه واقاموه فى مدينة صور واستعملوا فى اقامته خشب الارز اللبنانى

وكان الخشب الذى يقطع يحمل الى البحر وينقل بعد ذلك الى يافا ثم يحمل الى اورشليم (يبوس) وكانت زينة هذا المعبد وحلياته متأثرة بالاشكال الكنعانية المعاصرة وكذلك شعائره تنعكس فيها الاشكال والعادات الكنعانية وعبيد المعبد كانوا من الكنعانين وايضاً اسم الهيكل (المعبد) قد استعير من المفردات الكنعانية (كلمة هياكلو مأخوذة من السوميرين ، أجال أى بيت عظيم) ونقلت الى الكنعانية وهذه الكلمة مستعملة فى معظم لغات العالم القديم والحديث وقد اقام احد ملوك كنعان بمساعدة الملك حيرام ملك فنيقيا مكوناً اسطولاً من السفن لتجارة البحر الاحمر وكانت فلسطين فى ذلك الوقت (القرن العاشر قبل الميلاد) قد اعترفت بالسيادة المصرية هذا الى ان "جيزر" وهو حصن كنعان قد استولى عليه الفرعون "شيشنق" وعبد الكنعانين كما سبق آلهه عدة لكن هذه الآلهه انتشرت فى بلاد كنعان فكان عشتورت آلهه الصيدونين وملكوم آله العمونين ، لكموش آله الموابين ولملك آله عمون وهكذا كانت القبائل الشمالية فى الساحل اللبنانى اكثر تعرضاً للتأثير الكنعانى وكان هذا اهم ما ظهر فى عبادة الوهيم (ايل) فكانوا يعبدونه ويقيمون له الاحفال والشعائر الشمسية المشتقة من العبادة الكنعانية .

وقد حاولت زوجة ملك صور فى الفترة (٨٧٤-٨٥٢ق.م) فرض عبادة الآله (بعل) الصورى فى كنعان وقد ادى ذلك الى صراع طويل بين عبادة الديانة بعل وديانة يهوه الذى كان منتشراً على نطاق واسع بين الكنعانين لكن بعل كانت له انصاره فى كنعان .

وكذلك نرى كيف ان الفن الكنعانى قد ترك تأثيره فى الدين والعمارة الدينية التى هى مأخوذه اصلاً من اصل كنعانى فالرقص فى المعابد مثلاً ما هو إلا

صدى للرقص الكنعانى . ولقد كان البدو أو العرب الرحل الذين قدموا الى فلسطين لايعرفون الزراعة وقد تعلموها من الكنعانين بعد ما اقاموا بجوارهم فى فلسطين ويلاحظ فى المناطق الجبلية التى كان يسكنها البدو ان الكثير من نسلهم استمر فى مزاولة حياة الرعى ولم يتحولوا الى زراع إلا بعد فترة طويلة وقد نتج عن الاختلاط والتزاوج مع السكان الاصليين ان اخذ البدو من الكنعانين الشعائر الدينية والعادات التى كان يعبدها السكان الجدد ضرورية للخصب وضمان المحاصيل الطيبة ومعنى ذلك ان الجماعات البدوية الرعاة الذين قدموا ارض كنعان قد اتخذوا مجموعة عظيمة من الشعائر والاحتفالات بما فى ذلك تقديس العمد الخشبية ، وذلك فضلاً عن المعابد التى كانت تقوم فى المدينة وكان للكنعانين محارب فى الهواء المطلق على قمم التلال وقد انتشر الفن الكنعانى المأخوذ من مصر واشور وبابل وكلديا وفنيقيا لاسيما تأثير المدن الفنيقية الى الحد الذى وصف فيه محراب الهيكل بأنه محراب كنعانى وزخرفته حسب نماذج كنعانية والقصر الملكى فى يبوس كان من انتاج عمال فنيقين . بل ان شعائر المعبد كانت كنعانية والموسيقى والغناء كانت من اصل كنعانى أو تعلموا على يد كنعانين . بل ان طوائف الموسيقارين كانوا يحملون اسماء كنعانية . وقد عثر على صورة امرأة فى بلدة مجدو القديمة تضرب على آلة موسيقية معروفة فى فلسطين منذ نحو الفى عام قبل ظهور قبائل البدو فى الالف الاخيرة قبل الميلاد كذلك ترك الادب الكنعانى أثره فى الاداب المجاورة لفلسطين وذلك بما عثر عليه فى شعر "اوجاريت" رأس الشمره وهى مستعارة من الكنعانين وكان قد عثر عام ١٩٣٩م فى بلدة رأس الشمره على تل يتألف من عدة مدن قديمة بعضها فوق بعض واقدم هذه المدن

يرجع الى الالف الخامس قبل الميلاد وفى حوالى ١٤٠٠ق.م عندما كانت هذه المدينة فى اوج عظمتها كانت تسمى "أوجاريت" ومن اهم الآثار التى عثر عليها فى هذا المكان اللوحات المصنوعة من الطين التى نقشت عليها كتابات بالأحرف الابجدية بالخط المسمارى وقد عثر عليها فى رقعة فى معبد وهذه النقوش قد نقشت فى مستهل القرن الرابع عشر قبل الميلاد وكان الاصل قد كتب فى ازمان اقدم من ذلك بكثير وكتابة هذه اللوحات تحتوى على ثلاثين حرفاً وكلامها لهجة كنعانية وهى جزء من الادب الكنعانى المفقود ومنها نتعرف على حياة الكنعانين ، كذلك كانت ملابسهم ومجوهراتهم وفخارهم وصناعاتهم تسير على حسب الطراز الكنعانى وقد وجدت كثير من الآثار فى بلدة "تل بيت مرسيم" الواقعة على بعد ثلاثين كيلو متر جنوبى غرب "حبرون" ووجدت بعض الآثار فى بلدة "لاخشى" وكل من هاتين المدينتين كانتا من المراكز الكنعانية .

كذلك فإن فلسطين (كنعان) لم تكن بلداً يشجع على قيام كيانات سياسية كبيرة تاريخياً فإن المراكز التاريخية والسياسية والثقافية كانت فى الاناضول وبلاد ما بين النهرين فى الشمال وفى مصر الفرعونية فى الجنوب . ومن هنا كان الانتاج الحضارى قليلاً أما من الناحية الجغرافية فقد كانت فلسطين حلقة الوصل وعلى هذا كانت بؤرة صراع فيما بين القوى الكبرى فى المنطقة بل ان فلسطين كانت اندماجاً معقداً بين الثقافات الكنعانية وثقافة شمال سوريا والاناضول والثقافة السورية الشرقية فى العصر البرونزى مع بعض الملامح المشتقة من الحضارة الكنعانية والمصرية الفرعونية .

ولكن بالاحرى ان ننظر الى الأنظمة الفقيرة التى سادت كنعان فى العصر

البرونزى بحيث انه من الممكن القول ان كنعان كانت فقيرة ولكن كنعان كانت تقدم صفوة المفكرين والمتعلمين الذين يسيرون امور المملكة والمراكز السكنية الفلسطينية التى انتجت اوانى الفخار الراقيه والاعمال الفنية التى تدل على حرفيه عالية ومن ثم فإن الفلسطينين فشلوا فى السيطرة على تاريخ المنطقة ولذلك يجب ان ننبه الى ان تلك الوثنيه الكنعانية وعبادة الآلهه المتعددة قد بدأت تتعرض فى كنعان للانقراض ولكن عبادة الآلهة المتعددة انتجت فناً راقياً ولما كان سكان المرتفعات هم الذين نجحوا فى اخضاع سكان منطقة السهول ودمجهم فى نطاقهم السياسى علماً بأن سكان السهول هؤلاء في مدنهم الخماسية (غزه ، عسقلان ، اشدود ومدن اخرى) هم الفالستيه كانوا متفوقين عسكرياً وسكانياً واقتصادياً ولايستطيع احد ان ينكر ان نظام دول المدينة الكنعانية التى انتشرت فى منطقة السهول وأدى دوراً حضارياً مع العلم بأن الكنعانين كانوا يسيطرون على معظم كنعان مع معرفة ان الجزء الأكبر من ساحل البحر المتوسط كان تحت سيطرة الفلستين والفنيقين وان ذلك يعنى وجود مدن وولايات تحت سيطرة الفلسطين والفنيقين على الجزء الاكبر من ساحل البحر المتوسط .

ان الكنعانين هم الذين عرفوا العالم صناعة البرونز واحفادهم الفلسطينين عرفوا العالم صناعة الحديد وكان ذلك لحظات حاسمة فى تاريخ المنطقة حيث ان قوة كنعان كانت بين أواخر العصر البرونزى واوائل العصر الحديدى .

وقد تفوق الفلستيون فى التمدن والعمارة إذ تدل بقايا منازلهم على فن رفيع فى البناء وكذلك فى الفنون الحربية . وقد اندثرت معظم الآثار الفلستيه ولكن ما وصلنا من معلومات عن هذا الشعب مستمد من الحسارات التى تعاقبت عليه

ولهذا لانعرف كثيراً عن هذا الشعب أو حضارته سوى معرفتهم بالبحر وهذه المعرفة ورثها عنهم الفنيقيون وكان لهم تأثير اخر فى الكنعانين سكان البلد الاصليين ، إذ أدخلوا معهم الى البلاد صناعة الحديد التى اتقنوها وبذلك رفع الفلستيون حوالى القرن الثانى عشر قبل الميلاد مستوى حضارة اهل البلاد الاصليين (الكنعانين) من استعمال البرونز الى درجة ارقى صناعة وهى استعمال الحديد .

وليست هناك معلومات عن لغتهم إذ لاتوجد اى وثائق مكتوبة بها ويبدو ان الكتابة الكنعانية الفنيقية حلت محلها ثم الآراميه والشئ ذاته يطبق على ديانتهم فقد تأثروا كثيراً بعادات وتقاليد القبائل العربية الكنعانية وكانت لهم الهتهم التى تحمل اسماء سامية (سبق الحديث عن ذلك) إذ عبدوا الهة الكنعانين التى كانت تتألف من ذكر وانثى كما هى العادة عند الساميين ومن الهتهم (داجون) آله الحبوب عند الكنعانين مما يدعم النظرية القائلة انهم اكتسبوا هوية كنعانية .

ومنذ أيام هيرودوت اصبحت المنطقة تسمى بأسمهم ثم اصبح الاسم فلسطين هو اسمها رسمياً ايام الامبراطور هادريان .

وقد كانت هناك ديانات محلية سائدة فى كنعان والتى ينظر إليها باعتبارها ديانات لا اخلاقية من جانب العبرانين . وكذلك تركوا اسماء المدن والتى هى اسماء فلسطينية كنعانية قديمة والتى كانت سائدة فى فلسطين القديمة وقد وردت اسماء العديد من الاماكن التى تحمل اسماء كنعانية قبل قدوم القبائل البدوية وقد انتقلت اليها ولكنها فى الاصل اسماء كنعانية أو سامية كانت موجودة منذ زمن بعيد واللغة الكنعانية من الفصيلة السامية التى تنتمى إليها العربية والفنيقية

والاشورية والآرامية وغيرها من اللغات واللغات السامية هى جملة اللغات التى كانت شائعة منذ ازمان بعيدة فى آسيا وافريقيا وما تفرع منها وتنقسم إلى ثلاثة اقسام رئيسية : الشرقى الاكادى ، البابلى (الاشورى) - والغربى الكنعانى والآرامى والجنوبى العربى - الحبشى . وينقسم القسم الشمالى الى شعبتين الكنعانية والآرامية والاوغارتيه (أى لغة مدينة أوغاريت القديمة شمال اللاذقية فى رأس شمر) . وقد اجمع العلماء الباحثون على أن اقدم اللغات السامية هى اللغ العربية القديمة والآكادية واللغة الكنعانية . وكانت اللغة الاوغارتيه كل حرف مر حروفها هو مطلع كلمة كنعانيه وكان اهم تطور هو استخدام الاراميين لها فى كتابة لغتهم التى عمت العالم القديم فإذن اللغة الكنعانية من أصل اللغات العربية القديمة ، وفى حوالى القرن التاسع ق.م بدأت كتابة لغة (جبيل) الفنيقية تتفرع الى لغات اخرى هى لهجة كنعانية مثل المؤابيه والآراميه وهذه هى الصورة المشرفة للحضارة الكنعانية السامية القديمة التى يدعى البعض بأن هذه الحضارة كانت فاسدة على الرغم من كل الابداعات التى تجاهلها البعض ناسياً ان الحضارة الكنعانية تبدأ بمرحلة ما قبل التاريخ Prehistorictime ثم يمتد الى العصر الحجرى القديمPaleolithic ثم العصر النحاسى Chalcolihic ثم العصر البرونزى الاول ثم الوسيط ثم المتأخر ثم زيادة الاستيطان العربى فى الفترة ما بين القرن ١٣-١٢ق.م ثم عبر الاردن فى القرنين الثانى عشر الى العاشر قبل الميلاد .

ان كنعان (فلسطين) كانت وطناً لحضارة لافته للنظر لقرون طويلة قبل هجرة القبائل البدوية إليها وان طبيعة هذه الحضارة الكنعانية وانجازاتها تذكر فى جمل قليله ولكن المكتشفات الاثريه الجديدة فى فلسطين القديمة قد زادت من

معرفتنا بشكل كبير حول مناطق وفترات معينة فى فلسطين القديمة . ان التأثير الكنعانى بقى قوياً طوال التاريخ القديم وان الثقافة الكنعانية التى تعد اكثر خصوبة من أية حضارة على ارض فلسطين وانها الثقافة الاصيلة فى التاريخ الكنعانى الفلسطين الاصيل والتى كانت مأهوله بمجموعة مختلفة من سكان فلسطين القديمة وانهم فلسطينيون ولكن سكانها القدامى هم الكنعانيون والعموريون الذين كانوا جزء من تاريخ الشرق القديم والذين شكلوا الفرشه الاساسية فى عروبة فلسطين منذ خمسة الاف عام قبل الميلاد منذ العصر البرونزى أو الحجرى الحديث بل الحجرى القديم .

وتعترف كاثرين كنيون Katherine Kenyon بأن تاريخ كنعان والمنطقة مهم جداً لفهم جذور الحضارات القديمة وعلى الرغم من ان دراسة كنيون تزعم انها دراسة للاكتشافات الاثرية فى فلسطين ولكن افكارها تعتمد على الفكر اليهودى وليس على الكشوف الاثرية .

ويذكر وليام فوكسويل اولبرايت William Faxwell Albright وهو عالم آثار امريكى (١٩١٩-١٩٧١م) كان استاذ اللغات السامية فى جامعة جونز هويكنز Johns Hopkins الامريكية وكان موقع "تل بيت مرسيم" Tell Beit Mirsim مرسيم فى جنوب فلسطين هو الذى قام فيه اولبرايت بأهم اكتشافاته كعالم آثار فى الثلاثينات من القرن العشرين ١٩٣٠ والذى كشف فيه عن آثار كنعانيه تعود الى العصر الحجرى والبرونزى والحديدى وهى العصور التى كانت فيها كنعان مؤهوله بالشعوب السامية الكنعانيه وغيرها من الشعوب الاخرى التى شاركتها المعيشة فى هذه البقعه من غرب آسيا ومع العلم بأنه كيف التسلل الزمنى

الاركيولوچى والذى اعتمد على تطبيقات تعود الى هذه العصور طبقاً لعلم الآثار . ومن كتابه آثار فلسطين The Archaeology of Plestine يستعمل تعبير فلسطين أو فلسطينى . وهكذا تظهر الآثار المكتشفة عام ١٩٣٠ كيف ان الكنعانين كان لهم دور بارز فى انشاء التمدين والتحضر على ارض فلسطين وهكذا وصلت دراسة الآثار الفلسطينية الى حقيقة مؤكدة وهى دور الكنعانين فى عصور العصر الحجرى القديم فى هذا الاقليم مما يحقق عروبة فلسطين وهكذا يقول اولبرايت Albright أن دور علم الآثار فى توفير المعلومات عن الكنعانين ولدراسة تاريخ فلسطين دور كبير للغاية ذلك لأن الآثار الكنعانية تؤكد تلك الحقيقة الآثرية والتاريخية والحضارية فى كنعان وتدحض كل الآراء التى ينادى بها رجال التوراة من حقوق فى فلسطين .

وهكذا فإن علم الآثار قد ساعد على القاء الضوء على تاريخ وجغرافية فلسطين فى عصور التاريخ القديمة . ومن هنا فإن الذى يؤمن برسالة فلسطين التاريخية فإن آثارها ترفعها الى درجة اعلى بكثير فوق مستوى الآثار المادية التى يتعامل معها العلم . ان تاريخ فلسطين يبدأ منذ عصور ما قبل التاريخ والعصر الحجرى (القديم – الوسيط – الجديث) وذلك قبل ظهور ابراهيم عليه السلام بعدة الاف من السنين ويبدأ العصر البرونزى فى عهد الكنعانين حوالى ٤٠٠٠ اربع الاف قبل الميلاد وابراهيم ظهر عام ١٨٠٠ق.م اى هناك عمق زمنى يزيد عن ١٢٠٠عام قبل ظهور ابراهيم وهذا يشكل الحلقة الاساسية فى تاريخ كنعان وحضارتها ودورها فى الحضارات اللاحقه على كنعان وبها حضارة الحديد فى عهد الفلسطينين ويعترف المؤرخين اليهود انفسهم بالدور الكنعانى وحضارته فى

فلسطين مع عدم اعطائه الدور الهام فى الفرشه الحضارية على ارض كنعان ودون ذلك نجد (يونان اهاروني Yohanan Aharoin) فى كتابه (الارض والتوراه – جغرافية تاريخية)

.The Land of the Bible . A Historical Geography

فإنه فى هذا الكتاب يفرد فصلاً منفصلاً حول الفترة الكنعانية ذلك لأن لفظ كنعان يستعمل بوصفه تعبيراً منفصلاً عن التاريخ الإسرائيلى (لايوجد تاريخ اسرائيلى أو أمه اسرائيلية بل ديانة يهودية فقط) وهذا التمييز الزمنى بين الفترات الكنعانية وغيرها يؤكد وجود العنصر العربى الكنعانى وآثارها على أرض كنعان قبل احتلال كنعان وأنه يدحض الروايات التوراتيه التى تدعى لها حقاً فى ارض كنعان (فلسطين) .

وهكذا فإن القارئ رغم هذه التقاسيم التاريخية فإن فترة ما قبل التاريخ بعصوره المختلفة هى فترة كنعانية مستمرة حتى العصر الحديث مع اضافة الهجرات العربية المستمرة طوال هذه الفترات التى كانت القبائل السامية تصل الي ارض فلسطين ورغم ان فترة ما قبل التاريخ والفترة الكنعانية هى حقيقة اثرية وتاريخية إلا ان بعض الابحاث الإسرائيلية حاولت استبدال هذه الفترات بفترة اسرائيلية تضليلاً لحقائق التاريخ والآثار وهكذا فإنه فى فترة العصر النحاسى Chalcol Lithic وهى فترة تاريخية طويلة وهى عصر ما قبل التاريخ استعمل فيه الحجر والنحاس ويسمى ايضاً العصر النحاسى Copper Age وذلك قبل معرفة الإنسان استعمال البرونز وهو بحدود حوالى ٤٠٠٠ اربعة الاف سنة قبل الميلاد فى فلسطين يعرف بالعصر الفسولى (نسبة الى الفالسين الفلسطينين)

وهكذا فإن البحث الاثرى فى فلسطين فى الفترة الكنعانية خير شاهد على ذلك . حيث كان هو الشعب الاول والوحيد الذى جعل من هذه الارض وطناً له ان التاريخ الكنعانى هو الذى اوجد شعب فلسطين القديم بل يوجد فقط سكان عرب هم سكان ما قبل التاريخ أو كنعانيون وكان الكنعانيون قد انشأوا دولة المدن City - State فى اثناء الفترة الكنعانية .

وهكذا ترى بالنسبة لما يطلق عليه فترات ما قبل التاريخ فإن السكان كان اسمهم الكنعانيون وذلك فيما يتعلق بالفترات الاركيولوچيه ثقافة العصر الحجرى الجديد Neolithic والعصر النحاسى Chalcol Lithic أو ربما العصر الغسولى Ghassulian وانه لاوجود لآثار مكتوبه لتحديد هوية السكان ولكنهم ليسوا بفلسطينين أو حتى فلسطينى العصر الحجرى الحديد أو فلسطينى العصر الغسولى أو فلسطينين من العصر الحجرى الجديد أو العصر الكالكوليثى وفى العصر البرونزى ٤٠٠٠ق.م يصبح الفلسطينيون سكان الارض هم الكنعانين ويعترف علم الآثار بانجاز هؤلاء الكنعانين وخاصةبالنسبة للعصر البرونزى المتوسط والمتأخر وديانتهم تمثل على انها عبادة هابطة رغم تقدمهم الحضارى هكذا تقول الكتابات التوراتيه .

وهكذا فإن الثقافة الكنعانية كانت فى ارض كنعان كما يعترف العديد من علماء الآثار ولكن ديانتهم تصور على انها ادنى من ديانة التوحيد وهكذا فإن هؤلاء السكان يعترف بهم كسكان العصر البرونزى وهذا اعتراف بدور الحضارة الكنعانية التى حلت فى ارض فلسطين وسكانها الفلسطينيون (ويقول ادورد سعيد ان المكتشفات الجديدة تجعلنا نندم على كتم اثر الحضارة الكنعانية فى فلسطين فالحضارة الكنعانية هى اصل الحضارات فى فلسطين) .

كما ان مكتشفات "رأس شمر" تساعد على القاء الضوء على الأوضاع التى كانت سائدة فى العصر الكنعانى قبل قدوم الفلسطينين وهكذا تثبت الدراسات ان العصر البرونزى الاول يوصفه العصر الكنعانى الاول والعصر البرونزى الوسيط وهو العصر الكنعانى الوسيط والعصر البرونزى المتأخر هو العصر الكنعانى المتأخر وهذا يدل على فهم تطورى للزمان الذى تسير فيه حركة الحضارة الكنعانية وهكذا فإن العصر الكنعانى الأول فترة مهمة بالنسبة لتاريخ كنعان إذ أرسيت فيه اسس الحضارة والثقافة الكنعانية ورغم ان كنعان تتوسط الحضارات المجاورة فإن ذلك ابقى الحضارة الكنعانية فى الظل بينما الاضواء الكاشفة تلقى اضوائها على جيرانها من الامبراطوريات المصرية والحيثيه والاشوريه وغيرها من الحضارات . وعندما نعود الى الفترة الكنعانية المتوسطة والفترة الكنعانية المتأخرة (٢٠٠٠-١٢٠٠ق.م) فهما تمثلان من وجهة نظر الثقافة والتاريخ عصراً متصلاً جديراً باسم الفترة الكنعانية بالمعنى الكامل لهذه الكلمة هذه كنعان فى أوجها وفى ذروتها انها تخص الفترة التاريخية الاولى فى تاريخ كنعان وهى فترات الصعود للحضارة الكنعانية التى ظلت متأججه على ارض فلسطين فى هذه الفترة التى تزيد عن اربعة الاف عام مما جعل الكنعانين الذين كانوا موجودين فى ذلك المكان الذى اتخذوه وطناً طبيعياً لهم هم اصحاب حضارة أن خمسة الاف سنة هى عمر الحضارة الكنعانية على ارض فلسطين هى فقط من المليون سنة التى تشكل التاريخ البشرى مدونه بشكل مكتوب وهكذا فإن حركة التاريخ الكنعانى مستمرة رغم كل محاولات التقليل من الدور الحضارى لهؤلاء الذين استوطنوا فلسطين وتركوا حضارتهم فى الآثار المتعددة التى عثر عليها ان نظرة على المدى

الزمنى الكنعانى من العصر الحجرى الى العصر الرومانى أو العصر الحاضر يطمس حقيقة ان الوجود العربى لم يكن إلا خيطاً رفيعاً فى نسيج التاريخ الفلسطينى الغنى والامتداد الزمنى الطويل هذا هو الذى يمكن المؤرخ ان يقرر ان التاريخ الفلسطينى هو استمرار لسلسلة كاملة من التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية والثقافية فى فلسطين .

ويؤكد بالى Balgy فى دراسة له ان سبب موقع فلسطين الاستراتيجى فى مفترق طرق القارات الثلاث وكونها محاطه بحواجز تعوق الاستقرار والتنقل فإنه يمكن القول انه لم يكن لها تاريخ داخلى بالمعنى الصحيح ، ومن ثم فإن فلسطين فى عصور الكنعانين لم تصل الى التاريخ العالمى كالحضارات المجاورة له بل يمكن وصف فلسطين بالمجتمعات الصغيرة Micro Environments وهو جزء من التاريخ العالمى وهكذا شكل الكنعانيون تاريخاً وحضارة تدحض كل ادعاء كاذب بعدم أحقية الفلسطينين فى كل وطنهم ويقول "طومسون" Thompson فى كتابه The Bible in History , Cape , 1999 . فى تفسيره للنقش الذى ورد على لوح "مرنتبتاح" ان اسم اسرائيل يرجع الى القرن ١٣ق.م حيث كان اسماً لشعب كنعان (فلسين العربية) الذى يقول النقش ان جيش الفرعون المصرى دمره ويضيف طوسون ان ربط اسرائيل بكنعان فى هذا النقش المصرى المبكر لايمكن اعتباره مرادفاً لاسرائيل الواردة فى التوراة ، أن ما يقدمه هذا النقش هو مجرد اول مورد تاريخى لاستخدام اسم اسرائيل معروف لدينا وهو لايشير الى اسرائيل التى تعرفها فى الكتابات الاشوريه والنصوص الفلسطينيه القديمة فاسرائيل تلك كانت مجموعة قبائل بدوية محلية وليس بمفهوم دويله بل رعاة يعيشون على

المرتفعات شمال القدس فإن كان نقش مرنبتاح لايعبر عن اى حقيقة تاريخية سوى وجود قبائل رعويه لاتحمل مفهوم دويله أو مدينة فإن التوراة لاتذكر عنه شيئاً .

ومن ثم فـإن تاريخ فلسطين يجب ان يستمد شواهده من علم الآثار والانثربولوچيا بما فيها الآثار والحضارة الكنعانية وان ذلك يقتضى ان يمنح التاريخ الفلسطينى مجاله الجغرافى والدينوى الخاص به بعيداً عن خطاب الدراسات التوراتيه ان خطاب التاريخ الفلسطينى إذ شئنا ان تلخص جوهر رأى ادوارد سعيد فى كتابه مسألة فلسطين The Question of Palestine بحيث نبحث عن الجذور الحضارية للتاريخ الكنعانى منذ اربعة الاف عام قبل الميلاد .

وقد استخدمت الكتابات المصرية القديمة Cuneiform وآثار مصرية أخرى لبناء الجغرافية السياسية لفلسطين وقد ركزت الاكتشافات على اهمية الدور الذى لعبته دول المدن City - State الكنعانية الصغيرة وامراؤها فى كل انحاء كنعان فى تحديد تلك الجغرافية السياسية حيث مارس الفراعنة سلطتهم من خلال هؤلاء الامراء وتعاملوا معهم بشكل مباشر وقد نتج عن هذا الحكم المصرى تجزيئه كبرى لفلسطين على شكل دول مدن صغيرة لاتتعدى ارضها الارض المحيطة بالمدينة المسورة وبعض القرى المجاورة لها حيث وجدت معظم دول المدينة هذه المناطق الجبلية لفلسطين حيث ان شح الارض الزراعية الخصبة ادى الى استيطان الجبال ونشوء ثقافة متطورة هناك لم تصل الى مستوى المناطق الاخرى (مصر - اشور - الحثيين) وقد ورد فى وثائق تل العمارنة ذكر الملك لابايا Labaye ملك نابلس (شكيم Schechem) كى تنتج وحدة سياسية فى الجبال الى الشمال من القدس وقد صورت القدس على انها استثناء مهم فى منطقة المرتفعات

لدولة - مدينة فشلت فى السيطرة الاقليمية على منطقة واسعة من كنعان وعدم قدرة السكان المحليين فى فلسطين على ابتكار نظم سياسية جديدة ومع انهيار سلطة الحكم المصرى فإن الخريطة السياسية لفلسطين تغيرت بشكل جذرى فقد ظهرت امارات الفلسطينين Philistine والادومين والمؤابين والعمونين والار:مين بجوار الكنعانين .

وهكذا لم تكن فى فلسطين دولة واحدة بل عدة دول لاسيما ان الفلسطينين قد فشلوا فى اقامة دولة موحدة لأن الدولة كانت عبارة عن عدة مدن على الساحل وبعض الداخل ولو انهم تمكنوا من مد سلطان الدولة الى حدود ابعد حيث اشدود واللد لكان ذلك بداية ظهور دولة كنعانية لكنهم اجبروا على البقاء على نظام الدولة المدنيه وهكذا كان شأن الكنعانين حكام على العديد من المدن ولم تكن هناك دولة واحدة تحكم كل فلسطين لاسيما ان المكتشفات الانثربولوچيه تظهر ان حياة الكنعانين داخل المدن كانت راقيه ومتطوره وان الثقافة المحلية قد تطورت نظراً للاتصال بالحضارات والثقافات المجاورة حيث ادى ذلك الى تطور التجمعات المدنية الفلسطينية وتطورت المستوطنات بتطور ثقافتها المادية مثلاً اعمال فخارية و عمرانيه مختلفة . لكن قدوم الغزوات الخارجية ادى الى تدمير التجمعات المدنية الحضرية فى فلسطين . لكن ظل السكان الاوائل فى فلسطين هم الكنعانين المنتمين الى اصول سامية عربية ولم تتم اية سيطرة على الكنعانين عن طريق المعاهدات أو الغزو أو الاندماج التدريجى حيث ظلت الصفة الغالبة هى للعنصر الكنعانى ولم نسمع شيئاً عن تدمير المدن الكنعانية ولا نسمع عن طردهم أو فرض الجزية عليهم بل ظلوا فى مدنهم وقراهم اصحاب الارض الاصليين .

ان الغزو للكنعانين منع الاندماج الكامل لشعبين ذلك لأن الكنعانين وما اتصفوا به من صلابة جعلتهم يحافظون على وجودهم كما ظلوا يسمون انفسهم بالكنعانين طوال تاريخ فلسطين وبعد اربعة الاف عام فإن الكنعانين ظلوا يسمون انفسهم كما تسميهم اساطيرهم الفنيقية والذين كانت لديهم مبادئ اخلاقية راقية فنجد مثلاً بيلوس Byblos تلك المدينة الفنيقية القديمة التى تقع فى مدينة جبيل الحديثة الى الشمال من بيروت كانت مركزاً تجارياً وميناء هام لها علاقات تجارية مع مصر القديمة واصبحت مدينة مهمة فى الالف الثانية قبل الميلاد ٢٠٠٠ق.م وكانت اهم صادراتها خشب الارز اما أوغاريت . رأس شمر فى شمال سوريا فقد اكتشف عنها عام ١٩٢٨ كتابات باللغة الكنعانية والاكادية والاوغاريته تلقى الضوء على حضارة اوغاريت (سبق الإشارة الى هذه الاكتشافات سابقاً) وقد تأثر البدو والشعوب التى قدمت الى كنعان بشكل قوى بثقافة اسلافهم الكنعانين إلا ان التنقيبات الأثرية تبين ان انقطاعاً مفاجئياً كان قد حصل بين ثقافة الكنعانين في العصر البرونزى المتأخر وذلك فى المرتفعات الفلسطينية بينما تمثل كنعان السكان الفلسطينين الاصليين مهما جاءت الشعوب البدائية الى فلسطين فإن هذه الشعوب قد تأثرت بالحضارة الكنعانية ولقد كانت مدينة عاى Ai مدينة كنعانية قديمة بالقرب من القدس وانها مدينة قديمة نقب علماء آثار مشهورين عن آثار عاى وجيعون القريبة منها ولكنهم اعلنوا ان المدينتين بهما آثار كنعانية وليس من عصر يشوع الذى فتح جزء من فلسطين لقد كان التقدم الحضارى شيئاً عظيماً للكنعانين على المدى الطويل حيث استطاعت ان تهضم القبائل البدوية بين اعوام ١٣٠٠-١١٠٠ قبل الميلاد حيث سكن هؤلاء القوم منطقة المرتفعات من كنعان بينما

استولى الاراميون على كل منطقة سوريا الشرقية اما البقية الباقية من السكان الكنعانين الاصليين فقد تم حصرهم فى منطقة الساحل السورى جول صيدا أو صور والى الشمال منهما وبعد عام ١١٠٠ق.م بدأ هؤلاء السكان المحليون فى تطوير احدى اهم الامبراطوريات التجارية فى العالم واطلق اليونان على هؤلاء الكنعانيون اسم الفنيقيون وانتشرت مستعمراتهم فى كل منطقة البحر المتوسط وصولاً الى اسبانيا وشاطئ المحيط الأطلنطى كذلك كانت مدينة آيل مدينة كنعانيه قديمة بالقرب من القدس وقد كانت المدينة الكنعانية مدينة راقية وكانت بيوتها ممتازة وكانت ارضيات هذه البيوت مرصوصه ومغطاة بطبقة من الجص وفيها صرف صحى وكانت المدن الكنعانية التى لم يتمكن العبرانين من طردهم منها صورة راقيه للحضارة الكنعانية ويعترف برايت Bright فى كتابه A History of Israel ان الانجازات المادية والثقافية لكنعان وما رافقها من حضارة رائعة هى اختراعها للكتابة ولقد كانت كنعان وحدة ثقافية لكنها من الناحية السياسية كانت دولة - مدن وإن كل شعوب المنطقة قد اندمجت فى ثقافة كنعانية وقد انقسم الكنعانيون الى عدة قبائل منها الجبعيون Gibeonites وهم سكان عدة مدن بجوار القدس وقد كانوا كنعانين وتقع جيعون Gibeon على بعد ٩ كيلو من القدس . ثم قبائل القنزيون Kenites احد الاقوام الكنعانية السبعة التى ورد ذكرها فى العهد القديم اما الفنيقيون Kenites فهم بطن من بطون قبيلة مدين وكذلك عشائر ومدن الجليل بالاضافة الى اهم عشائر الكنعانين هم اليبوسيون الذين سكنوا وقاموا بانشاء مدينة يبوس (القدس) كما سبق القول وكل هؤلاء انطوا تحت لواء الحضارة والثقافة الكنعانية .

وكانت هناك كثيراً من المراكز الحضارية الكنعانية فى السهول ومنها سهل جزويل فى شمال فلسطين وكذلك مدينة القدس وغيرها من المدن الكنعانية وقد وجدت رسائل من ملوك كنعان مكتوبة باللغة الكنعانية مرسلة الى فرعون مصر فى تل العمارنه فى ارشيف اخناتون (امنحوتب الرابع) ولكن المجتمعات البدائية تتطور ببطء لتصل الى حياة الحياة الحضرية ومن ثم تصبح متحضرة وهذا ما حدث للدولة أو الدول الكنعانية حيث عجز النظام الملكى الكنعانى عن توحيد كل المدن تحت سيادة واحدة ومن ثم فقد كان الفنيقيون استمرار الثقافة والحضارة الكنعانية مع تغيرات مهمة فقد ازاح الفنيقيون الكنعانين الى مكان آخر جنوباً وفى الداخل اما الاراميون فقد ازاحوا مزيداً من السكان وهكذا حدثت تغيرات فى الطبيعة السكانية فى البلاد وحدث اختلاط عرقى فيما يتعلق بعلاقاتها مع كنعان . لكن ادينت الديانة الكنعانية والثقافة المحلية ورفضت على انها وثنيه العصر البرونزى المتأخر وقد ساهمت بعض الغزوات فى تدمير المراكز الحضارية فى فلسطين وآخر العصر البرونزى وذلك أثر التطور فى صناعة الحديد .

وتقول بعض الروايات اليهودية انه عندما دخل المهاجرون الجدد ارض كنعان وجدوا مجتمعاً كنعانياً تمزقه النزاعات وكان تدهور هذا المجتمع لايزال مستمراً بعد قرن كامل من عصر العمارنه يقول "ول ديورانت" فى كتابه قصة الحضارة عكس هذا الكلام . ويبدوا ان السكان كان قد تضاءل عددهم وسادت حالة الاضطرابات ارض كنعان واصبح الكنعانين مقهورين على الرغم من انهم هم الذين عبدوا دين يهوه بعدة قرون قبل ان يتخذه الاسرائيليون الهاً ويكون عقيدة للقبائل الوافدة لكن القبائل الوافدة التى اخذت تندمج والذين صاروا متنوعين

حرفياً وثقافياً رغم انهم يشتركون فى حياة اجتماعية تدور حول الدفاع المشترك وتنمية الذات وان ظلت بعض المستوطنات الكنعانية لم يتم استقطابها على يد القبائل الوافدة وهكذا ظل الكنعانين غير اليهود يشكلون غالبية السكان ومتمسكين بالارض والتاريخ وكان هذا يدل على الاصرار للدور المركزى الذى لعبه الفلاحون الكنعانيون فى التخلص من هيمنة الصفوة فى المركز الحضرية وهذا يعطى صوتاً للتاريخ الفلسطينى . وان لم يكن هناك اى نوع من العمل الجماعى الثابت فى دول المدينة الكنعانية القديمة وعندما كانت تواجهها المخاطر الخارجية لم تكن قادرة على القيام بتحالفات مؤقته وكانت غير مستقرة وكانت هناك منازعات بين جماعات الشعب الكنعانى الاصلى لكن المدن الفلسطينيه الصغيرة والشعوب السامية فى سهول فلسطين مثل العمورنين التى كانت تسكن شرق الاردن والمؤابين والادوميون وهم ايضاً شعوباً سامية كانوا قد انطوا تحت نظام دولة المدينة الكنعانى المبكر ومن المعترف به ان الفالستين قد طوروا نظاماً سياسياً مميزاً يعزى الى الكنعانين وذلك بعد ان امتزج الشعبين السامين فى طرق معيشة واحدة واصبحوا جزء من السياسة المحلية الكنعانية وحتى عندما سيطروا على فلسطين كان نجاحهم يرجع الى حد كبير الى ترابطهم القوى بعد ان تمكن الفالستين من المحافظة على انظمتهم المشتركة مدة طويلة وتطوير قوة سياسية وعسكرية لها تأثير بالغ فى تجاوز منطقة مراكز تجمعهم على الساحل والداخل وكان ذلك يؤدى الى وضع يسيطرون فيه على فلسطين التى كان نفوذ نظام الحكم المصرى الفرعونى قد اختفى وانهم صاروا خلفاء الفراعنة فى بلادهم فلسطين (كنعان) .

لقد اتخذ اليبوسيون ابناء كنعان يبوس (القدس) عاصمة لهم لأنها على مقربة ٦٥ كيلو من الطريق الصاعد فوق المرتفعات من الشمال الى الجنوب والذى كان يتابع مسار تجمع الامطار وكانت تفتقر الى المواصلات الجيدة بين الشرق والغرب ومع ذلك ورغم قسوة التضاريس الطبيعية لموضعها فقد كانت عاصمة للبيوسين واتخذوها عاصمة لهم دون ان يأبه (ملوكى صادق) حاكمها بالتضاريس الطبيعية وكان ذلك حوالى ٢٥٠٠ق.م أو ٢٨٠٠ق.م . وكانت مناسبة فى وضعها الجغرافى من جميع الجهات بما فيها جزء كبير من فلسطين وفنيقيا وسوريا وزادت اهميتها بالنسبة لمجتمع وجدت فيه كما انه لايمكن مقارنتها بالحضارات القديمة الاخرى فى الشرق القديم الادنى ذلك لأن تلك الحضارات تشمل الحضارات النهرية الكبرى فى مصر الفرعونية واشور وبابل وما رافقها من مبانى اثرية رائعة وفن منقوش وآثار ادبية ماثلة ذلك لأن معيار التقدم هو الوصول الى وضع دولة Statehood وهذا لم يحدث فى كنعان ولكن توصلهم الى فن الكتابة يعطيهم الحق فى الوقوف فى صف الحضارات الاخرى - اللغة الكنعانية - الفنيقيه - الآراميه - العربية الحديثة قبل الميلاد ان التركيز على غزوات ومعارك الفراعنة المختلفين والحثين والملوك الاشورين أو البابلين أو القادة الفرس كل هذا الصراع على ارض كنعان لم يساعد على التطور الحضارى الذى يقارن بحضارات تلك الدول بل ادى الى فراغ فى ميزان القوى على أرض كنعان غلى الرغم من فشل كل المحاولات لاحتواء الشعب الكنعانى الذى اصبح يشكل خطراً على القبائل المهاجمة نظراً للعمق الحضارى فى الارض الكنعانية منذ اربعة الاف عام قبل الميلاد على الرغم من ان الثقافة المحلية الكنعانية لم يكن فى مقدورها ان تصل الى

العالمية شأن الحضارات المجاورة حيث كانت مقسمة الى كيانات صغيرة مستقلة . وفى ذلك يقول (التروم Ahlsrom) فى كتابه تاريخ فلسطين القديم .

The History of Ancient palestine , 1995

وكما ذكرنا من قبل لم تكن فلسطين بلداً يشجع على قيام كيانات سياسية كبيرة تاريخياً ، فإن المراكز السياسية والثقافية كانت فى الاناضول وبلاد ما بين النهرين فى الشمال . وفى مصر الفرعونية فى الجنوب اما من الناحية الجغرافية فقد كانت حلقة الوصل وعلى هذا كانت دائماً بؤرة صراع فيما بين القوى الكبرى فى المنطقة ورغم هذا كانت هناك حضارة راقية فنجد مثلاً مدينة حازور Hazar التى هى مدينة كنعانية قديمة فى الجليل الاعلى تبعد حوالى ٢٠ كيلو متر شمال بحيرة طبريه واسمها بالعربية هو "تل القداح" وايضاً "تل فارس" وهى من اكبر المدن الكنعانية التى اكتشفت حتى الآن وعثر فيها على آثار كنعانية فى جميع مجالات الحياة حيث وجدت بها معابد وفخار وغيره من الادوات التى تبين تقدم الحضارة الكنعانية وكذلك مدن مجدو (تل المستلم) Megiddo وجازر (تل الجزر) Gazer ولقد امتزجت فى فلسطين الثقافة الكنعانية وثقافة شمال سوريه والاناضول والثقافة السورية الشرقية مع بعض الملامح المشتقة من الحضارة المصرية وينبغى ان نذكر ان الحضارة الكنعانية كانت حضارة وثنيه شأنها شأن الحضارات المعاصرة لها وأنه يمكن القول ان كنعان كانت فقيرة إلا أن كنعان قدمت صفوة المفكرين والمتعلمين الذين اداروا المراكز السكنية الفلسطينيه التى انتجت أوانى فخاريه راقيه واعمالاً فنية تدل على حرفية عالية بينما كانت القبائل البدوية تعيش فى مواقع ريفيه ذات ثقافة حقيرة وقحه ومادية والقبائل العبرية

لازالت تعيش فى الخيام كما كانت تعيش ايام التيه فى صحراء سيناء (اربعين عاماً) .

ويعترف ارنولد توبيى Arnold انه بالمقارنة مع الحضارات المجاورة - الآرامية والحيثيه الجديدة فى سوريا والفنيقيه فى لبنان وحتى فى قبرص ومع مستعمراتها الخارجية المختلفة عبر البحار وبخاصة أشور وبابل فإن الآثار الباقية فى ارض كنعان فقيرة للغاية كما يلاحظ عدم وجود نقوش على المبانى والتماثيل وكذلك عدم وجود القصور الفخمة والعاجيات المنقوشة بدقة والحلى والمجوهرات المزخرفه اما الاوانى المصنوعة محلياً والتى ترجع الى عصور فترة القوة فإن معظم القطع الفنية كانت مستوردة من الدول المجاورة كمصر وفنيقيا واشور وبابل والحيثين واكاد وكانت مدينة مجدو Megiddo تعرف بالعربية باسم تل المتسلم ومجدو مدينة كنعانية كانت تتزعم الحلف الكنعانى ضد الغزوات الخارجية وتقع فى سهل مرج ابن عامر على جبل مرتفع .

حاول المصريون السيطرة عليها وقد تمكن الفرعون تحتمس الثالث من الانتصار عليهم ولايوجد فى مجدو أية آثار غير كنعانية بل كل ما عثر عليه كنعانيه ١٠٠٪ كذلك مدينة جازر (تل الجزر) تبعد كيلو متر شمال قرية ابو شوشه فى فضاء الرملة وفى نفس المكان قرية مندثره وقد وجدت فى جازر آثار كنعانية وقد اقام فيها الكنعانيون حضارة راقيه وشيدوا بها مبانى وللحقيقة فإن كل هذه الآثار اثار كنعانية اى فلسطينية قديمة خالصة .

كذلك كانت مدينة ميشا Mesha وهى تقع جنوب غرب طبريا تبعد ثلاثة اميال شرق دبوريه ومشيا ايضاً هو اسم لأحد ملوك المؤابين .

وكل هذا التعدد فى المدن وحكامها المتعددين يعطى الدليل على أن فلسطين لايكاد يمكن اعتبارها وحدة سياسية واحدة لأن الفوارق الجغرافية والمناخية كانت تعنى انه يجب الحديث عن فلسطينيات متعددة ومتنوعة Themany diverse palestines تشكل فى مجموعها الكيان المعروف بفلسطين اما فلسطين فلم تستطع منافسة الاقتصاديات النهرية والتفوق السكانى فى مصر وبلاد ما بين النهرين .

كذلك فإن المزايا الطبيعية التى تمتعت بها هضبة الاناضول والهضبة الفارسيه كانت هى التى هيمنت على فلسطين فلم يكن بمقدور منطقة ذات بنى تحيه ضعيفة مثل فلسطين ان تنافس القوى الحضارية المعاصرة ولكن فضل كنعان ظل حتى عصرنا الحاضر فى اختراع ابجدية الكتابة لقد افتقرت فلسطين الى القاعدة السكانية والاقتصادية التى تتيح لها منافسة القوى العظمى فى العالم القديم فنجد عدد سكان مصر فى عصر الاسرة الثامنة عشرة (الدولة الحديثة) كان بحدود ثلاثة ملايين نسمة فى حين عدد سكان فلسطين فى ذلك العصر (٢٥٠ الف نسمة ١/٤ مليون وعدد سكان ما بين النهرين حدود ٧٥٠ الف نسمة ٣/٤ مليون فى الالف الثانى قبل الميلا ٢٠٠٠ق.م) الامبراطورية الاشورية ٢ مليون فى القرن السابع ق.م ، فارس ٢ مليون فى نهاية ١٠٠٠ق.م ازداد الى ٢,٥ نسمة الى ٤ ملايين فى الفترة الفارسية (تقدير ماك ايفدي وجونز).

Me Evedy , C and Jones , R. : Atlas of the world population History . London, 1978 .

لقد صبغت الحضارة كل مناحى الحياة فى البلاد فإذا كانت عناصر دخيله على النسيج الوطنى الكنعانى قد استقرت كلاجئين بجوار السكان الاصليين فإن هذه العناصر كانت عاملاً محلياً Indigenous فى فلسطين يعتمد على تغير الثقافة المادية فى المواقع القرويه فى التلال الوسطى حيث كانت عناصر بدوية بدائية . وذلك لأن الانماط المكانية والزمانية للحضارة الإنسانية لاتظل ثابتة أبداً وبخاصة إذا ما نظرنا إليها من منظور طويل الاجل فمن الممكن اكتشاف تغيرات فيها إذ تظهر الحضارات ثم تزدهر ثم تذبل وهذا يصدق على فلسطين .

وإذا كنا قد تحدثنا عن العديد من الاكتشافات الاثرية فى العديد من المدن فإن هناك مدناً أخرى كنعانية مثل شيلوة (موضع الراحة) وهو اسم مدينة من اصل كنعانى تقع على بعد عشرة اميال شمالى بيت آيل على الطريق بين نابلس والقدس . ومن هنا فإن المراكز الحضريه الكنعانية لم تقل شيئاً عن غيرها من المراكز الحضارية فى الدول المجاورة .

ثم مدينة (أوغريت) تقع على بعد حوالى ٢٠ كيلو متر شمالى الرملة الى الشمال من رأس العينى . كذلك يمكن القول ان جميع المناطق التى يعتقد انها كنعانية خاصة فى منطقة السهول الساحلية لم تكن هدفاً للبحث والكشف والتنقيب ولم يتم التنقيب فيها فاكتشاف الماضى العربى الكنعانى يؤكد عامل التحام يساعد على دحض الادعاءات الصهيونية اليهودية بادنى حقوق تاريخية فى فلسطين .

كذلك من المدن الكنعانية مدينة قادش Telkedesh وهى مدينة كنعانية وتل قديم من العصر البرونزى الاول ذكر فى حروب تحتمس الثالث المحفورة على جدران معبد الكرنك قريب من موقع قرية قدس Qodas الفلسطينية فى فضاء وقد

دمرها الإسرائيليون عام ١٩٤٨م وغيرها الكثير من المواقع التلال الكنعانية الأخرى (انظر كيث وايتلام . اختلاق اسرائيل القديمة ، ترجمة سحر الهوارى . صـ٢٩٨-٣٠٢) وقد استوحى سكان البلاد اعمالهم من التراث الكنعانى حيث ان الاوانى الفخارية التى تم العثور عليها تؤخذ دليلاً على استمرار الأوضاع منذ فترة العصر البرونزى المتأخر وبناء على ذلك فإن تعريف الحضارة الكنعانية يشكل أكثر دقه وهو مهمة صعبة يجب ان تكون المواقع التى تعتبر كنعانية والتى توجد بها آثار مادية كنعانية حيث كان الفلسطينيون هم الذين ادخلوا الحديد ومن ثم فإن العصر الحديدى خاص بالفلسطينين احفاد الكنعانين وهم الذين كانوا فى طريقهم للاستقرار فى تلك المناطق منذ القرن الثانى عشر قبل الميلاد حيث كان لاستيطان الكنعانين فى مناطق التلال الوسطى فى العصر الحديدى الاول اهمية خاصة ان هؤلاء هم سكان العصر الحجرى القديم استمروا فى كنعان حتى أوائل العصر البرونزى الرابع Early Bronze Age 4 people حيث كانوا كنعانين وليسوا فلسطينين .

كذلك كان الحوريون هم احد الاقوام الكنعانية السبعة التى قطنت شمالى ارض كنعان وأنه كانت تربطهم صلة قربى (بالاخبين) وان الاسمين مترادفان .

ان الشعب الكنعانى والحضارة الكنعانية ظلت متواصلة فى ارض فلسطين ومن ذلك قيام الفرعون المصرى منفتاح أو مرنبتاح (١٢٣٦-١٢٢٣ق.م) وهو خليفة رمسيس الثانى قام باخماد ثورة فى كنعان فى أواخر القرن الثالث عشر ق.م وكذلك دمروا واباد اسرائيل وانمحت ذريتها فلا وجود له فى فلسطين الى الابد .

ولقد عرف الكنعانيون عملية سبك المعادن الكنعاني وصناعة التماثيل البرونزية الراقية .

كذلك فى المدن الكنعانية ايضاً مدينة "ينعم" Yonoam وهى مدينة كنعانية ذكرت فى وثائق تل العمارنه وكانت تقوم على خربة تل الناعمه الواقعة على نهر الاردن الى الشمال من بحيرة الخوله وهذه الخربه عبارة تل انقاض وآثار ممر وطريق قديم (مصطفى الدباغ - بلاد فلسطين) ومن ثم فإن الاعتماد على الدراسات الانثربولوچية والاجتماعية يوضح طبيعة العلاقات الاجتماعية بين القبائل والفئات المتعددة فى فلسطين والتى انطوت جميعها تحت لواء الكنعانين القبيلة الأم والاكبر والتى انقسمت الى عدة فروع اشتهر فيها اليبوسيون والفنيقيون والحويون وان هناك بعض الآراء تذكر ان الحويون شعوب كنعانية بينما الحوريون شعوب جبلية لايزال اصلها مجهولاً وقد ظهروا في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد ٢٥٠٠ق.م ولعبوا دوراً هاماً فى الالف الثانى ٢٠٠٠ في الفترة التى شهدت انحسار النفوذ الحيثى عن سوريا وضعف الدولة الآشورية وسقوط دولة بابل وقد هاجر الحوريون الى فلسطين حوالى القرن السادس قبل الميلاد وبالاختلاط مع السكان الكنعانين اختفوا من التاريخ وذابوا فى المجتمع الكنعانى الكبير .

ذلك لأن الكنعانيون هم الذين كانوا فاعلين فى هذا الموقع الجغرافى إذ ان الوصف الآثرى لحضارة فلسطين فى العصر الحديدى وما بعده يدل على استمرارية بين هذه الفترة وحضارة العصر البرونزى المتأخر ولم تكن هناك أية هجرات جماعية فى القرنين الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد سوى قبائل البدو الرحل الى داخل البلاد .

ذلك لأن نشوء العديد من المواقع الحضارية القوية فى منطقة المرتفعات واطراف فلسطين خلال فترة الانتقال من العصر البرونزى الى العصر الحديدى يجب الربط بينهما وبين شعب واحد فقط هو الشعب الكنعانى الفلسطينى فالكنعانين ادخلوا صناعة البرونز والفلسطينين ادخلوا صناعة الحديد ونقول ان قلة العثور على آثار متعددة فى كنعان يعود الى ما ذهب إليه (ربورت دروز) Robert Drews فى كتابه بعنوان (نهاية العصر البرونزى تغيرات فى اساليب الحرب وكارثه ١٢٠٠ق.م.

The end of the Bornze Age , Change in war force and catastrophe 1200 B.C. press , 1993

يقول ان حضارة العصر البرونزى فى شرق البحر المتوسط شهدت فاجعه كبرى عام ١٢٠٠ق.م وكانت هذه احدى اللحظات الاكثر رعباً فى التاريخ البشرى لمن عاشوها وكانت نقطة تحول اساسية ويذهب الى انه فى تلك الفترة دمرت تقريباً كل مدينة ذات اهمية تاريخية أو حضارية أو حربية فى فلسطين وكذلك كل قصر فى شرق البحر المتوسط تدميراً تاماً وبعد عرض الاسباب المتعددة التى يمكن ان تكون قد ادت الى هذه الكارثة الكبرى يرجع ذلك الى تطور صناعة الاسلحة واستخدام الحديد كان من اهم الاسباب التى ادت الى عدم العثور على آثار ذات قيمة حضارية أو تاريخية أو أثرية أو فنية فى كل بلاد كنعان وبذلك لم تتضح المعالم الحضارية القوية للشعب الكنعانى بصورة واضحة وجليه .

ولقد كان اهم ما قدمته الحضارة الكنعانية هى الاحرف الاثنين والعشرين لابجدية اللغة الكنعانية الفنيقية حيث ان اللغات السامية هى جملة اللغات التى

كانت شائعة منذ ازمان بعيدة فى آسيا وافريقيا وما تفرع منها وتنقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية الشرقى (الاكادى أو البابلى - الاشورى) والغربى (الكنعانى الآرامى) الجنوبى (العربى - الحبشى) وتشمل اللغات السامية الغربية اللهجات الشمالية والجنوبية فيقسم القسم الشمالى الى شعبين الكنعانية والارامية . أما الشعبة الكنعانية فتكون من الكنعانية القديمة والمؤابيه والفنيقية والاوغارتيه (أى لغة مدينة أوغاريت القديمة شمال الازقية فى رأس شمرا) (وقد سبق الحديث عن ذلك فى صفحات سابقة وانما ذكرها هنا زيادة فى التأكيد) وقد اجمع العلماء والباحثون على ان اقدم اللغات السامية هى اللغة العربية القديمة والاكاديه والكنعانية . وتطورت فى الالف الثانية قبل الميلاد مجتمعات بلاد الشام والرافدين وبقيت الكتابة فى تعقيدها الى ان حصلت ثورة فى الكتابة يرجع الفضل فيها الى أوغاريت التى كانت مملكة صغيرة تمكن عبقرى فيها فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد فى ان يستعيض عن المئات من العلامات والمقاطع والالفاز بتسعة وعشرين حرفاً يمكن ان تكتب بها كل لغات العالم وبعد قرون استطاعت مدينة كنعانية اخرى (جبيل فى شمال لبنان والمعروفة باسم بيلوصى) ابداع الابجدية الخطية التى كان عدد حروفها اثنين وعشرين حرفاً (٢٢ حرف) فقط وكل حرف من حروفها هو مطلع كلمة كنعانية الف (راس ثور) باء (بيت) ... الخ . وكان اهم تطور لابجدية جبيل هو استخدام الآرامين لها فى كتابة لهجتهم التى عمت العالم القديم وكذلك اقتباس اليونانيين لها واستخدامها فى كتابة لغتهم بعد ادخال الحروف المتحركة عليها لأن حروف ابجدية جبيل كانت ساكنه .

ومنذ حوالى القرن التاسع قبل الميلاد بدأت كتابة جبيل تتفرع لتسجل لغات أو لهجات اخرى كالمؤابيه والآرامية وهى لهجة كنعانية وقد انتقلت اليهم وربما دخل عليها بعض التحوير ولكنها فى الاصل اسماء كنعانية أو سامية كانت موجودة قبل وجود القبيلة السامية التى تنتمى إليها العربية والفنيقية والاشوريه والآرامية وغيرها .

هذه الصورة الحضارية العالمية والمشرفه لتلك الحضارة الكنعانية السامية التى علمت العالم احرف الكتابة المكونة من اثنين وعشرين حرفاً لم يعترف بها رجال التوراة ولا بالتاريخ الكنعانى الممتد فى عمق اكثر من اكثر من اربعة الاف عام ، بل انهم يدعون فى كل كتاباتهم بأن الحضارة الكنعانية كانت حضارة فاسدة على الرغم من ابداعتها المبهرة التى تجاهلوها تماماً على الرغم من ان ما وصلت من معلومات عن هذا الشعب الكنعانى مبدع هذه الحضارة لذلك يعرف الكثير عن هذا الشعب أو عن حضارته سوى ان معرفتهم بالبحر كانت واسعة وهذه المعرفة ورثها عنهم الفنيقيون وكان لهم تأثير آخر فى الكنعانين إذ ادخلوا معهم الى البلاد صناعة الحديد وبذلك رفع الفلسطينيون حوالى القرن الثانى عشر قبل الميلاد مستوى حضارة اهل البلاد الاصليين (اى الكنعانين) من استعمال البرونز الى استعمال الحديد وليست هناك معلومات عن لغتهم إذ لاتوجد أية وثائق مكتوبة بها ويبدو ان الفلسطينين قد اتخذوا الكنعانية لغة لهم ومن ثم كانت الكنعانية والارامية ثم اليونانية وقد تأثروا كثيراً بعادات وتقاليد القبائل العربية الكنعانية حيث عبدوا آله الكنعانين وهكذا تركت حضارة الكنعانين فى جميع المجالات آثارها الواضحة الجليه على أرض فلسطين .

" الفصل السادس "

" الهكسوس وتوطنهم فى كنعان "

لقد تغلغل دم الهكسوس وطرق حياتهم وعاداتهم فى نفوس اهل كنعان سكان فلسطين ومن هنا كان لابد من الحديث عن هؤلاء الهكسوس ووجودهم فى فلسطين (سليم حسن . مصر القديمة ج٤ صـ٥٦) وكان الهكسوس عناصر سورية سامية كانت عقائدهم الدينية شديدة الشبه بعقائد الكنعانين ولاشك ان الهكسوس هم جماعة اندمج فيها العموريون والكنعانيون بضغط من هجرات اقوام الكاسين والحيثين والمتيانين كما يرى البعض انهم من الفنيقين بينما الآخرون يسمونهم عرباً والآثار المصرية تسميهم اسيوين وبدواً .

وقد وصل اسم الهكسوس الذى يطلق على هؤلاء الاسيوين من "مانيتو" Manetho نقلاً عن المؤرخ اليهودى (يوسفوى) وقد اطلقه على رؤسائهم لا عليهم اجمعين وهو يعنى باللغة المصرية القديمة (ملوك الرعاة) وقد ذهب بعض المؤرخين الى ما كتبه "يوسيفوى" قد كان يتأثر بقصة النبى الكنعانى يوسف بن يعقوب كى يلائم بين حكام الهكسوس وبين الكنعانين الذين وفدوا على مصر .

ولكن بعض المؤرخين يذهب الى حقيقة اصل هذا الاسم يتضح من كلمة (هيكا) Hega وهى تعنى شيوخ العرب سواء كانوا فلسطينين أو سوريين وقد استمر اطلاق اسم حكام الصحراء على رؤساء القبائل الاسيويه طوال تاريخ مصر الفرعونية .

وقد عثر على قبر كشف ببلدة بنى حسن بمحافظة المنيا بصعيد مصر حفرت على جدرانه صورة تمثل مهاجرين اسيوين قادمين من كنعان وصلوا الى قلب

وادى النيل ثم توغلوا جنوباً بعيداً عن الدلتا وذلك حوالى ١٩٠٠ق.م . مما يدل على الاضطرابات التى سادت قبائل البدو العرب بسبب الغزو الحيثى الى دفعهم الى ترك كنعان والقدوم الى مصر هرباً من سيطرة الحيثين وطلباً للرزق فى مصر .

وقد شهدت الاسرة الثالثة عشر المصرية قدوم عناصر الهكسوس (فى عهد الدولة الوسطى) وقد اطلق ملوكهم على انقسهم لقب المحبوب من الآلهه سيث أو سيت Seth وهو الآله المصرى السامى الذى حمله الاسيوين الهكسوس ولذلك يحتمل ان يكون الهكسوس قد وصلوا الى الدلتا وفرضوا سلطانهم على ملوك مصر على الاقل فى مصر السفلى فى نهاية الاسرة الثالثة عشر اى حوالى ١٧٠٠ق.م (تاريخ وصول يعقوب أبو يوسف واسرته الى مصر) وقد اختلف مؤرخو الشرق القديم فى أصل الهكسوس فمن قائل انهم بطون من القبائل السامية المنتشرة فى فلسطين وفى كنعان وفى ربوع سوريا وبلاد الجزيرة العربية ومن قائل انهم من الفنيقين هاجروا من الاقطار السورية بسبب ما حل بهم من ظلم حكام ميتانى وبسبب ضغط المهاجرين الآرين . وبعد ان دخل الهكسوس الى مصر وردت اسمائهم على الجعارين وقد بدأوا يتسللون قبل ذلك الى ارض كنعان ويقال انه بدأ استقرارهم فى عهد الاسرة الرابعة عشرة (حوالى ١٣٠٠ق.م) وقد عاونوا الادوميون على دفع الكنعانيون الى مصر فدخلوها فى هجرة امتزجت فيها معهم اقوام آسيويه اخرى.

وقد امتزج الهكسوس بالكنعانين والعمورين من الفرات الى برزخ السويس وتركوا فى هذه المنطقة من الشرق العربى اثراً باقياً حضارياً وتاريخياً وانثربولوچياً وسلالياً فى شعوب المنطقة .

وكان الهكسوس قد قدموا من كنعان وانهم اصبحوا قوة ثقافية فى وادى النيل منذ عهد الملك (سنوسرت الثانى) ١٩٠٦-١٨٨٧ق.م اى فى منتصف عهد

الدولة الوسطى بل ان هناك عدة مؤثرات ثقافية وسياسية ادت الى ذلك بل انهم اصبحوا اصحاب السلطان فى ارض الدلتا حوالى عام ١٧٣٠ق.م وان طردهم من ارض الكنانه على يد الفرعون احمس الاول مؤسس الاسرة الثامنة عشر حوالى عام ١٥٨٠ق.م وبذلك يكونوا قد حكموا مصر نحو قرن ونصف قرن من الزمان (١٥٠ سنة) وكان من الطبيعى ان المؤثرات الثقافية التى كانت موجودة فى ذلك العهد فى الاقطار الاسيوية المجاورة (كنعان وفنيقيا) قد تركت اثرها الى حد ما فى مصر وان المصريين قد نقلوها الى بلادهم وان عناصر ثقافية جديدة قد ادخلت فى كل من فلسطين وسوريا بل وفى مصر نفسها حوالى ١٩٠٠ق.م .

وانه كذلك كانت هناك علاقة بين هذه العناصر الثقافية الجديدة وبين ثقافة الهكسوس الخاصة بهم مدة عهد سلطانهم السياسى فى مصر . ومن ثم فإن غزو الهكسوس لمصر لم يتم دفعة واحدة بل كان تسرب سلمى من كنعان يتم تدريجياً وان هجرة الهكسوس قد بدأت من المنطقة الشرقية للبحر الابيض المتوسط (كنعان - لبنان - سوريا) حوالى بداية القرن التاسع قبل الميلاد وانهم لم يدخلوا البلاد دفعة واحدة بل وفدوا جماعات صغيرة متفرقة وظل يزداد وفودها عبر شبه جزيرة سيناء الى ان اصبح لهم سلطان فى البلاد ويقال ان هذه العناصر لم تكن من الكنعانين فقط بل من مختلف الجنسيات (فنيقين - عمورين) .

وإذا كان احمس الاول قد قضى على نفوذهم السياسى والثقافى من البلاد ، إلا ان ثقافة الهكسوس قد استمرت تطبع الحياة المصرية بطابعها الخاص مدة لايستهان بها فى عهد الاسرة الثامنة عشرة بعد طردهم من البلاد اما من جهة فلسطين فأنا نعتقد ان تحتمس الثالث قد ضرب الهكسوس ضربة قاصمة قضت على اطماعهم ونفوذهم فى آسيا لكنهم تغلغلوا بقوة فى شعب كنعان .

ولقد سبق القول فى الصفحات السابقة ان مانيتون قد استقى معلوماته عن

"يوسيفوس" والحقيقة هى العكس إذ ان فلافيوس يوسيفوس Flavious Josephus الذى عاش من القرن الاول فى التاريخ الميلاد قد استقى معلوماته بدوره من المؤرخ المصرى (مانيتون) وقد نقل عن يوسيفوس والذى يبرهن على ان اليهود والهكسوس هم عنصر واحد (مغالطة تاريخية) والظاهر ان كلمة هكسوس لم تكن معروفة قبل عهد مانيتون ، وانه هو اول من استخدمها والهكسوس اسم يعنى "ملك الرعاه" وذلك لأن كلمة (هك) معناها فى اللغة المقدسة (ملك) أما كلمة "سوس" فمعناها فى اللهجة الدارجه (راعى) أو رعاه . ومن ثم كانت الكلمة المركبة (هكسوس) ويقول البعض انهم كنعانيون عرب وقد قام ملوك اقليم طيبه وسائر البلاد المصرية بثورة على الرعاة وشبت نار حرب عظيمة طالت مدتها ويقول يوسفوس نقلاً عن "مانيتون" أنه فى عهد ملك يدعى احمس أو (مسفر جموئيس) . Misphr Gmouthis

هزم الرعاه وطردوا من مصر وحوصروا فى مكان يدعى (اواريس) وكان الرعاه قد احاطوا مدينتهم بجدران عظيمة مبنية حماية لهم ويستمر قائلاً أن تومومسس Thoummosis ابن مسفرالجموئيس احاط الجدران بجيش قوامه ٤٨ الف رجل وتم الاتفاق على ان يجلوا عن ارض مصر وان يذهبوا بمقتضى هذا الصلح الى كنعان وسوريا مخترقين صحراء شبه جزيرة سيناء .

ولما كان الخوف من الاشدوديين الذين كانوا اصحاب السيادة فى آسيا فإنهم اقاموا مدينة فى ارض كنعان فى الاقليم الذى يدعى (يودا) وقد اطلقوا عليها اسم اورشليم (يبوس) وانه ليس من المعقول ان الهكسوس بعد طردهم من مصر قد استوطنوا بلدة جديدة هى اورشليم ولكن لايخفى لهذه الحقيقة أو المغالطة من قبل يوسفيوس اليهودى . صحيح انهم تشتتوا فى كنعان وغيرها من بلاد سوريا ولكن لم يتاح لهم بناء مدينة لهم رغم انهم كانوا لازالوا رعاة ولم تكن لهم حضارة فى العاصمة (اواريس) .

وكان الهكسوس قد جلبوا عبادة الآلهه (ست) لأنه كان معبوداً لهم وكان "ست" هو المعبود المحلى للبقعة التى اقاموا فيها تحصينات عاصمتهم التى اتخذوها بمثابة نقط الاتصال بين اجزاء دولتهم وهى التى كانت تضم بين جوانبها مصر وكنعان (فلسطين) وسوريا وذلك لأن الهكسوس كانوا خليطاً من اجناس متباينة والواقع ان الآله (ست) كان فى عهد الهكسوس هو آله الفاتحين الاجانب والواقع انه بوصفه آله الحرب قد ظهرت فيه بعض الصفات المشتركة بينه وبين الآلهه الاسيويه . ولقد كانت "اواريس" مدينة مشيدة عند دخول الهكسوس البلاد وانهم اتخذوها عاصمة لملكهم وانهم قد اصلحوا وامروا بتحصينها وكانت قائمة عند وصولهم لها ولم يشيدوا هم هذه المدينة وانها المدينة التى يقدس فيها الآله "ست" منذ زمن سحيق وكانت تسمى مدينة "تيفون" أى ست على انه بطرد الهكسوس من البلاد زالت تلك السيادة الآلهيه للآله ست على البلاد .

ومع ذلك ظلت عبادته فى الشمال الشرقى من الدلتا . ومن المحتمل ان السبب الذى دعا الى تغير اسم المدينة القديمة والتى اقامها الهكسوس (حوت وعرت) لتكون حصناً منيعاً قد هدمها الثوار اهل طيبه الطيبون عند اعادة فتحهم للبلاد وطرد الهكسوس والواقع ان اواريس وتانس كانت محتلتين وتكون النتيجة الفعلية لهذا التغير ان نعد الهكسوس الذين قدموا عن طريق كنعان براً وليس بحراً قوماً ذو قوة سياسية فى مصر طوال قرن ونصف قرن . غير اننا لانعرف الطريقة التى صار بها اولئك القوم الاجانب قوة مسيطرة على البلاد وقد كانت الفوضى التى عمت البلاد سبباً فى دخول الاسيويين ارض الدلتا وان الاجانب قد ضربوا باعرافهم فى البلاد ومع العلم انه لم يبق من آثار الهكسوس إلا النذر اليسير وان الآثار التى تركوها قد انتحلوها لانفسهم اغتصاباً من الآثار المصرية القديمة التى تركها ملوك مصر الفراعنة .

وكان احمس الاول شقيق كاسوس اوابن سقنن رع قد استطاع هزيمة الهكسوس وتخريب عاصمتهم أواريس . ثم بدأ مطاردتهم خارج حدود مصر فى سيناء وقام بحصار (شاروهن) وهى بلدة فى جنوب كنعان (يوده) وهى التى تقهقر إليها الهكسوس وقد سلمت بعد حصار ثلاث سنوات وكان الهكسوس قد انتشروا فى جنوب كنعان وحول مدينة شاروهن . وكانت قد استقرت حامية من الهكسوس فى (شاروهن) وكان احمس جاهزاً واشترك فى توزيع الغنائم ولكن هناك آراء تذكر ان الجنود المصريين بعد طردهم الهكسوس شمالاً قد عسكروا فى (شاروهن) بعد ان اصبح مركزهم فى كنعان مهدداً بالعصيان الواسع النطاق فى كنعان وسوريا .

وكان احمس قد مر بقلعة (ثاروا) فى أول قلعة مظفر ليطرد الذين هاجموا حدود مصر وقد مرت مدة طويلة كان فيها الاسيويون الهكسوس يحكون البلاد اغتصاباً . وقد اتفق ان الحامية كانت فى مدينة "شاروهن" على أنه بسقوط (شاروهن) لم تنتهى حملة احمس الاول فى فلسطين وان الملك سار الى زاهى أو فنيقيا . مما يدل على ان الهكسوس قد انتشروا فى كل كنعان وصولاً حتى فنيقيا . حيث اسر العديد من الاسرى وكان احمس قد اقتفى أثر الهكسوس متجهاً نحو الجزء الشمالى من صحراء سيناء إلى ان تحصنوا بمدينة "شاروهن" الواقعة فى كنعان الجنوبية وضرب عليهم الحصار فيها "شاروهن" ثلاثة اعوام وشاروهن بلدة ضمن قبيلة (سيمون) ومن المحتمل ان توجد ببلدة (تل الفارا) الحالية وهى معروفة بأنها مؤسسة حكومية قوية وكل ما نعلمه ان حدود البلاد الشمالية كانت فى مأمن من أى اعتداء على الرغم ان نهاية سقوط "شاروهن" لم تكن نهاية الوجود الهكسوسى فى كنعان بل ان الفرعون احمس قد قام بخمس حملات لتوطيد الاستقرار فى كنعان بل وصل شمالاً حتى بلاد "الفنحو" التى ربما كانت تقع

شمال "شاروهن" وبلاد زاهى وهى بلاد فنيقيا التى وصل إليها النفوذ المصرى بعد كسر شوكة القوة العسكرية الهكسوسية حيث تفرقوا فى اماكن كثيرة فى كنعان وفنيقيا بل شمالاً وليس فى مدينة واحدة كما اشار الى ذلك المؤرخ اليهودى "يوسيفوس" حيث ان الفرعون احمس قد وصل حتى نهرينا عند نهر الفرات مقتفياً كل اثر للهكسوس فى بلاد النهرين (مسوبوتاميا) ولقد قال الملك عن هذا النصر لقد جعلت حدود مصر تمتد الى ما تحيط به الشمس واصبحت مصر تصبح سيدة الارض ولم يذكر الهكسوس بالاسم مما يعطى الدليل على انهم ذابوا فى بلاد كنعان واختلطوا بالسكان فى فلسطين (يبوس) .

وفى الوقت الذى كان لايخامر فيه الشك فكر أى إنسان فى ان الهكسوس لم يبقى لهم اى نفوذ فعلى مادى فى البلاد بعد اوائل الأسرة الثامنة عشرة كان كان لابد من قيام اعمال حفر واسعة النطاق للاقتناع بأن الهكسوس بقوا مستوطنين فى كنعان (فلسطين) وسوريا حتى عهد تحتمس الثالث (١٤٧٩-١٤٤٧ق.م) ويحتمل حتى عهد امنحوتب الثانى (١٤٤٨-١٤٢٠ق.م) وكان أول من فطن الى هذه الحقيقة برستد هيمس Breasted حيث رأى أن آخر طائفة للهكسوس لم يقضى عليها إلا فى حروب تحتمس الثانى حيث كان تحتمس الثالث وابنه امنحوتب الرابع هما ضاربى الهكسوس الذين هاجموه فى فلسطين أو تعتبر فلسطين الضابط الحقيقى لعصر الهكسوس فى سوريا ومصر وقد وجدت قطع من الفخار يطلق عليها فخار عصر الهكسوس فى فلسطين فقد اصبح من الممكن ان نعرف نواحى اخرى عن ثقافة هؤلاء القوم كالآلات المعدنية التى كانت فى العادة توجد جنباً الى جنب مع فخار عصر الهكسوس فى كنعان يمكن عدها صناعة الهكسوس ايضاً والواقع انه اصبح من الميسور درس كل نواحى بلد ما من جهة الحياة والعادات والميزات الهكسوسية ومع وجود اشكال عدة من الفخار فى

فلسطين خاصة بعهد الهكسوس وكلها من انتاج الهكسوس ويلاحظ انه بعد طرد احمس للهكسوس فقد وطد الهكسوس اقدامهم مدة فى كنعان (فلسطين) وقد قامت حركة هجرة اخرى تركت اثرها فى البلاد وليس لدينا وثائق مدونة عن فلسطين تدلنا على من هم القوم الجدد ولكن الفخار نو اللونين الذى كان يرسم عليه غالباً اشكال طير أو شجرة أو سمكة هو الذى كان يستعمله هؤلاء القوم هذا بالإشارة الى اختامهم الاسطوانية الشكل ذات الطابع الخاص والتى كان مثيل لها يضع فى بلاد ما بين النهرين فى شمال (مسوبوتاميا) وبعبارة اخرى نقول ان الفخار التى ادخلت فلسطين بعد خروج الهكسوس من مصر يمكن مقارنتها بمواد استعملها قوم يسكنون شمال (مسوبوتاميا) كانوا يتكلمون اللغة الحورانيه وهذه العناصر الجديدة من الفخار مع كونها حورانيه ، إلا انه يمكن اعتبارها هكسوسيه لأن الاساس الثقافى الذى وضعت قواعده على عهد الهكسوس الاول قد استمر جنباً لجنب مع الثقافة الجديدة وكان هذا التغير الجديد قد ظهر فى مصر قبل طرد الهكسوس .

أما فيما يختص بكنعان (فلسطين) فقد كانت توجد ثقافتان تشبه احداهما الاخرى من خلال اقامة الهكسوس فى فلسطين على انه توجد بعض اشياء مستوردة نشاهدها فى خرائب الهكسوس وفى مدافن هذا العصر فقد انتشرت تجارة الهكسوس ولاسيما مع قبرص مما يوحى بتبادل تجارى بين البلدين (فلسطين وقبرص) لاسيما مع وجود موانئ بحرية اكثر نشاطاً على الشاطئ الشرقى للبحر الابيض المتوسط فى ذلك العصر وكان عددها يزيد على ما هو موجود حالياً وقد كان الهكسوس اصحاب نشاط كذلك فى ميدان المعادن وتدل المعادن التى عثر عليها فى فلسطين بأن النحاس كان المعدن الهام المستعمل فى العهود التى قبل عهد الهكسوس ولكن عند قدوم القوم الجدد على البلاد بدأ عصر

استعمال البرونز. وقد احضره الهكسوس الى فلسطين معهم فى صورة راقية ومن المحتمل ان فوائده كانت ظاهرة فى حالات عدة فى معاملاتهم مع البلاد التى لم تكن تعرف البرونز وبخاصة مصر . وفى فلسطين وسوريا عرف هناك مبانى باسم الهكسوس لها خصائصها وهى خصائص بعض تحصينات الهكسوس أنها تميل الى الشكل المستدير أو المربع ولقد لفتت نظر الباحثين وأن جوانب هذه المبانى أو اركانها كانت تقام مواجهة للجهات الاربع الاصلية وقد كشف عن هذه التحصينات فى كنعان وسوريا ومصر مما يعطى الدليل بأنهم اقاموا اقامة دائمة فى فلسطين وطراز تحصين المدن الذى كان من اعظم مخصصات الهكسوس يتألف من طراز منحدراً ،مستحكم بنى فوقه جدار البلدة نفسها وزيادة فى التحصين كان يحاط بحفر خندق أو حفرة فى غالب الأحيان وكان يستخدم فى اقامة مثل هذا الطراز غالباً المواد الموجودة فى البيئة التى اقيم فيها هذا المبنى وانهم كانوا يبنون جدرانهم حيث طبيعة المكان.

Petrie Ancient Gaza, Albright . Archaeology of Palestine and the Bible

وفى فلسطين كشف عن موقعين كل منهما على وجه عام مستطيل الشكل وفى سوريا كشف عن عدد من هذا الطراز اهمهما الحصن الذى وجد عند بلدة مشرفه (قطنا القديمة) وان الطراز والاستحكام المربع كان فكرة خاصة بالهكسوس ولذلك عندما نرى هذا الشكل من البناء فى كنعان (فلسطين) أو فى سوريا أو فى مصر تعرف انها اقاليم خاضعة لنفوذ الهكسوس وإذا حكمنا على هذه المبان نقول انهم شعب محارب (مجموعة شعوب سامية كنعانية وفنيقية وغيرها من الاجناس) والهكسوس هم الذين جلبوا الخيل والعرابات الى مصر فقد

اظهرت الحفائر التى قام بها (فلندر بترى) فى تل العجول الواقع جنوب فلسطين (كنعان) بمعلومات عظيمة عن الحصان بوصفه حيواناً خاصاً بالهكسوس وانهم ربما كانوا من غير سلالة سامية لأن الساميين لم يستخدموا الحصان فى بداية هجرتهم الى فلسطين ولانعلم حتى الآن من الآثار عن احوال الهكسوس ومظاهر حياتهم إلا القليل رغم انهم على جانب عظيم من المدنية بعدما تعلموا فى مصر العديد من الفنون والصناعات واقتبسوا من وادى النيل معالم حضارية اكثر تقدماً قبل قدومهم الى مصر وانهم بقوا قبيلة مدة طويلة بعد نزولهم على ساحل البحر الابيض المتوسط وبعد استقرارهم فى كنعان خططوا البلدان المنظمة التى راجت فيها التجارة وشهدت السواحل الجنوبية الشرقية للبحر الابيض المتوسط اتقاناً فى ميدان صناعة المعادن والواقع ان هذا الاتقان لم يكن ميسوراً قبل اكتساب الخبرات من مصر وكانت الصناعة وصائغ المجوهرات والحدادة ، صانع الفخار كل ذلك يصنع بمهارة فائقة لاسيما انهم اصطحبوا معهم بعد خروجهم من مصر الى فلسطين العديد من المصريين المهرة فى صناعة المعادن وغيرها من الصناعات وكان لديهم صناع تعلموا على يد المصريين ولانزاع فى ان التجارة كانت رائجة بين الاقطار فقد كانت فلسطين (كنعان) ومصر وسوريا وقبرص بينهما علاقات تجارية فى مواد مختلفة فى خلال عهد احتلال الهكسوس للبلاد فقد كان كل ساحل فلسطين وسوريا يزخر بالموانئ البحرية الصالحة للملاحة وكانت تموج بحركة السفن بين هذه الموانئ .

وعلى هذا فإننا إذا فحصنا حركة هجرة الهكسوس رأينا انهم قد استوطنوا سوريا وفلسطين قبل ان يحتلوا البلاد المصرية وكان عصرهم فى مصر ما بين ١٧٥٠-١٥٨٠ق.م (١٥٠ سنة) وقد وجدت آثار الهكسوس فى سوريا وفلسطين ومصر وقد اظهرت بحق الكشوف الاثرية قوة الوجود الهكسوسى فى مصر وسوريا بعد طردهم من مصر وقبل التسرب السلمى الى مصر منذ عهد الأسرة

الثانية عشرة قبل ان يتم الغزو بصورة مكثفة وبقوة بحيث استطاعوا ان يتولوا مقاليد الحكم فى مصر منذ عام ١٧٥٠ق.م وان يصبحوا ساده على الدلتا واقليم مصر الوسطى حتى شمال اسيوط (القوصية) .

كذلك فإن الآثار الهكسوسية لم تكن مقصورة على فلسطين ومصر وسوريا بل الساحل الشرقى للبحر الابيض المتوسط فقد عثر على آثار فى مدينة بيلوصى الواقعة على الشاطئ السورى وذلك فى عصر كل من الفرعون امنمحات الثالث وامنمحات الرابع (١٨٤٩-١٩٧٢ق.م) عثر على اناء من حجر الاسديان نقش عليه لقب امنمحات الثالث وفى القبر الثانى عثر على الاسديان كذلك وعليه لقب امنمحات الرابع وقد كشفت الحفائر الحديثة فى بيلوصى عن وجود طراز متصل بفخار الهكسوس وان هذا الفخار لايخرج عن نطاق القرن التاسع عشر قبل الميلاد ولكن وجود هذه الآثار لاتعنى ان الهكسوس كانوا يحتلون مدينة بيلوصى بل كانوا يسكنون كافراد فى المدينة وان الهكسوس كانوا معاصرين لاهل بيلوصى فى تلك الفترة ، كذلك فإن فخار "مرسيم" ينسب إلى الهكسوس كذلك وجدت آثار هكسوسيه فى تل كيسان ، فى مدينة عكا يدل على انهم كانوا موجودين شمال كنعان كذلك وجود اشكال بعض الاسلحة الآسيوية التى جلبها الهكسوس الى حوض البحر الابيض المتوسط الجنوبى الشرقى فى خلال عصر الدولة الوسطى وذلك عندما نشاهد آسيويون يستعملون بلطا من طراز يوجد فى سوريا وقد عدت هجرة الهكسوس وهجرة الكاسيين ، مشهدان من هجرة عظيمة وفدت الى الشرق فى باكورة الالف الثانية قبل الميلاد ، حيث انه من المحتمل ان سيطرة اسرة الهكسوس فى فلسطين وسوريا قد حدثت فى عهد مبكر عنه فى مصر ذلك لأن هجرة الهكسوس قد اتخذت سبيلها من الشمال الى الجنوب على الاقل على ساحل البحر الابيض المتوسط أما عن حالة كل من سوريا وفلسطين خلال حكم الهكسوس فليس هناك ما يحمل على الظن فى انها كانتا تؤلفان وحدة سياسية

اكثر مما كانتا عليه فى نهاية الأسرة الحادية عشرة المصرية حيث آثار احمس الاول الذى طرد الهكسوس من البلاد الى ارض (الفنخو) فى صيغة الجمع حيث وجدت عدة ولايات مستقلة وان الهكسوس كانوا قد استوطنوا بعض اجزاء من سوريا وفلسطين فإنه سيكون من الضرورى ان نفحص أدلة اتصالات الاسرة الثانية عشرة بالبلاد الآسيوية وان هذه الاتصالات كانت بعد عام ١٩٠٠ق.م ومن هنا كانت كل من سوريا وفلسطين تحت نفوذ الهكسوس فمثلاً نجد أن بيلوصى (جبيل) لم تكن خاضعة لحكم الهكسوس قبل عام ١٧٣٠ق.م وذلك على الرغم من وجود طراز من فخار الهكسوس فيها وربما ان الهكسوس كانوا مجاورين لها وان بعض صناعات الهكسوس كانت تلاقى رواجاً فى بيلوصى بل أن هناك بعض الإشارات تعطى دليلاً على أن الهكسوس قد وضعوا اقدامهم فى فلسطين وسوريا فى منتصف الاسرة الثانية عشرة ولقد رأينا كيف أن المصريين كانوا يسمون الهكسوس انفسهم (عامو) (سنتو) و(منيتوسنت) وهذه الاسماء كانت تستعمل للتعبير عن الاسيوين فى خلال الاسرة الثانية عشرة وهذا يعطى اجابة على أن الهكسوس قد استوطنوا فلسطن وسوريا حوالى عام ١٩٠٠ق.م لاسيما ان السورين والفلسطينين ربما قد انخرطوا فى عداد الجيش المصرى كمرتزقه ووصلوا الى مراتب متقدمة فى صفوف الجيش والقيادة .

وهكذا فإنه فى الوقت الذى لم يكن فيه نفوذ الهكسوس السياسى فى مصر قائماً بعد عام ١٥٨٠ق.م نجد من جهة اخرى ان ثقافة الهكسوس لم تمح من الوجود فى البلاد المصرية مباشرة . أما فى سوريا وفلسطين فكان الموقف يختلف تماماً فى خلال الجزء الأول من الاسرة الثانية عشرة . ففى نهاية الاسرتين السادسة عشرة والسابعة عشرة كانت تحكمان البلاد فى مدة واحدة تقريباً هزم الهكسوس فى (اواريس) وولوا الادبار مخترقين الصحراء إلى أن وصلوا إلى

(شاروهن) ربما (اورشاليم) حيث قاوموا حصار احمس الاول لهذه المدينة طوال ثلاث سنوات ثم دارت الحرب بعد ذلك شمالاً داخل كنعان والواقع ان الهكسوس في الوقت نفسه قد قرروا الاستقرار في كنعان ولم يتقهقروا الى ما ابعد من النقطة التي طردوا إليها .

وتحدثنا الوثائق المصرية عن غزوتين آخرين لآسيا قبل عهد تحتمس الثالث فقد قام تحتمس الاول بحملة إلى آسيا وصلت سيرها حتى بلاد النهرين على نهر الفرات والذي يحمل على الاعتقاد ان الهكسوس كانوا لايزالون في فلسطين وسوريا عندما اعتلى تحتمس الثالث العرش وانه هو وابنه امنحوتب الثاني قد قضيا على الهكسوس القضاء الأخير في هذه البلاد . أي ان القضاء على قوة الهكسوس في فلسطين قد تمت بعد ان قضوا في كنعان اكثر من مائة وستين عاماً (طردهم كان عام ١٥٨٠ق.م) والقضاء عليهم في عهد امنحتب الثاني عام ١٤٢٠ (١٥٨٠-١٤٢٠) ١٦٠ سنة .

وقد كانت هذه الفترة تمثل عدم استقرار سياسي في كنعان وسخط عظيم من الآسيوين ظل اكثر من قرن ونصف بعد طرد الهكسوس من مصر وفي عهد تحتمس الثالث بدأت سلسلة غزواته لآسيا .وقد ساق تحتمس الثالث ١٤٧٩-١٤٤٧ق.م ٣٢ عام جيوشه في ست عشرة حملة في خلال عشرين عاماً التي هذه البلاد وقد ساد السلام ظاهرياً في تلك الاصقاع قام امنحتب الثاني بحملتين بعد وفاة والده والظاهر انه بعد هذه الحملات في ارض كنعان لم يعد للهكسوس وجود في هذه البلاد من الوجهه السياسية أو الحربية وتدل المعلومات الآثرية التي يتزايد ظهورها كل يوم في فلسطين على أن نظام الحكم لم يصبح ذو أثر فعال في البلاد الآسيويه حتى عهد تحتمس الثالث وان الهكسوس ظلوا سادة فلسطين وسوريا ولم يغلبوا على أمرهم في هذه الاراضي الآسيوية إلا في ذلك

الوقت وقد اصبح من الامور التى تزداد وضوحاً ان الحفائر التى جرت فى فلسطين قبل الاحتلال الإسرائيلى المعاصر (١٩٤٨-٢٠٠١) قد افادت ان الجعارين الخاصة بالعهد الذى قيل انه عهد (التحامسه) كانت من طراز جعارين الهكسوس وكذلك الفخار يعد طرازاً خاصاً بالانتاج الهكسوسى وانه كان كثير الانتشار فى عهد تحتمس الثالث والمؤكد ان ثقافة الهكسوس فى كنعان كانت سائدة حتى منتصف عهد الأسرة الثامنة عشرة ولم يكن خلال تلك الفترة اى تأثير مصرى حتى عهد تحتمس الثالث والعصور التى مرت بعد معركة مجدو حيث استولى فى حملته الاولى على فلسطين عام ١٤٧٩ق.م والصورة قد تغيرت تغيراً محسوساً والصورة الاثرية العامة لعهد تحتمس الثالث فى فلسطين تمثل امامنا القضاء على ثقافة الهكسوس ويمكن وضع تواريخ تقريبيه لعهد الهكسوس المتأخر فى فلسطين وهو العهد الذى تميز بالفخار الحورانى وان هذا العهد قد استمر قرنين من الزمان من حوالى ١٦٧٠ق.م حتى عام ١٤٤٥ق.م حوالى قرنين من الزمان كان الوجود الهكسوسى فى كنعان يمسك بزمام الامور حتى قام امنحتب الثانى باخماد الثورة التى اوقد نارها الهكسوس فى فلسطين ولكن للحقيقة التاريخية فإن نفوذ الهكسوس لم يتم القضاد عليه نهائياً فى فلسطين ولكن كانت حملة امنحتب الثانى قد كسرت العمود الفقرى للقوة الهكسوسية وان ثقافتهم ونفوذهم الثقافى والسياسى والاجتماعى قد قضى عليه بالنفوذ المصرى والحملات التى شنها تحتمس الثالث وابنه امنحتب الثانى وقد استعمل المصريون فى عهد الامبراطورية المصرية كلمة (خارو) لتدل على فلسطين وسوريا وعلى هذا فإن الاسم الجديد الذى اطلق على فلسطين وسوريا وحدة ذو اهمية بالغة فى توضيح الموقف ويلاحظ انتشار الثقافة الحورانيه فى شكلها الثابت نسبياً فى انحاء كبيرة من فلسطين وسوريا فى عهد الهكسوس المتأخر حوالى عام ١٤٤٥ق.م وأن الغرض من ابراز نقطة خاصة هى ان العنصر الهكسوسى الحورانى الذى كان يعيش فى

فلسطين وسوريا فى منتصف القرن الخامس عشر ١٤٥٠ق.م كان طرد الهكسوس عام ١٥٨٠-١٤٥٠ق.م اى بعد انقضاء اكثر من مائة وثلاثين عاماً على الطرد من مصر والواقع انه يحتمل ان اهل متنى أو الحوارنين الذين كانوا يقطنون سوريا وفلسطين كانوا ذو قرابه وطيدة منذ حوالى منتصف القرن السابع عشر وانتشروا جنباً لجنب وليس ادل على ذلك من ان فحص الهياكل التى وجدت هناك هى ان نفس العنصر فى كلا العهدين كان واحداً وأن الشعب الكنعانى فى كنعان الذى واجه غزو العبرانين عندما دخلوا بلادهم كنعان كان يرتكز الى حد بعيد على شعب اساسه من الهكسوس مما يعطى الدليل القوى على أن الهكسوس قد تغلغلوا فى الحياة الكنعانية بصورة فعاله وان اختلطوا وامتزجوا مع الكنعانين وشاركوهم الحياة اليومية سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وكانوا صفاً واحداً فى الدفاع عن فلسطين ضد الغزو العبرى الذى قدم كبدو رعاه يهاجمون بلاداً ذات حضارة وثقافة يغلب عليها العنصر الحورانى الهكسوسى الذى كان يعيش فى فلسطين وان ثقافتهم في فلسطين كانت مختلفة بدرجة ظاهرة عن الثقافة التى سبقتها مما يحتم الاعتراف بأن هذه الثقافة قد جاءت الى حد بعيد عن طريق شعب جديد وان جنساً من اجناس البحر الابيض النتوسط القدامى قد حل محله جزئياً فى خلال عهد الهكسوس وان الذين قاتلوا المصريين فى معركة مجدو لم يكونوا يمثلون كل جماعة الهكسوس بل شاركتهم جماعات آسيوية اخرى ، بل ان عدداً من السلالات قد اشتركت فى نشأة الهكسوس والتى اشتركت فى حركة هجرة الهكسوس .

وعلى ذلك كان يوجد فى الهكسوس عنصر سامى واضح قد اختلط مع غيره من الاجناس فيما يطلق عليه هجرة الهكسوس وهذا ليس بغريب بالنظر الى التفوق الشامل للسامية ويشمل ذلك العامورين والكنعانين فى فلسطين وسوريا حوالى ٢٠٠٠ الفين قبل الميلاد وكذلك ما يشير الى مدن شمال سوريا وكانت بينهم بعض

العناصر غير السامية التى هضمت بسرعة ذلك لأن اقواماً غير سامية كانوا يزحفون على حدود عريضة شمالية فظهر الحورانيون فى الاناضول الكاسيون وقدمت عناصر من مكان من خارج فلسطين وسوريا وفد قوم من الاجانب جلبوا معهم صناعة معادن راقيه بعد أن اتخذوا فلسطين موطناً جديداً لهم ومن هنا بدأنا نتعرف على الهكسوس وان الأثر فى فلسطين لم يكن فردياً قبل سوريا وان لمعرفة اصول الهكسوس العرقيه ان يقتفى اثارهم فى شمال سوريا وان اصولهم ربما تعود الى اصول آريه وربما السامية لأنه من الواضح ان الكلمة المصرية "بسمت" مشتقه من اسم الجمع الكنعانى "سوسيم" وتوجد كلمة هى "مرين" ومعناها جندى سورى وان الحصان والعربه قد ادخلت فى مصر فى عهد الهكسوس وان مهدها الاصلى آرى وانها لم تستعمل فى جنوب غربى آسيا ومصر وربما كان وجود عنصر هندى ايرانى بين الهكسوس هو انعدام وجود العلاقات اللغوية فى فلسطين وسوريا فى عهد تل العمارنه وانهم قد انتحلوا اللغة المصرية لغة لهم وان ملوكهم اتخذوا لأنفسهم الالقاب الملكية المصرية واستخدموا اشارات هيروغليفيه وقد كان الحوارنين من بين العناصر التى تكون منها الهكسوس وهناك احتمال ان بداية هجرة الهكسوس قد بدأت فى (ارمينيا) مما يرجح اشتراك الحورانين فى هجرة الهكسوس وليس هناك ادنى شك انه يوجد دم سامى من بين الهكسوس وانها بعد استيطانها سوريا وفلسطين قد تكلمت احدى اللهجات السامية مدة جيل من الزمان وقد لعب الساميون دوراً هاماً فى هجرة الهكسوس وان نفوذهم كان عظيماً بسبب انتشار لغتهم بين هؤلاء الاقوام ذو الاصول المخلطه .

والظاهر ان اهل سوريا أو بعبارة اخرى الهكسوس الذين كانوا يقطنون هذه البلاد مضافاً إليهم من تقهقر منهم امام احمس الاول (١٥٨٠-١٥٥٨ق.م) ٢٢ عاماً حكم . كانوا قد عقدوا بينهم وبين اهل النهرين علاقات على حساب مصر فقام تحتمس الاول بتأديب هذه الشعوب فى كنعان وبلاد ما بين النهرين الى حد

أن تحتمس الاول قد وصل فى زحفه على نهر الفرات عند قرقميش وان الحروب التى قام بها تحتمس الاول قد غطت عليها حروب تحتمس الثالث الكثيرة وان حملته لم تكن مجرد انتقام بل كانت محاولة حقيقية لتأسيس السيادة المصرية على بلاد كنعان وسوريا وبلاد ما بين النهرين تلك البقعة الشاسعة من آسيا التى تبدأ عند برزخ السويس وتنتهى عند منحنى الفرات العظيم وقد بقيت الحال على هذا المنوال منذ تحتمس الاول الى ان اعتلى عرش مصر الملك (تحتمس الثالث) وعندئذ تحالف امراء الهكسوس فى كنعان وشمال سوريا والولايات الاخرى وكونوا حلفاً لنزع السيادة المصرية وتقول نقوش تحتمس الثالث على جدران معبد الكرنك انهم بدءوا بالعصيان على جلالته من اول (برزه) (بوده) فلسطين حتى مستنقعات بلاد ما وراء النهرين .

ومن ثم فإن تحتمس الثالث يعلن الحرب على بقايا الهكسوس فى آسيا . وكانت سوريا قد اعلنت العصيان على مصر فى تلك الفترة او قامت بثورة وتم تكوين حلف قوى من قبائل آسيا والولايات التى كانت لمصر منذ خمسين عاماً من عهد تحتمس الاول ومن قبله وقد الفوا حلفاً بقيادة ملك قادش وهى بلدة على نهر العاصى على مسيرة مائة ميل تقريباً شمال دمشق وقد زحف تحتمس الثالث لمنازلة ملك قادش والقضاء على هذا الحلف وكانت اقوى هذه الولايات واغناها مملكة قادش الذى كون أميرها حلفاً تحت قيادته من الولايات الاخرى وكان تصميم تحتمس الثالث بالزحف الى قادش مباشرة وتعتبر معركة مجدو اول معركة حربية فى تاريخ العالم القديم خلفها تحتمس الثالث على جدران معبد الكرنك بالاقصر بصعيد مصر وسار مخترقاً الصحراء التى تقع على الحدود الشرقية والحدود

الجنوبية لفلسطين فوصل غزه بعد مسيرة عشرة أيام ثم وصل الى "يما" وتقع على مسافة ٨٠٠ ميل من غزه وعسكر بها الجيش ثم بعدها عسكر الجيش فى "عرونا" ثم كان الوصول الى "مجدو" على شاطئ مجرى نهر "قانا" وكانت القوات السورية قد ضربت خيامها فى نفس الوادى بالقرب من مجدو ، وكانت قواتهم تحاول منع الزحف المصرى وهاجم المصريون وانتشر الزعر بين رجال الجيش السورى وتم للجيش المصرى الاستيلاء على المدينة بالهجوم الذى استمر سبعة اشهر استسلمت بعدها المدينة .

ولقد كانت هذه المعركة منذ اكثر من اربعة الاف وخمسمائة سنة وتم بعدها عقد هدنه بين الطرفين ويدل ذلك على أن المصرين كانوا اعظم شعوب العالم القديم رحمة وانسانسة . وقد وصل الزحف حتى شمال جبال لبنان واستولى على هذه المدن وبذلك اصبحت فلسطين (كنعان) بعد كسر شوكة بقايا الهكسوس بعد اكثر من مائة عام على طردهم من مصر على يد احمس الاول وكذلك صارت لبنان خاضعة لمصر وسلطانها وكذلك الجزء الاعظم من بلاد فنيقيا وظل شمال سوريا خارج عن نطاق السيادة المصرية لأن ملك (متنى) بلاد ما بين النهرين فى ذلك الوقت المسمى (ساوششنار) قد توغل فى هذه الجهات واستولى على مملكة حلب . وتدل النقوش على ان اخبار انتصار مصر قد وصل الى بلاد (اشور) وقد رأى ملكها ان يربط اواصر الصداقة بينه وبين مصر ومن ثم ارسل هدايا الى الفرعون تحتمس الثالث وهذه الهدايا دليل على قوة الفرعون وشهرته وإن كانت بلاد اشور لم تخضع للنفوذ المصرى ولكن فلسطين وسوريا صارتا ترسل الجزية سنوياً الى

مصر ويأتى رسل سوريا يحملونها وكانت هذه الخيرات تجنى من سوريا ومن كل الفتوحات الاخرى التى خضعت للنفوذ المصرى .

ومن كل هذا العرض نستطيع القول ان الهكسوس الذين كانوا هم قبائل سامية مختلطة بعناصر اخرى آرية وهندية وغيرها من الشعوب الاخرى حتى تسربوا الى مصر من فلسطين ثم استقر بهم المقام فى كنعان بعد طردهم من مصر على يد الفرعون احمس الاول مؤسس الاسرة الثامنة عشرة وكيف انهم تركوا آثارهم وثقافتهم ومعالمهم الحضارية على ارض كنعان وكيف ذابوا فى المجتمع الكنعانى واصبحوا جزءاً فاعلاً فيه وكيف انهم قاوموا النفوذ المصرى حتى تم القضاء عليهم نهائياً فى عهد الفرعون تحتمس الثالث ابنه امنحتب الثانى ولكن كان ذلك القضاء على النفوذ السياسى والقوة الحربية فقط لكن التأثير الحضارى والثقافى والصناعى ظل راسخاً فى الارض الكنعانية لأنه لم يعد امامهم مكان يستقرون فيه غير فلسطين ولبنان وسوريا بعد ان ظهرت مملكة اشور ومتنى فى بلاد ما بين النهرين شرقاً والحثيين وغيرهم شمالاً وكانت هذه الشعوب لاتسمح بتسرب هذه القبائل الهكسوسيه الكبيرة العدد التى تم طردها من مصر باعداد كبيرة الى بلاد الشام فكان الاستقرار النهائى فى كنعان حيث اصبح وطناً قومياً لهم والدليل على ذلك انهم قاوموا مع الكنعانين الغزو العبرى عند الهجوم على فلسطين ومحاولة الاستقرار فى هذه الانحاء وكيف ان الهكسوس صاروا جزء من الشعب الكنعانى وغلب عليهم الطابع السامى لغة وحضارة وثقافة وبذلك ذاب الهكسوس فى تلك الانحاء بعد خروجهم من مصر مطرودين بعد استقرار دام اكثر

من قرن ونصف احتلوا فيها الجزء الاكبر من الاراضى المصرية وصولاً الى مصر الوسطى حتى مدينة القوصيه محافظة اسيوط وكيف ان المعالم الحضارية المصرية التى اكتسبوها من مصر قد أثرت فى الحياة فى كنعان وكيف انهم دخلوا مصر رعاه بدو وخرجوا منها وقد تعلموا فن بناء المدن والحضارة والصناعة واللغة الهيروغليفيه المصرية التى اتخذوها لسان حالهم فى كنعان وبذلك فإن الصلات والروابط كانت قوية بين مصر وكنعان فى ذلك الوقت ولقد كان الهكسوس يمثلون رابطة قوية بين المصريين والكنعانين وإن كان العداء بينهما لازال مستحكماً نظراً لعدوانهم على الاراضى المصرية واحتلالها ومحاولة التحرش بامراء طيبه المصريين الوطنيين ومحاولة اذلالهم بما كان يدعيه ملك "أوراس" الهكسوس من ادعاءات تتعلق بعقيدة وديانة اهل جنوب مصر مما دفع حكام طيبه ان يشهروا السلاح فى وجه الهكسوس بدءاً من الحاكم الوطنى سقنن رع والد احمس والذى قتل وهو يطارد الهكسوس من اقاليم مصر الوسطى وكيف أن زوجته وام كامس واحمس حملت راية الكفاح ضد المحتل الهكسوسى وكيف حملها كامس الذى لقى حتفه فى ميدان القتال .

ثم جاء الدور على احمس محرر مصر من الهكسوس ليكون له شرف تحرير البلاد من اردان الغزو والسيطرة ومن ثم مطاردة الهكسوس فى بلاد شيلاح وزاهى وصولاً حتى شمال فلسطين وبذلك يكون الوجود الهكسوسى فى فلسطين قد استمر فكما جاءوا الى مصر من فلسطين فقد خرجوا من مصر الى فلسطين وشاركوا اهلها الكنعانيون معيشتهم واساليب حياتهم بل انهم ادخلوا كثيراً من المهارات والفنون التى تعلموها فى مصر .

ومن ثم فإن وجهاً حضارياً جديداً قد بدأ يظهر فى فلسطين بعد ان استقر هؤلاء القوم بين مواطنيها وبذلك ساهمت مصر بدور ايضاً وهى فى صبغها هذه القبائل البدوية بالصبغة الحضارية المصرية من مختلف اوجه الحياة اليومية حيث اقتبسوا من المصريين اساليب حياتهم وقوتهم ولغتهم وعمارتهم ومعابدهم التى لاشك انهم قد اقاموا منها فى فلسطين وليس فترة ١٦٠ عام من طرد احمس لهم وقضاء تحتمس الثالث وابنه على نفوذهم بفترة قصيرة من الممكن ان تكون قد تركت اثرها القوى فى فلسطين وصارت وجهاً حضارياً يجمع بين الاسلوب المصرى الهكسوسى الكنعانى على ارض فلسطين .

وقد وقعت اقاليم الشام تحت سلطان الهكسوس ايام قيام دولتهم فلما نهضت مصر على ايدى الفراعنة (فراعنة طيبه) وانكسرت شوكة الهكسوس فى (اواريس) قبل واقعة (شاروهن) انقسمت البقاع السورية واقاليم فلسطين الى امارات صغيرة يقوم على حكمها مزيج من الامراء منهم من يمتد اصله الى الآرامين ومنهم من ينسب الى السامين ورسائل تل العمارنه تعد لنا اكثر من (٦٠) ستين امارة من تلك الامارات الآسيوية التى اتصلت حياتها السياسية بالمصريين والغالب انها كانت اكير من ذلك ومن وثائق (تحتمس الثالث) تعداد لست وعشرين ومائه (١٦٠) بقعه من تلك البقاع التى تحالف امراؤها مع قادش وقد رابط بهم فى مجدو فسار إليه الفرعون وهزم هذه الجموع واغلب الظن ان سكان تلك البقاع كانوا يتكلمون اللغة الكنعانية أو الفنيقية ورسائل تل العمارنه لم تفصل الحديث عن تلك القبائل ولكن اكتفت بأن تسميهم الكنعانين وشمل ذلك الاسم كل سكان

الشام، على ان تلك التسمية لم ترد فى النصوص المصرية منذ قبل ايام (امنيوفيس الثانى) الذى اسر منهم ٦٤٠ أسير فى طريق عودته الى مصر بعد حملته الاولى وكان المعتقد قبل ذلك ان اسم الكنعانين لم يرد فى النصوص المصرية ايام الاسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠-١٠٩٠ق.م) ثم كشفت الابحاث بعد ذلك عن لوح تاريخى كبير سجل عليه (امنيوفيس الثانى) اخبار حملتين حربيتين قام بهما على الاقاليم الآسيوية فى العامين السابع والتاسع من ايام حكمه وتؤكد التوراه وجود الكنعانين بعد العودة من السبى البابلى الى فلسطين .

وقد غمر بدو الصحراء اكثر تلك الاقاليم من سوريا وفلسطين وكان المصريون يطلقون عليهم اسم (الشاسو) وهم اسم اطلقه المصريون على عرب آسيا جميعاً ولم تكن لهم جيوش منظمة بل كانوا يحاربون جماعات لكن الهكسوس كانوا يستخدمون الخيول الى تجر ورائها العربات وقد كان سلاحاً جديداً لم يألفه المصريون من قبل فى قتالهم مع الاعداء لكن المصريون تعلموا هذه الفنون الحربية واجادوها وبرعوا فيها ومن ثم استخدموها فى حروبهم فى بلاد كنعان والشرق القديم وقد نالت اعجاب شعوب هذه الاقاليم الذين لم يتصوروا كيف استطاع الجندى المصرى القديم ان يجيد اساليب القتال بهذا التطور السريع . وبذلك يكون الوجود الهكسوسى فى الجانب الفلسطينى قد اوجد صلة حضارية وثقافية بين شعوب الشرق القديم وقد كان الجانب الحضارى اكبر اثراً من الجانب العسكرى الذى رحل عن مصر لكن التأثير الثقافى والحضارى كان لايزال يجمع شعوب الشرق القديم .

" الفصل السابع "

" الفنيقيون سكان الساحل اللبنانى "

الى الشمال من مدينة عكا الفلسطينينة تبدأ تلك البقاع الساحلية التى سماها المصريون القدماء بلاد (زاهى) حيث ثبت ان كلمة (فنيقيا) انما يرجع اصلها الى اللفظ المصرى القديم (فنحو) وكان المصريون القدماء يطلقون على البقاع السهلة من ارض آسيا التى تشمل المروج حول (شرونه) والبقاع ووادى الاردن والساحل الفنيقى اسم (فنحو) غير أن المؤرخ ادورد ماير Ed.Meyer يؤكد ان اسم الفنيقين اغريقى الاصل وان معناه (الاحمر الدموى) وان اسمهم لم يكن مصرياً ولا سامياً اما هم فكانوا يسمون الصيداويين نسبة الى صيدا وكانوا يسكنون ارض كنعان وكان الاغريق اول من اطلق عليها اسم (فنيبيا) وهنالك على الساحل اللبنانى امتدت منازل الفنيقين ولم تكن دولة بالمعنى العروف وانما هو نظام كان اشبه بنظام (البندقيه) فى شبه جزيرة ايطاليا قبل الوحدة الإيطالية أو نظام (هنزا) فى المانيا قبل القرنين الثالث عشر والسابع عشر ولم يكن يهمهم مطلقاً ان تكون لهم حكومة موحدة ولم تكن دولة بالمعنى المتعارف عليه فى مصر أو اشور بل كان نظام مدن كما كان معروفاً عن ايطاليا فى العصور الوسطى (البندقيه ، جنوا - بيزا) وغيرها من المدن الإيطالية .

ويطلق اسم فنيقيه على شاطئ فلسطين الى الشمال من مدينة صور التى استمد ابناؤها الملاحين عنهم باسم الفنيقى وقد هاجر الفنيقيون الى تلك المناطق بعد الغزوة الحيثية للعراق حيث يبدو ان الموطن الاصلى لهؤلاء القوم كان على شاطئ الخليج العربى ذلك لأن فنيقيه كما يدل عليها اسمها كانت اسماً لبلاد

النخيل في الاقليم كله وان كلمة فنيقي عندهم بمعنى النخلة وتقابلها عند الرومان كلمة بالمورا Palmyra التي اطلقت على مدينة (تمر) أو تدمر في شرق البقاع وتمر هي الكلمة السامية التي تقابل كلمة بالم Palm بمعنى النخلة في بعض اللغات الاوربية الى اليوم ولايخفى ان اصح الاقوال عن اصل الفنيقين انهم نشأوا عند الخليج العربي في بلاد النخيل وتحولوا الى فلسطين يوم إن كانت مشهورة بكثرة ما فيها من نخيل وان اسم مدينتهم قرطاجه التي بنوها عند انتقالهم من فلسطين الى شاطئ البحر الابيض المتوسط الجنوبي بالقرب من تونس وكانوا في السابق قد عبروا الصحراء الى شاطئ البحر الاحمر ثم الى البحر المتوسط حيث وجدوا على شواطئ سوريا موانئ تصلح لميولهم البحرية ولم تكن الحدود السياسية ثابتة أو متعارف عليها حيث كانوا يخالطون الكنعانين بل انهم تركوا كنعان اصلاً الى الشمال وتفرعوا عن الكنعانين وصاروا يجورونهم الى الشمال ومن ذلك يقع هذا الوادي المنخفض المعروف بمنخفض النهر الكبير الذي يحد من الشمال لبنان ويجري فيه الطريق من الشاطئ مخترقاً وادي العاصي الى شمالي سوريا ثم يمتد الى الفرات وتنتشر على جنباته مدائن حصينة تسكنها قبائل سامية وفي شمال لبنان والبقاع نزل قوم من السامين يقال لهم العموريون وهم اقرب القبائل السامية الى الكنعانين وقد جاء ذكرهم في الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين في التوراة .

وقد خضعوا تحت الحكم المصري وكذلك الحكم الاشوري فيما بعد وقد ارتاد الكنعانيون المدن الفنيقية التي كان من اشهرها جبيل (بيلوصي ، صيدا ، وصور ، وبيروت) وقد لعبت دوراً خطيراً في تاريخهم وتاريخ من جاورهم لاسيما الكنعانين سكان فلسطين حيث كان الكنعانيون قد اعتادوا ان يرتادوا تلك الموانئ يتصيدون في مياهها وقد اطلق الكنعانين اسم صيدا ولعل نسبتهم الى صيدا قد جاءت عن

هذا الطريق وقد رأى بعض المؤرخين ان الكنعانين قد كانوا يزاولون نشاطهم فى مياهها وان اسمهم يتصل بهذه الحرفة وقد كانت اكثر مدن فنيقية ذات صلة بمصر خاصة مدينة بيلوصى (جبيل) وذلك منذ اقدم العصور . بل ان هناك بعض المؤرخين يرون ان الهكسوس هم من الفنيقين ثم اخرون يسمونها عرباً والآثار المصرية تسميهم اسيويون ويبدوا ان بينهم عناصر سورية وسامية وكانت عقائدهم الدينية شديدة الشبه بعقائد الكنعانين وابطالهم ولاشك ان الهكسوس عناصر اندمج فيها العموريون والكنعانيون بضغط من قبائل وهجرات غير سامية كالحثيين والكاسين والميتانين الذين كانوا يسكنون حصون (تامارا - العمورين) .

ومن الثابت علمياً ان هناك وحدة ملحوظة بين العناصر الانثربولوچيه لاقوام فلسطين وفنيقيا وما بين النهرين الذين يسمون عرباً وكنعانين وفنيقين وعامورين وكلدانين واشورين . وقد اثبتت قبور (ابيدوس بسوهاج بصعيد مصر) ان هناك صلات تجارية كانت قائمة بين مصر وفلسطين وامارات الساحل اللبنانى . ففى الآثار المصرية تبدأ معرفتنا فى اواخر الالف الرابعة قبل الميلاد باهل فلسطين وامارات فنيقيا وما بين النهرين . ذلك لأنه على شاطئ البحر المتوسط اى شاطئ السهل اللبنانى والفلسطينى الذى كان يسمى (شبلاح Shephelah) وفى منخفض نهرى الاردن والعاصى سورية كانت تسكن اقوام من السامين الذين كانوا يسكنون شاطئ فلسطين وسوريا والى هؤلاء القوم ينتمى الفنيقين والكنعانين والعاموريون ثم انتشروا فى بلاد الشام وكانت السفن المصرية فى نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد تتردد على شاطئ البحر المتوسط الفنيقى - الفلسطينى ولكن سكان هذه المنطقة لم يعرف عنهم إلا من الآثار المصرية والكلدانية ولم يبدأ تاريخهم إلا مع الفنيقين فى الشمال والفلسطينين فى الجنوب . وقد ذهب مؤرخو تاريخ العرب قبل الإسلام الى ان الهجرة الاولى قد حدثت حوالى

٣٥٠٠ق.م فاتجهت الى الشمال الشرقى اى الى وادى الفرات الادنى ومنها نشأت حضارة البابلين والاشورين وان الهجرة الثانية هى التى احلت محلها العامورين والكنعانين والفنيقين فى سوريا وسواحل البحر الابيض المتوسط الشرقية وقد لاحظ المعنيون بدراسة اللغات القديمة وجود صلات قوية بين اللغة الكنعانية والفنيقيه والاشورية والبابلية والآرامية والعربية وقد اطلق على الكنعانية والفنيقية والآرامية لغة ذات اصل واحد يضاف إليها البابلية والآشورية .

ولقد ذهب كثيراً من الدارسين الى ان البحرين هى منبع هذه الهجرات الفنيقية ويتشهدون على ذلك ببعض الكشوف الآثرية التى كشفت عن هجرة الفنيقين وغيرهم فى هذه المنطقة ومن المحتمل ان موانئ البحر الابيض المتوسط كانت لتسكنها اقوام تنتمى الى جنس البحر الابيض وان الاراضى الداخلية كانت تسكنها اقوام عربية سامية وان الامتزاج قد اثمر الكنعانين ثم الفنيقين وفى شمال سوريا والتى كانت تسمى فى الآثار المصرية (لوتانا العليا) حيث استقر منذ فترة طويلة فريقان من العرب فعلى الساحل استقر الفنيقيون وفى الداخل خلف لبنان استقر الآراميون وقد تبادلوا الصلات مع المصريين وتجمعوا فى المدن وانشأوا لتلك المدن حكومات تبادلت علاقات دبلوماسية مع الدول المجاورة وفى عام ١٠٠٠ق.م استطاع الفنيقيون بواسطة تبسيط اللغة الهيروغليفيه ان ينشئوا ابجدية الكتابة وفى داخل لبنان خلف المراعى اللبنانيه استطاع الاراميون ان يبسطوا سيطرتهم وكان الاراميون قد اقتبسوا من الفنيقين ابجدية عمليه انتشرت بانتشار تجارتهم فى سائر اقطار الشرق العربى وحلت محل اللغة الهيروغليفيه المصرية والخط المسمارى البابلى واستطاع الفنيقيون العرب منذ القرن السابع قبل الميلاد بل قبل ذلك بكثير ان ينتزعوا السيادة التجارية البحرية واتجهوا الى انشاء امبراطورية تجارية وصلت الى الشمال الافريقى واسبانيا وكان الفنيقيون والكنعانيون والعاموريون لازالوا يتحكمون فى تلك الاراضى العربية .

وكان ملوك اشور فى نينوى فيما بين النهرين قد استعادوا الاراضى التى بين الفرات والعاصى التى تتحكم فى طريق الهلال الخصيب وقد ضموا موانئ الفنيقين جميعها الى املاكهم وكانت اشور حتى خلال النصف الاول من القرن السابع قبل الميلاد وفى اوج مجدها فاندفعت غرباً نحو ساحل البحر المتوسط والامارات الفنيقية وسيطروا عليها وبسطوا نفوذهم على كل موانئ الساحل وفلسطين .

والظاهر من النصوص المحفورة على جدران المعابد المصرية حتى عصر البطالمه ان الفنيقين كانوا خاضعين للنفوذ المصرى (سوف نذكر بالتفصيل خضوع الفنيقين للنفوذ المصرى منذ عصر الدولة الحديثة وما قبلها فيما بعد) وتشير النصوص فى صراحة الى ان بطليموس (فيلادافوس) قد بسط سلطانه على ارض الفنيقين وثبت تاريخياً ان الساحل الفنيقى من ارض فلسطين قد ظل فى حوزة السلطان المصرى ايام البطالمة منذ عام ٢٨٧ق.م حتى كان ملك مصر فى عصر البطالمه يلقب ملك مصر وحاكم فنيقيا والغالب ان الفنيقين قد كانوا يحملون النبيذ والبخور التى المعابد المصرية فى تلك العصور المتأخرة وما قبلها ايضاً ومن اشهر مدن الفنيقين التى لعبت دوراً خطيراً فى تاريخهم وتاريخ من جاورهم من شعوب سامية ولاسيما الكنعانين يومذ تلك المدن الساحلية مثل صيدا أو بيروت وبيلوصى وصور (بيلوصى) أحد المدائن الشهيرة التى لعبت دوراً عظيماً فى حياة المصريين (نذكر ذلك لاحقاً) الاقتصادية والدينية فمنها حمل المصريون اكثر الاخشاب اللازمة لعمائرهم الدينية والمدنية وتعرف باسم (جبيل) وتقع ما بين بيروت جنوباً وطرابلس شمالاً . أما صور فمعناها الصخرة وهى تسمية تتفق مع طبيعتها وصيدا فى الغالب انه كان لتلك المدينة معبود يدعى صيدا (صيدون من ابناء كنعان) ومن رأى بعض المؤرخين ان الكنعانين قد كانوا يزاولون فى مياهها صيد الاسماك وان

اسمهم يتصل بهذه الحرفة ومن الجائز ان يكون معبودهم هذا قد كان من آلهة الصيد ولعل فى اسمه ما يشير الى ذلك وتلك الحقيقة . وقد ارتاد الكنعانيون تلك المدن واكثر المدن الفنيقية صلة بمصر ببيلوصى وكانت هذه الصلات منذ اقدم العصور .

ففى عصر ملوك طيبه بمصر (٣١٩٧-٢٧٧٨ق.م) كان الكنعانيون قد بدأوا الهجرة الى فلسطين ونشروا بها ثقافتهم ومؤسساتهم وكان ذلك حوالى عام ٤٠٠٠ الاف قبل الميلاد فاطلقوا على فلسطين اسمهم "كنعان" وكان فى بادئ الامر يطلق على الجزء الساحلى من البلاد ثم شمل فيما بعد كل بلاد الاردن وكانت الفكرة متجهة فى بادئ الامر الى وضع الكنعانين بين الشعوب الحامية ولكن الباحثين اتفقوا على انهم جنس سامي وهجرة الكنعانين الى فلسطين نتيجة هجرة عربية اقدم عهداً من هجرتهم إليها فيما بعد بل اصبح ثابتاً انه منذ عام ٤٠٠٠ اربعة الاف قبل الميلاد تدفقت موجات هجرة سامية قادمة من بلاد العرب وانتشرت فى بابل وعلى وجه الخصوص وربما فى سورية وفلسطين ايضاً كما ان موجة اخرى من هجرات العرب اتخذت نفس الاتجاه بين عامى ٢٨٠٠ و٢٦٠٠ق.م ولكنها لم تنتشر فى بابل فحسب بل انها وصلت الى سوريا وفلسطين ومصر ايضاً عندما غزاها الهكسوس .

ويذهب المؤرخ تروجوس Trughs الى ان منشأ الفنيقين الاول كان على شاطئ البحر الميت وكان الفنيقيون فى عصور التاريخ الاول يسمون انفسهم كنعانين كما يسمون ارضهم كنعان .

Encyclopaedia Britannica Vol.18. P. 803 .

وسواء اكان الكنعانيون والفنيقيون جنساً واحداً كما يرى "تروجوس" أم عرب هاجروا من جنوب شبه الجزيرة فمما لاشك فيه انهم كانوا جنساً واحداً

وربما ان الفنيقين قد هاجروا الى فلسطين وسوريا بعد هجرة الكنعانين إليها فامتزجوا سوياً .

وأشار المؤرخون الى ان عثر فى بلاد البحرين على عدد من المقابر القديمة يطلق عليه اسم Tumali وجد بعد فتحها انها خططت على نمط واحد وان الرأى السائد بين الذين عنوا بدراستها وفحصها انها مقابر فنيقيه لأن البحرين كانت الموطن القديم للفنيقين ، وانه قد سبق للمؤرخ سترابو (٦٤ق.م - ١٩م) اليونانى انه اشار الى ان المقابر الموجودة فى جزر البحرين تشبه مقابر الفنيقين وان سكان هذه الجزر يرون ان اسماءها واسماء مدنها اسماء فنيقية وان بعض الباحثين يرجحون ان المقابر المرتفعة المصنوعة من الصخور فى المرتفعات تعود الى اوائل العصر البرونزى واما مقابر اهل البحرين فتعود الى العصر البرونزى المتقدم اى الى الالف الثالثة قبل الميلاد .

وكانت قواعد مصر البحرية السابقة صور وصيدا وجبيل موانئ تجارية لهم وقد ساعد ذلك ان يقوم الفنيقيون بانشاء امبراطورية تجارية لهم فى شرق البحر المتوسط . ومنذ عصر الدولة القديمة اخذ المصريون يسعون للسيطرة على هذه الامارات ولاسيما منذ عصر احمس الاول حتى تمت السيطرة التامة فى عهد تحتمس الثالث ولقد كانت فلسطين ومدائن الساحل الفنيقى وقراه مغمورة بقبائل اخرى سامية من بينها الكنعانيون الذين كانوا يتكلمون بلغة قريبة من لغة الفنيقين واشتقت اللغة الفنيقية من اللغة الكنعانية ، والغالب ان الهكسوس قد جاءوا الى فلسطين أو الفنيقين ومن ثم انتشرت منازل الارامين فى الداخل حتى وادى العاصى ممتدة الى دمشق .

وكما سبق القول فإن فترة الإضطراب التى سادت مصر وتولى فيها امراء من الكنعانين والبابلين حكم بعض مناطق من مصر لاسيما فى الدلتا حتى مصر

الوسطى لم تزول هذه السيادة إلا فى عهد بداية الاسرة العشرين بتولى رمسيس الثالث حكم مصر (١٢٠٠-١١٦٩ق.م) احدى وثلاثين عام فقد كان آخر الملوك العظام وقد عمل على إعادة وحدة كنعان التى كانت تضم كنعان وفنيقيا وشيلاج (كنعان) زاهى فنيقيا . مع مصر وفى ورقة البردى المعروفة باسم بردية (هاريس) اشارة الى معبد اقيم فى احدى مدن فنيقيا زاهى وفى ارض كنعان حيث استقرت قبيلة بوليستون Pulestiu فى ارض شيلاح وفى المناطق الساحلية كغزه وعسقلان وسميت منذ ذلك الوقت باسم Philistia فليستيا التى جاء منها اسم فلسطين .

وفى القرون التالية زاد نشاط المدن البحرية فى شرق البحر المتوسط وجبيل - صيدا - صور - بيروت ، أما فى جنوب سوريا فكانت المنطقة الساحلية فى ايدى الفلسطينين اى ابناء قبيلة فيلستيا الذين استقروا نهائياً فى خمسة مدن اهمها غزه وعسقلان على الشاطئ واشدود فى الداخل وكان الكنعانيون والفنيقيون والعاموريون العرب لازالوا يحكمون فى تلك الارض العربية كما ان الفلسطينين تقدموا حوالى ١١٠٠ق.م الى شواطئ الاردن واخضعوا الشعوب البدوية الرعاة لسلطانهم .

وكان العام الثامن من حكم سيتى الاول ١٣١٩ق.م قد شهد ضمه قلاع كنعان وموانئ شرق البحر المتوسط واعادها الى النفوذ المصرى ولكى تكون قواعد بحرية تمكنه من ضم سوريا (لوتانو العليا) وبذلك اصبحت لبنان مرة اخرى جزء من الدولة المصرية وانطوت مرة اخرى فلسطين وشواطئ فنيقيا تحت السيادة المصرية . وكانت السيادة المصرية قد فرضت على فنيقيا قبل ذلك بوقت طويل أو نجد بيبى الاول من ملوك الاسرة السادسة حوالى عام ٢٧٠٠ق.م اى قبل سيتى الأول بسبعمائة عام قد بدأ الضغط على اطراف الهلال الخصيب فتحرك نحو ارض كنعان وفلسطين ولكن نفوذ العامورين البابلين امتد الى كنعان ومنطقة دمشق .

وفى القرون التالية زاد نشاط المدن البحرية فى شرق البحر المتوسط وشمل النشاط كل موانئ ذلك البحر وانتقلت البضائع من منتجات الفنيقين الصناعية فى صور وصيدا وبيروت وجبيل وانتقل مركز القوة فى الشرق العربى من مصر الى بلاد الفنيقين الذين هم عرب ساميون كما سبق القول هاجروا من الخليج العربى جنوب شرق الجزيرة الى شمالها الغربى .

وقد ارتبطت المدن الفنيقية بعلاقات قوية مع مصر لاسيما فى ظل الاسرة الثامنة عشرة مؤسسه الدولة الحديثة ومن ذلك نرى كيف ان امير جبيل (بيلوصى) اهم المدن الفنيقية يرسل الى الفرعون (امنحتب الثالث) خطاباً من محفوظات تل العمارنه يلح فيه على الفرعون ان يحضر بنفسه ليضع حداً للهجوم الذى قام به (عبد اشرنا) الامير الاموزى الفلسطينى يقول فيه انه منذ غادر والدك (امنحتب الثانى) صيدا منذ هذه الايام والبلاد قد انضمت الى البدو (جاز) .

ومن ذلك نعلم ان آخر فرعون قام بحروب فى سوريا هو تحتمس الرابع وقد توسع النفوذ المصرى ليشمل بلاد (سنجار، نهرين ، الخيتا ، قادش ، قونب ، أوجاريت ، كفيتو ، قرقميش ، اشور ، ارباخيتس) ويؤكد لنا ذلك ما جاء فى خطابات تل العمارنه اذ يروى لنا ريبادى (رب هداد) صاحب بيلوصى انه قد ارسل خطاباً مخاطباً فيه الفرعون ويرجو ارسال جنود لنجدته من النوبين يطالب بارسال ٣٠٠ محارب وثلاثين عربه ومعهم مائة من المازوى من اهالى كوش (الحبشيه) يضاف الى هؤلاء الجنود الذين كان يرسلهم الفرعون والجنود الذين كان يختارهم امراء المدن من القبائل السامية ومن الرماة ذلك للدفاع عن المدينة ضد خطر قبائل الامورين وتحدثنا نقوش رئيس الخزانه (سن نفر) كيف ان الفرعون ارسل الجنود عن طريق البحر الى بيلوصى لقطع اخشاب الارز من لبنان وكانت مصر فى حاجة اليها وقد كانت تلك البعوث ترسل من وقت لآخر بدون انقطاع ولا نزاع فى ان

تجارة بلاد فنيقيا البحرية وصناعاتها قد نمت فى ظل الحكم الفرعونى فى خلال هذه الفترة التى سيطرت فيها الدولة المصرية على تلك الجهات ونشاهد على مقبرة (نب امون) عمدة طيبه منظر اسطول فنيقى تجارى قد وصل الى مصر ونزلت منه البضائع وقد تسلمها الموظفون المصريون ويدل وجود اولئك التجار وملابسهم على انهم كانوا من الفنيقين وكان لباسهم يدل على ما كان يلبسه عظماء سوريا والبضائع التى كانوا يحملونها الى مصر من بلاد فنيقيا وبخاصة جبيل وصور (للاستزاده عن هذا الموضوع . انظر سليم حسن - مصر القديمة جـ٥ ص٣٥٨ وما بعدها) .

ويقول (چورچى زيدان) فى كتابه العرب قبل الاسلام نقلاً عن المؤرخ اليونانى "هيردوتس" ان المؤرخين يقصدون بالعرب على عهد الفراعنة والاشورين والفنيقين اهل البادية فى القسم الشمالى من جزيرة العرب وشرقى النيل فى البقعة الممتدة من الفرات شرقاً الى النيل غرباً وفى دراسة للهكسوس الذين جاء ذكرهم فى فتوحات الفراعنة ليبين انهم البدو وان هؤلاء هم الملوك الرعاة (الشاسو) الذين سيطروا على مصر وكونوا فيها ملكاً استمر (١٧٨٠-١٥٨٠ق.م) عندما قام بطل الاستقلال (احمس الاول ١٥٨٠-١٥٥٨ق.م) وهو الذى طارد الهكسوس الى شرق الارض وقد سار نحو منازل الفلسطينين وفتح عسقلان وغزه ثم اخضع فريقاً من امراء كنعان وملوكهم بل انه اخضع فلسطين كلها واستولى على ٤٦ مدينة من مدن كنعان وفرض عليهم الجزية كما انه اسر العديد من الامراء والحكام فى كنعان . وكان الشاسو يرحلون بين فلسطين وبين شبه جزيرة سيناء وما ورائها ايضاً وربما اتصلوا باخوانهم بدو العراق لأنهم من اصل واحد كما انهم نزلوا ديار وبئر سبع واستوطنوها مدة قبل غزو مصر (الهكسوس) .

وتوجد فى رسائل تل العمارنه اشارة عابرة عن زيارة قام بها الفرعون

امنحتب الثالث الى مدينة صيدا الفنيقية وتدل هذه الزيارة على ان كل هذه المناطق ظلت فى هدوء وسكينه عدة سنين وان الثورات كانت فى بلاد سوريا تكاد تكون معدومة عند تولى امنحتب الثالث العرش . ولقد كانت صيدا فى عهد الاشورين سيدة تجارة اقليم شرق البحر الابيض المتوسط وكانت تخضع لسلطان اشوريا نيبال وكانت الاساطيل الفنيقية فى ذلك الوقت تحت سيطرة الاشورين الذين احتلوا مصر قبل ان يخضعوا صيدا لنفوذهم وشهد عصر امنحتب الثالث عدة ثورات فى فلسطين وفنيقيا فلم تكن الحال في فلسطين وفنيقيا واقليم نهر الارنب (العاصى) تدعوا الى الارتياح فقد كانت الثورات منتشرة ولذلك كانت الشكاوى تنهال على الفراعنة من تعسف بعض الامراء وقيام الثورات وطلبهم المعونة من الفرعون لحماية المدن وارسال الحاميات وكذلك الشئون الخارجية وحماية القوافل التى كانت تسافر الى بلاد متنى أو بابل وحماية الطريق وتأمين سلامتها ولا ادل على ذلك الحال من الشكوى التى ارسلها (بورنا بورياشى) ملك بابل الى امنحتب الرابع لتعرض قوافل بلاده للسلب من امراء اساتاننا وامير عكا وأحد الامراء المجاورين له فى اقليم الجليل وتجار بلاد بابل للسلب والنهب وكان هؤلاء الامراء يبعثون برسائل الولاء للفرعون .

أما فى شمال فلسطين فقد حاولت تلك الاقاليم الخروج على طاعة الفرعون حيث خرجت هذه الاقاليم بثورة الخيبرو الذين استولوا على اقليم (شكيم Sick-im) واستولوا على غزه الواقعة فى سهل الساحل وكان هناك صراعاً قوياً يدور على ارض فلسطين بين اصحاب البلد الحقيقين الكنعانين وقبائل الخبيرو وبعد ان تدخل الجيش المصرى فى قمع الثورات فى فلسطين ارسل الفرعون القائد (خانى) إلى الاقاليم الشمالية فنيقيا وما جاورها شمالاً لإعادة النظام والامن بعد ان اختل فيها وكان القائمون على الأمور فى اه ʼرات فنيقيا يقبضون على الامور بيد قوية

اكثـر من اولئك الذين كـانوا فى فلسطين ولذلك كـانت مـهـمـة (خـانى) فى امـارات فنيقيا تنفيذ اوامر الفرعون بالطرق السلمية وبذلك لم تكن فى هذه الجهات الاقوات صغيرة من الجيش المصرى وذلك لأنه فى نهاية حكم (اخناتون) كانت السيادة المصرية قد تفككت وكان القوم فى فلسطين قد خرجوا على الحكم المصرى وكان احد الامراء الفنيقين (ازيرو) امير (سمير) قد قام بالاستيلاء على بيلوصى (جبيل) فـقـد ارسل هذا الامـيـر الفنيـقى خطاباً الى الفـرعـون اوضح فـيـه ان ذلك لايضـر الفرعـون وليس فـيـه خـسـارة تلحق بالسـيـادة المصرية وخـضـع لمصـر لأنه كـان فى حاجـة لمساعدة الجيش المصرى إذا هاجمه ملك خيتا ، لكن الفرعـون (اخناتون) ارسل مع رسوله (خـانى) قائمة باسماء الامراء المنشقين الذين يجب عليهم ان يأتو الى مـصـر مكبلين فى السـلاسل والاغـلال وحـضـر (ازيرو) ملك بلاد الامـورين الى مصر واستقبل استقبالاً حسناً وعاد الى بلاده أملاً فى صد زحف ملك (خيتا) عن بلاده ، لكن الكنعـانين طلبوا من ملك خينا يد المساعدة لمناهضة النفوذ المصرى لكن ملك بابل لم يكن فى حـالة تمكنه من مـهـاجـمـة الاشورين فى تلك الفتـرة ، لكن الحـاميـات المصرية التى بقيت فى يد المصـريين اثر قيام ملك خيتا بالهجوم على سوريا الشمالية كانت قوات خفيفة ولذلك نزعت الامارات الفنيقية الواحدة تلو الاخرى من يد المصريين وكان (ازيرو) قد قدم فروض الطاعة والولاء لملك خينا اثر عودته من مصر وكان ملك خيتـا قد سيطر على كل ارض الامـورين وان (شـوبيلو لبـومـا) ملك خيتا قـد استولى من جديد فى مدة عام على كل اراضى نهر الفرات حتى لبنان هذا فى ميدان الحرب أما فى ميدان السياسة وبعد النظر فى المحافظة على هذه الامبراطورية المترامية الاطراف فإن قيد هذه الامارات الفنيقية والكنعانية والامورية فى تلك الجهات بمعاهدات عقدها مع بلاد امور وكانت شروطها ان تهب هذه الامارات فى وجه أية ثورة ضد مملكة خيتا . وكان على ملك خيتا ان يمد يده

لمساعدة هذه الامارات إذا اعلنت عليها الحرب وفى خلال تلك الفترة فى الايام الأخيرة من حكم (اخناتون) لانعلم الى اى مدى مدت مصر سلطانها ثانية فى بلاد ساحل فنيقيا على كل الامارات فقد ظلت بيلوحى فى قبضة (ازيرو) الذى زار مصر في عهد اخناتون ولانعلم كذلك إذا كان هذا الامير قد اخضع صيدا ثانية اما صور فقد اراد المحافظة عليها ومن المحتمل كذلك بيروت ايضاً وخلافاً لذلك كانت الاراضى الواقعة بين سلسلتى جبال لبنان تدين لسلطان ازيرو حاكم (سميرا) وقد حاول ان يضم إليه قادش . وتعد الرسالة التى وصلت الى مصر معلنة خبر الغزو الذى قام به جيش ملك خيتا فى هذه الامارات الفنيقية التى كانت تخضع لنفوذ مصر آخر خطاب وصل الى تل العمارنة عاصمة اخناتون وقد لخص لنا (توت عنخ امون) الذى ولى الحكم بعد اخيه اخناتون نتائج حكم اخيه فى آسيا فى المنشور الذى اصدره عندما تولى حكم مصر فى الكلمات التالية (**وعندما ارسلت الجنود الى بلاد فنيقيا لأجل مد حدود البلاد المصرية لم يكن فى استطاعتهم الوصول الى النتيجة**) وعلى أية حال فإنه على اثر مهاجمة ملك خيتا للأملاك المصرية فى فنيقيا تحرجت الاحوال فى مصر مما قلب سياستها فى الداخل والخارج رأساً على عقب . ولاشك فى ان تجارة بلاد (فنيقيا) البحرية وصناعاتها قد نمت وترعرعت فى ظل الحكم الفرعونى فى خلال تلك الفترة التى بلغت فيها الدولة المصرية شأناً عظيماً من السيطرة على تلك الجهات وذلك طبقاً لما جاء فى رسائل تل العمارنه التى يقرب نصفها قد كتب فى عهد امنحتب الثالث أو ان نصفها قد ارسله الولاة الذين كانوا تحت حكم الفرعون فى سوريا وفلسطين وكانت الخطابات التى ترد من فلسطين محددة التاريخ وقد كانت جبيل ذات مكانة بالنسبة لاملاك مصر فى آسيا وان اميرها وامير صور ارسلا فى طلب المعونة والنجدة من فرعون مصر وقام امير جبيل باللجوء الى ملك صيدا لمساعدته .

ولاشك ان رابطة الصداقة بين مصر وملك متنى قد اثرت تأثيراً فعالاً فى سير الحوادث بالنسبة لمصر فى تلك الفترة من الحوادث الجسام لاسيما ان ملك متنى قد نقض ميثاق السلام مع الامارات الفنيقية وارسل حملة الى سوريا الشمالية استولت عليها وقلصت الوجود المصرى وكانت قد اقيمت الحصون العديدة لتأمين السيادة المصرية فى فلسطين وبخاصة بيت شان (بيسان) التى بقيت حائلاً عند سهل (جزيل) فى شرق الاردن وفى هذه البقعة نجد بقايا معبد من عهد تحتمس الثالث وامنحتب الثالث كما نجد حصوناً فى بلاد لبنان وبخاصة عند مدخل نهر الكلب فى جنوبى عرقه الواقعة شمال ميناء (سميرا) لحماية الطرق الرئيسية المتجهة نحو الشمال وكان الفرعون يستولى على جزية معلومة مما تنتجه فلسطين أو رنتو وبلاد فنيقيا (زاهى) سنوياً ولم يستثنى من ذلك إلا البلاد التى اعطاها الفرعون هبة للآله (امون) فى فلسطين .

على ان تدخل الجيش المصرى فى الإمارات الفنيقية لم يأت بنتيجة حاسمة بعد ان قوى نفوذ خيتا وقد اصبح كل الاقليم الواقع بين ببلوحى حتى (اوجاريت) رأس الشمرة موحداً ضد هذا النفوذ فى حين ان الحاكم المصرى لم يكن يبدى ادنى اهتمام وذهبت التوسلات فى طلب النجدة من مصر ادراج الرياح وخضعت البلاد فى اواخر عهد اخناتون لنفوذ خيتا .

لكن النفوذ المصرى كان قد بسط على اوجاريت (رأس شمرا) فى عهد تحتمس الثالث وكما جاء فى نص معبد الكرنك ان بعض السورين الذين كانوا فى مدينة اوجاريت قد عملوا على طرد الحامية المصرية فما كان من تحتمس الثالث إلا ان استولى على هذه المدينة واصبحت ملكاً خاصاً لمصر .

بل ان بعض المصادر تذكر ان احمس الاول قد استولى على زاهى وزاهى هذه تعرف عند المؤرخين بأنها بلاد فنيقيا وكذلك ارض (الفنخو) التى ربما تقع

شمال شاروهن وكان احمس الاول بعد طرد الهكسوس قد سار بجيشه حتى بلاد زاهى ، فنيقيا واحرز العديد من الانتصارات .

ولقد كانت اراضى (الفنخو) بلاد فنيقيا وسوريا لاتخرج عن طاعة الفرعون المصرى فى معظم فترات التاريخ القديم بحيث لم يكن سقوط (شاروهن) فى ايدى المصريين إلا بوضع حامية مصرية فى هذه البلد بعد ان اصبح وضع المصريين يهدد بعصيان واسع النطاق فى سوريا حيث كانت زاهى (فنيقيا) معرضة لاخطار غزو من الدول المجاورة .

وكما ورد فى خطابات (تل العمارنه) فإن قوم العمورين أو الامورين كانوا يسكنون بلاد فلسطين . وكذلك فيما وراء نهر الاردن وان امور كانت ستعمل طوال التاريخ للدلالة على أهمية هضبة سوريا الصحراوية وكان يختلف امتدادها عندما يتحدث عنها بوصفها وحدة سياسية (العمورين) خلال الالف الثانية (٢٠٠٠ق.م) فقد كانت حدودها احياناً تنحصر فى الاقليم الجبلى المعروف الآن بجبل الدروز واحياناً كانت تشمل اراضى على ساحل البحر الابيض المتوسط حتى (حث) وفى رسائل تل العمارنه كانت بلاد العمورين بلاداً معروفة وميناؤها هو (سميره) وهى اهم مدنها وكان لها حاكمها العربى الامير (عيدى اشرنا) وكان يعترف بالخضوع والطاعة لفرعون مصر غير انه فى عهد اخناتون الذى كان منهمكاً فى اصلاحه الدينى كان يخضع لنفوذ ملك خيتا ، وكان اول ذكر لبلاد امور أو العمورين فى نقوش سيتى الاول اى بعد عهد اخناتون بنحو نصف قرن تقريباً فعلى الجدار الشمالى لمعبد الكرنك نجد العبارة المختصرة القائلة ان الفرعون قد سار نحو قادش وبلاد امور وقد عثر على معاهدتين فى سجلات (بوغاز كوى) تقص علينا معاملات ملوك (خيتا) لامراء (امور) فى تلك الفترة (Meyet) اما فى متون موقعة قادش فقد ذكرت بلاد امور ولكن لم تكن ضمن الحلف مع امير خيتا ولابد

انها كانت مواليه لمصر أو على الحياد ونلاحظ فى عهد رمسيس وهو يستعرض قواته فى جنوب لبنان وهى القوة التى وصلت الى ارض معركة قادش وقد كتب فوق الصورة عبارة وصول جنود الفرعون إلى ارض امور (العمورين العرب ابناء عمومة الفنيقين والكنعانين) .

ويبدو أن بلاد (خيتا) قد اخضعت بلاد العمورين بعد عدة سنين من معركة قادش لذا نجد رمسيس فى السنة الثانية من حكمه يحاصر بلدة (دابور) وهى احدى بلاد العمورين وتقع فى اقليم حلب ويستولى عليها وتدفع الجزية لمصر .

وهكذا نرى كيف ان رمسيس كان فى السنة الخامسة من حكمه فى اراضى زاهى أو جبال زاهى التى هى فنيقيا كما سبق القول فى حملته الثانية المظفرة اما عن قادش الذى دارت فيها او حولها المعركة فهى بلدة على (نهر العاصى) وهى المكان الان (تل بنى مند) الواقع على الشاطئ الايسر لهذا النهر على مسافة بضعة كيلو مترات جنوب بحيرة جمص وكانت هذه البحيرة تسمى بحيرة (قدى) وقد عثر فى موقع قادش على لوحة للملك (سيتى الاول) وفى عهد تحتمس الثالث كتب على جدران معبد الكرنك لفظ (كدشو) وقد حفظ الكتاب المقدس لفظ (قادش) فى خطابات تل العمارنه وكانت تسمى بلدة (كنزا أو كنشى أو كينثا أو اجيزا) ويحتمل فى رأى ماير Ed Meyer اى قدشى اى مقدس وفى التوراة يلاحظ ان قدشى هى قادش وهى مكانين فى جنوب فلسطين وان قادش على نهر الارنب وانها ربما تكون قد اختفت فى عهد تحتمس الثالث وقد ذكرت فى عهد الفرعون شيشنق (تيراهراقا) وترجع اهمية هذه البلدة من الوجهه الاستراتيجيه والسياسية لموقعها الهام فى النهاية الشمالية لاقليم البقاع وهو الاقليم الذى يقع بين لبنان والاقليم المقابل له وقد كان لزاماً على الجيوش التى تمر شمالاً أو جنوباً ان تمر به اللهم إلا إذا كانت تفضل السير على الساحل الضيق بطريق اروادا (رأس الشمره).

وفى عهد تحتمس الثالث عرفنا ان امير قادش جمع كل الامراء الذين كانوا حوله فى الامارات المجاورة ليصد تقدم الفرعون المصرى ولكن غرض الفرعون كان بلاد ما بين النهرين ولاجل ان يصل كان لابد ان يغزو اقليم قادش على نهر الارنب وقد ابدى بعض المؤرخين ملاحظة ان قادش الواقعة فى شمال فلسطين ولازالت تحمل هذا الاسم وتقع على مسافة سبعة كيلو مترات من الشمال الغربى لبحيرة حله والواقع ان الخطأ جاء عن طريق ذكر كلمة مقدشو قبل مكش ومجدو Magiddo وفى قائمة الاقوام الشمالية التى تغلب عليهم تحتمس الثالث فى اول معركة له وان الفرعون قد اسر ثلاثين وثلثمائة اسير بين حلفاء قادش وانهم كانوا محصورين فى مجدو مدة سبعة اشهر التى دام بها الحصار .

وبذلك نرى كيف ان زاهى فنيقيا بجميع مدنها الساحلية والداخلية كانت على صلة طيبة وقوية مع مصر من باب المصالح المشتركة والتعاون وليس بسط النفوذ أو السيطرة ولكن علاقة حسن الجوار والتبادل التجارى والوقوف ضد العدو المشترك القادم من الشمال حيث الحثيين أو الشرق حيث بلاد خيتا ومتنى وان مصر وكنعان وزاهى كانت فى معظم فترات التاريخ وحدة سياسية واحدة .

ولذلك كان الحديث عن الفنيقين وحضارتهم باعتبار انهم جزء من الكنعانين هاجروا واستوطنوا الساحل الشمالى الكنعانى ولاسيما ان العديد من المؤرخين والباحثين اعتبروا الفنيقين جزء من الكنعانين وان من ابناء كنعان (صيدى) صيدا لكن اثرت ان يكون الحديث منصب فقط على الكنعانين سكان فلسطين المعروفة بحدودها السياسية الحديثة وان كان بعض الاثرين قد استندوا الى كشوف اثرية حديثة اثبتت ان حضارة كنعان كانت تمتد من غزه جنوباً الى رأس شمرا شمالاً (اوغاريت القديمة) وان اللغة والحضارة والديانة كانت واحدة فى هذه البقاع ولم يكن اختلاف اللغة إلا من قبل اختلاف اللهجات وقد تحدثت نفس المراجع عن

كشوف (تل الحريرى) عند وادى الفرات الاوسط حيث وجدت نقوش على الجدران وبقايا فنية اخرى وعشرات من اللوحات وكلها باللغة الآكاديه التى تأثرت احياناً باللغة الكنعانية والعامورية وهى لغة الكلام فى فلسطين والتى وردت فى الحفريات المصرية التى ترجع الى القرنين التاسع عشر والعشرين قبل الميلاد وبذلك فإن الحديث المختصر والموجز عن الفنيقين فى هذه الدراسة يعطى صورة واضحة عن الصلة القوية التى كانت تربط الكنعانين الفلسطينين باخوانهم سكان الساحل الشمالى من فلسطين حيث امارات صيدا ، صور جبيل ، بيروت وغيرها من المدن الفنيقية التى لعبت دوراً هاماً فى العلاقات الوثيقة التى ربطتها مع شعب كنعان والذى من خلال هذه الدراسة نرى كيف ان شعب الامارات الفنيقية لم يكن شعباً محارباً ولكن كان شعباً بحرياً تجارياً ابدع حضارة وثقافة واقتصاد وكان هو صلة الربط القوية مع الكنعانين الذين تدور هذه الدراسة حولهم باعتبارهم انهم اول الشعوب العربية السامية التى وطنت فلسطين (كنعانين) منذ حوالى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد وكيف ان الهجرة السامية الفلسطينية القادمة من الشمال عبر سوريا كانت اضافة عربية سامية للهجرة السابقة فى الالف الرابعة قبل الميلاد ، وان هذه الدراسة من خلال فصولها السبع يدرك القارئ تمام الإدراك ان عروبة فلسطين منذ ان سار اول انسان عربى على ارضها تتعارض تمام التعارض مع كل ادعاء باطل كاذب بأن يهود فلسطين المحتلة لهم ادنى صلة بالكنعانين وانهم دخلاء فى الماضى البعيد والحاضر (مع ملاحظة ان يهود اليوم سلالة منغولية قوقازيه آريه قادمة من سهوب آسيا الوسطى "الخزر") راجع كتابنا شعوب اسرائيل وخرافة الانتساب للسامية .

الخاتمة

ان الذى يطالع هذه الدراسة على مهل بفصولها السبع يدرك تمام الإدراك كيف ان فلسطين الارض التى يدور حولها الصراع بين اصحابها الاصليين الفلسطينين الكنعانين الذين سكنوا هذه الديار منذ اربعة الاف عام قبل الميلاد وبين الشعوب الإسرائيلية الغازية التى جاءت من اكثر من تسعين دولة ومن شتى انحاء العالم يدرك ايضاً ان فلسطين عربية كنعانية فنيقية سامية منذ قديم الزمن وان فلسطين القديمة منذ عصر ما قبل التاريخ هى عربية جنساً وسلالة وانثربولوچيا وشعباً وحضارة وتاريخ وآثار وعادات وتقاليد وان غير ذلك هو تزييف للتاريخ ومحاولة اختلاق الاوهام الاسطورية لمحو عروبة هذه الديار .

كذلك فإن الذى يلقى نظرة عميقه خلال هذه الفصول يرى كيف ان هذه الدراسة سوف تشبع رغبات كل القراء الذين يريدون ان يلموا بالتاريخ الفلسطينى القديم الذى لم تلقى عليه الاضواء بصورة علمية اكاديمية لكى نضع الرؤى الصحيحة امام حقائق التاريخ والآثار والانثربولوچيا . وكيف انه حدثت هجرات عربية انطلقت من شبه الجزيرة العربية منذ اربعة الاف عام لتسكن الاقاليم من جنوب شرق البحر الابيض المتوسط من النيل غرباً الى بلاد النهرين شرقاً وكيف انه فى الالف الرابعة قبل الميلاد كانت تقوم فيما بين النهرين دول (سومر ، اكاد ، عيلام) ومنها تسربت بعض العناصر الآسيوية الى كنعان (فلسطين) وامتزجت مع الكنعانين وانه منذ العصر الحجرى الحديث كانت هناك علاقات متبادلة بين فلسطين ومصر وفى الآثار المصرية لم تبدأ معرفة اهل فلسطين إلا منذ اواخر الالف الرابع قبل الميلاد ومنذ ذلك التاريخ تعود عروبة فلسطين التى كانت موطن القبائل العربية حيث دفع البدو الرحل قطعان ماشيتهم نحو فلسطين لكى يستقروا

فى تلك المناطق فظهروا اول الامر جنوب العراق برفقة الكنعانين وكيف ان المنطقة التى تم فيها تكوين فلسطين وسوريا والجزيرة العربية ومصر وبلاد ما بين النهرين تجمع بينهم العديد من عوامل الوحدة السلاليه والعرقيه والانثربولوچيه والجنسيه وكل روابط الدم حيث اصبحت تلك المناطق سكناً لاهالى الشرق القديم العربى السامى ووسط كل ذلك كان الشعب العربى الفلسطينى .

ومن ثم يتضح لنا كيف ان اول انسان تحرك على ارض فلسطين كان عربياً منذ خمسة الاف عام قبل الميلاد حيث العصر البرونزى واستقر فى فلسطين منذ عصور ما قبل التاريخ بل منذ العصر الحجرى القديم وربما اوائل العصر الحجرى الحديث كان انساناً عربياً كنعانياً يبوسيا ثم فنيقياً آرامياً قادماً فى حركة الهجرة الواسعة التى تخرج من الجزيرة العربية وتشكل هجرات أو موجات متعاقبة فكانت الهجرة الى فلسطين وما جاورها شمالاً وجنوباً بل شرقاً وصبغوا تلك الانحاء بالصبغة العربية السامية منذ الازمنة القديمة .

وانه إذا توقفنا عند نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد وجدنا العرب الساميين قد ظهروا فى شمال كلديا قادمين من الغرب وفى نفس الوقت تحركت هجرات الى فلسطين (كنعان) وربما قدموا من اطراف شبه الجزيرة العربية أو من بلاد العرب العمورين الذين سكنوا بلاد الشام أو المناطق الملاصقة للهلال الخصيب ولقد كان وصول الكلدانين الى البحر الابيض المتوسط والاختلاط بالكنعانين فى فلسطين والعامورين المجاورين لهم سبباً فى انشاء صلات مباشرة مع مصر وبذلك امتد ملك البابلين والعامورين الى بلاد كنعان فى فلسطين ومنطقة دمشق وآكاد وسومر وعيلام ولاشك ان شاطئ سوريا الشمالى فى ذلك الوقت كان تحت حكم العامورين وجنوبهم كان يقيم الفنيقين الذين هم جزء من الكنعانين . وقد ظلت كنعان فى قلب الاحداث طوال هذه العصور منذ الالف الرابع قبل الميلاد انطلاقاً لممارسة دورها

لاسيما بعد ان كانت البضائع من منتجات الفنيقين الصناعية فى صور وصيدا وبيروت وجبيل حيث انتقل مركز الثقل والقوة من الشرق العربى الى قوة عربية فى شمال فلسطين حيث الفنيقيون الذين هاجروا مع اخوانهم الكنعانين ولعبت دوراً هاماً فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ومارست نشاطها الثقافي والحضارى وشاركت الآراميين والعمورين والكنعانين فى الحياة السياسية لكن دورهم الثقافى والحضارى فى منطقة شرق البحر المتوسط كان قوياً وقد أدى ذلك الى قيام علاقات مباشرة بينهم وبين المصريين الذين كانوا يترددون على ميناء جبيل وغيره من موانئ فلسطين وسوريا وكانت تلك الصلات التجارية مع جيرانها الساميين ضرورة ملحه نظراً لحاجة مصر لمنتجات هذه الاقطار .

ومن الثابت ان جميع شعوب الشرق القديم كانت على صلة ببعضها البعض وكانت التجارة قد عرفت طريقها بين هذه الشعوب كما اخذت الهجرات تتوالى بين بعضها البعض حيث شكلت هذه الهجرات الواسعة الكثيرة العدد اضافة جديدة للدم العربى السامى الذى استقر فى فلسطين وغيرها من بلاد الشرق القديم حيث شكل الشعب الكنعانى الفرشه الواسعة فى الكيان الوطنى لكنعان قبل قدوم الفلسطينين باكثر من الفى عام .

والكنعانيون من اصل الساميين يمتون للسامية بصلات عرقيه ولغويه وغيرها من الروابط الاخرى وكانوا قد استقروا فى فلسطين واقاموا بها حضارة راقيه ، كذلك فإن جزء من الكنعانين كانوا قد هاجروا الى الساحل الشمالى اللبنانى حيث عرفوا بالفنيقين وبذلك فإن الفنيقين قد نشأوا على ارض فلسطين أولاً ثم رحلوا شمالاً ومعنى ارض كنعان هى الارض المنخفضة التى سكن فيها الى جانب الكنعانين قبائل عربية سامية اخرى قدمت من الجزيرة العربية وسكن اليبوسيون والفلسطينيون والذين تفرعوا من الكنعانين فى فلسطين والذين انتشروا على

سواحل البحر الابيض المتوسط وفى الداخل واستقروا على سواحل ارض كنعان وبعد ان سكن الكنعانيون فى فلسطين قرابة ثلاثة الاف عام تعرضت البلاد لهجرات عربية سامية من العمورين والارامين وكانت هذه القبائل العربية عندما قدمت الى فلسطين قد وجدت الشعوب الكنعانية قد كونت لها حضارات متقدمة فى مختلف المجالات .

وهكذا فإن هذه البلاد (كنعان) كما يعرفها التاريخ كانت آهله بالكنعانين وكانت تدعى ارض كنعان وكيف ان هذه الشعوب لها حضارة حيث اوجدت الابجدية فى اللغة الكنعانية والفنيقية وهى التى علمت البشرية الكتابة والقراءة وان اقدم ابجدية لغوية فى التاريخ اكشتفت فى اوجاريت (رأس شمرا) ومثلما تأثرت فلسطين طويلاً بالحضارة الكنعانية تفاعلت ايضاً مع الحضارة الفرعونية المصرية فأرض كنعان بحكم موقعها الجغرافى الهام شكلت معبراً استراتيجياً للامبراطوريات الكبرى فى ذلك الوقت .

وقد تعرض الكنعانيون في فلسطين للزحف من القبائل العربية السامية وكان اهمها القبائل الفالستيه الذين سكنوا الساحل واقاموا العديد من المدن (خمس مدن) منها غزه وعسقلان واشدود فى الداخل واستطاعوا الاختلاط بمن سبقهم من السامين لكنهم فشلوا فى فرض سلطانهم على السكان الوطنين الكنعانين الذين كانوا يعيشون فى مدنهم المسوره .

وقد انتقل بعض الكنعانين منذ القدم الى مصر وذابوا في المجتمع المصرى فى المدن والعاصيمة والقرى مشكلين تيارات هجرة بشرية وكان العنصر الكنعانى يضفى طابعه فى اثناء تلك الاضطرابات التى كانت تسود مصر بعد سقوط الدولة القديمة وما بينها وبين الدولة الوسطى وما بين الدولة الوسطى والدولة الحديثة الى الحد الذى وصل فيه احد الامراء الكنعانين الى حكم مصر ، كما تمكن بعض

البابلين من بناء مدينة على مقربة من مدينة منف أو منفيس العاصمة مدينة اسموها بابل لكن النفوذ الكنعاني والبابلي انتهى من بداية عهد حكم رمسيس الثالث (١٢٠٠-١١٦٩ق.م) . وقد كان الكنعانيون يؤلفون في الشام (جنوب البلاد) فلسطين معظم السكان عندما جاءت هجرة من بلاد الرافدين وكان الاموريون (العموريون) يسكنون الاراضي المرتفعة وكان هؤلاء ومن شاركهم من القبائل السامية يشكلون خليطاً من السامين وقد تكلم الجميع باللهجة الكنعانية وانتشرت الثقافة والحضارة الكنعانية في كل فلسطين وقد ظهرت العناصر الكنعانية السامية في الاراضي الواقعة الى الشمال الشرقي من شبه جزيرة سيناء على ارض فلسطين وعلى شاطئ السهل الفلسطيني الذي سمي ارض (شيلاح) Shephelah وفي منخفض الاردن وهؤلاء القوم (الفالستين) يمتون بصلة القربى والدم والسلالة الى الكنعانين والعمورين الذين انتشروا حتى وصلوا شرقاً الى كلديا . وقد خضع الكنعانيون معظم الفترات التاريخية للسيطرة المصرية ، لكن بابل واشور وخيتا وكلدانيا وآكاد قد اخضعت هذه البلاد وكان (سرجون الاكادي) قد ضم فلسطين الى املاكه وكان سبباً في ظهور الاختلاط بين هذه القبائل . وقد تفوق الفلسطينيون على السكان السابقين لهم من كنعانين واموريون وارامييون وغيرهم من الشعوب الاخرى بما لديهم من اسلحة حديديه وقد تعلم الكنعانيون منهم استعمال العربات المصنوعة من الحديد وبمرور الزمن انصهروا بالكنعانين وهضمتهم البلاد وعبدوا الآلهه الكنعانية وتثقفوا بالثقافة الكنعانية وارتبط اسم الفلسطينين بكنعان . وكان رسول كنعان قد وصل الى مصر في عهد الاسرة الثانية والعشرين بل تعود الرسل الى قبل ذلك بكثير منذ الدولة القديمة وقد اعتبر الكثير من المؤرخين الفنيقين جزء من الكنعانين وكانت فلسطين ومدن الساحل الفنيقي يسكنها الكنعانيون الذين كانوا يتكلمون اللغة الفنيقيه التي هي فرع من الكنعانية .

وكان الفنيقيون فى حوالى الالف قبل الميلاد قد استطاعوا تبسيط اللغة الهيروغليفيه وان ينشئوا ابجدية للكتابة انتشرت عالمياً والتى اصبحت تعرف باللغة الارامية وهى العربية القديمة وكان الاراميون قد اقتبسوا من الفنيقين ابجدية انتشرت بانتشار تجارتهم وغزت فيما بعد سائر اقطار الشرق القديم وقد وقعت كنعان واقاليم الشام تحت سلطان الهكسوس اثناء قيام دولتهم فلما انكسر الهكسوس على يد مصرى (احمس الاول) بعد واقعة (شاروهن) انقسمت البقاع السورية واقاليم فلسطين الى امارات صغيرة يحكم كل منها امير منهم من كان اصله يمتد الى الكنعانين أو الامورين أو الارامين أو المؤابين أو الادوميون أو الى اصول سامية اخرى ورسائل تل العمارنه اكتفت بتسمية كل هذه القبائل باسم الكنعانين وقد اتخذ الكنعانيون (اليبوسيون) مدينة يبوس (القدس) عاصمة لهم وكان الملك (ملكى صادق) هو اول ملك عربى سامى على مدينة القدس بعد ان قام الكنعانيون بانشاء العديد من المدن والحصون منها مدينة (القدس) اورشليم فى وسط كنعان وقد ورد اسمها فى رسائل تل العمارنه وكان اليبوسيون هم اقدم سكان المدينة وهم ابناء كنعان عرب سامين وقد سكنت هذه القبيلة المدينة والجبال التى حولها وهكذا منذ خمسة الاف عام كانت القبائل الكنعانية هى التى اسست واقامت مبانى عظيمة فى مدينة القدس من اكثر من ثلاثة الاف عام وسكنوا فيها وشاركهم العيش فيها الادوميون والمؤابين والعموريون والفنيقيون وغيرهم من القبائل العربية السامية القادمة من الجزيرةالعربية وظلوا يقيمون بها وظلوا عليها طوال تاريخهم الطويل وسبوا الى بابل ثم عادوا اليها وسكان القدس (يبوس) من اشهر قبائل العرب الكنعانين ومن اشهر ابناء كنعان وهم يبوس ، حث ، صيدون وقد تشاركوا جميعاً فى تأسيس هذه المدينة واتخذوها عاصمة لهم حوالى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد واتخذوا لهم آله يسموه (يهوه) وكانوا يعبدونه بالاضافة الى آلهه

اخرى صغيرة كانت تعبد فى كل المناسبات واتخذوا لكل مناسبة آله وكل ذلك كان يتم فى يبوس وبنوا لهم معابد للعبادة وقد اطلقت عدة اسماء على مدينة القدس يمكن الرجوع إليها فى صلب الدراسة (الفصل الثالث) وظل اليبوسيون ويسميهم العهد القديم (الاسماعيلين) يعيشون فى مدينتهم المقدسة وبذلك لم تنقطع صلتهم ابداً بهذه المدينة فقد كان اليبوسيون جسراً بين مدن الحضارة على الفرات والنيل والعاصى . ولقد كان سكان المدينة المقدسة لهم حضارتهم ولم يتمكن احد من انتزاعها من ايدى الكنعانين وظلت القبيلة البيوسيه تعيش فيها بعد ان فتح داود حصن صهيون (استمر الاحتلال الصهيونى ٧٣عام ١٠٠٠-٩٢٧ق.م) حكم داود وابنه سليمان فقط للمدينة وكانت المدينة لاتزال قائمة ولها اسوارها التى انشأها الكنعانيون ولها عدة ابواب ولهم فيها معبد كبير يعبدون فيه الهتهم وكانت هى العاصمة السياسية والدينية والاقتصادية والمكان الذى يتجهون إليه فى العبادة ويطلق عليه اسم (موريا) وهو يطلق على التل الصخرى وكانت اورشليم تطلق على مملكة العمورى (الامورى) أدونى صادق . وقد وجدت المدينة قبل قدوم ابراهيم عليه السلام الى كنعان باكثر من الفى عام أو ثلاثة الاف عام وكان اليبوسيون قد سيطروا منذ هذا التاريخ (٤٠٠٠ الاف عام) على التلال المرتفعة للمدينة القديمة وشيدوا على اكمتها الجنوبية جبل صهيون لاجل حمايتها والدفاع عنها ضد المغيرين من المصرين وغيرهم من القبائل بزعامة ملكهم (سالم اليبوس) الذى زاد فى بنائها واقام تحصينات وكان اول من اختطها من ملوك اليبوسين (مليكا صادق) الذى عرف عنه انه كان محباً للسلام ومن هنا جاء اسم المدينة سالم أو شالم .

وقد ظل العرب الفلسطينيون الكنعانيون اليبوسيون هم سكان فلسطين والقدس وغيرها من المدن وظلوا يـ ـيمون بها ولم يستطع داود القضاء عليهم

أو طردهم رغم كل ما لاقاه ابناء يبوس من اضطهاد فقد ظلوا سكان كنعان بل ان اوشاليم ظلت فى ايدى الكنعانين اليبوسين طوال خمسة عشر قرناً هم اصحاب السيادة السياسية الى الحد الذى دفع داود عليه السلام ان يشترى بيارة من "اروحه اليبوسى) ورغم هذا الاحتلال فإنه لم يخرج البلاد الكنعانية عن عروبتها وكانت اللغة السائدة فى البلاد هى اللغة الكنعانية الى جانب البابلية . ومن ثم فقد استمر اهل البلاد الاصلين من الكنعانين يمارسون حياتهم العادية يعيشون فى مدنهم وقراهم ومزارعهم وتشير التوراة بهذا الصدد الى القبائل العربية ومنازلها وقراها فى كنعان وانتشر اليبوسيون واخوانهم العرب الكنعانين ابناء كنعان فى كل انحاء فلسطين وقد اقام المصريون علاقات قوية مع كنعان منذ الدولة القديمة بل وفي عهد الاسرة الرابعة وفى عهد الملك بيبى الاول من ملوك الاسرة السادسة امتدت حدود الدولة المصرية شمالاً بعد كنعان لتشمل الساحل الفنيقى ولقد وجدت كثيراً من الآثار المصرية فى فلسطين وسوريا وقد خضعت كنعان لمصر منذ عهد الملك بيبى الاول وان هذه الحملة تعد الاولى الى فلسطين فى تاريخ مصر ويقال عن هجرة واسعة من الشمال الشرقى (كنعان) ومن بلاد ما بين النهرين وتقدمهم فى هجرتهم الى ان وصلوا الى حدود مصر الشرقية وقد تعمقت العلاقات بين كنعان وما جاورها من بلاد وقد عثر فى لبنان على آثار من عصر الاسرة السادسة الفرعونية وتدل هذه الآثار على تأثير الحضارة المصرية القديمة فى بلاد ساحل سوريا وذلك يدل على عمق العلاقات بين مصر وكنعان وكان المصريون يجلبون سلعاً من فنيقيا وان العلاقات التجارية بين مصر وكنعان وبلاد الساحل السورى كانت من الحقائق التى لاتقبل النقاش .

وفى عهد الدولة الوسطى نجد قصة سنوحى تعبر عن عمق العلاقة بين مصر وكنعان وكانت لوتانو العليا (سوريا) على صلات مستمرة بمصر حوالى منتصف

عصر (سنوسرت الاول) ١٩٥٠ق.م دون ان تحتل احتلالاً عسكرياً عامرة بالمصريين حيث كان بعض المصريين يقيمون في تلك البلاد للتجارة .

وفى عهد (سنوسرت الثالث) ١٩٠٦-١٨٨٨ق.م حيث سجلت مناظر احد الوفود الكنعانية على جدران قبر (حتوم حتب) حاكم اقليم الوعل (بنى حسن مركز ملوى محافظة المنيا بصعيد مصر) والذى يطالع الفصل الرابع فى هذه الدراسة يدرك عمق العلاقة وتطورها فى جميع العصور بين مصر وكنعان وفنيقيا ولوتانو العليا وداخل البلاد حتى ما بين النهرين وقد استولى احمس الاول بعد طرده الهكسوس وبعد معركة (شاروهن) وسيطر على بلاد زاهى (فنيقيا) شمالاً واثناء حكم الهكسوس لشمال مصر والدلتا ومصر الوسطى) تم جلب عمال من فلسطين وسوريا للعمل فى اعداد بناء لأحد ملوك الهكسوس فى مصر أو لاقامة مبانى ومشاريع للرى . بل ان الهكسوس قبل احتلالهم مصر كانوا قد استوطنوا بعض اجزاء من سوريا وفلسطين وهذا يعنى ان هناك اتصالاً بين ملوك الاسرة الثانية عشرة بالبلاد الآسيوية (كنعان وسوريا) .

وقد قامت وحدة سياسية بين مصر وكنعان وفنيقيا وقد وصلت هذه الوحدة الى ذروتها فى عهد امنحتب الثالث وفى بدء عهد امنحتب الرابع (اخناتون) ١٣٨٠-١٣٦٢ق.م فقد كشفت ثلاثة الواح من الطوب عثر عليها فى تل العمارنه التى كانت عاصمة امنحتب الرابع (اختاتن) اخناتون وهى ان الحكام المصريين كانوا يخاطبون امراء سوريا باللغة البابلية مكتوبة بالخط المسمارى اى ان تلك اللغة كانت هى اللغة الدبلوماسيه المتعارف عليها فى ذلك الوقت أو لجهل هؤلاء الامراء باللغة الهيروغلوفيه . ولقد بدأ منذ حكم امنحتب الثالث الذى حقق للشرق العربى وحدته نحو فكرة عبادة شكل من اشكال الشمس (اتن) . وقبلها كان ظهور المصريين فى الجنوب الغربى لآسيا (كنعان) فى عهد الفرعون احمس الاول

وتحتمس الاول مقدمة لتوطيد النفوذ المصرى فى بلاد كنعان ولكن لم يكن نفوذاً دائماً فلم نسمع عن الاستيلاء على غزه أو عسقلان أو مجدو وهى المدن التى كانت تقع فى طريق الجيوش الغازية بل كانت غارات مصرية على قبائل الساشو الذين يسكنون الصحراء وكان الجيش المصرى يقوم بحملات تأديبية فى جهات مختلفة من هذه الاقاليم السورية الشمالية ولم يقتصر ذلك على شمال فنيقيا والجزء السفلى من نهر العاصى بل امتدت هذه الحملات الى بلاد النهرين حتى وصلت الى بلدة (توتب) ولقد كانت الامبراطورية المصرية تسيطر على كنعان وجنوب فنيقيا والواقع ان ما تعلمه المصريون وشاهدوه فى آسيا وما جلبته جيوشهم من غنائم الى مصر وما تدفق من خيرات الجزية التى كانت تتدفق على مصر من اقاصى آسيا كل هذه الاشياء قد تركت اثرها العميق على الثقافة المصرية حتى انه فى عهد (توت عنخ امون) كان سلطان مصر لازال قوياً وممتداً على بعض اجزاء من آسيا وبخاصة كنعان وتم اعادة النفوذ المصرى الذى كان قد تقلص فى عهد اخناتون . وفى عهد رمسيس الثانى حدثت ثورة ضد مصر فى كنعان حيث هب امراء فلسطين بتحريض من (خيتا) زمن ثم بدأت حملته من عسقلان التى كانت فى حلف مع مدن فلسطين وكان ان سيطر رمسيس الثانى على كل هذه البلاد والمدن مما دفع ملك خيتا لابرام معاهدة مع مصر وخضعت كنعان وفنيقيا ولبنان للسيطرة المصرية وكذلك فى عهد رمسيس كانت هناك عناصر فلسطينية وكنعانية وسورية ولبنانية وغيرها من بلاد آسيا تفد على البلاد كطوائف واستوطنوا العاصمة (بر رمسيس) عاصمة الملك (قنبرا الحالية) وكانوا يعملون جنوداً مرتزقه فى الجيش المصرى وسكنوا منف وغيرها من المدن فقد انشئت احياء كاملة لهؤلاء المهاجرين من الكنعانين والفنيقين والواقع ان العلاقات المصرية الكنعانية قد ادت الى تطور الثقافة المصرية وكذلك فإن الآلهه السامية اخذ دخولهم فى زمرة الآلهه المصرية يزداد وكانت هذه الآلهه موضع تبجيل فى نفوس المصريين خاصة ان الفرعون رمسيس الثانى قد سمى احدى بناته باسم الآله (بنت عنتا)

وكذلك الآله (بعل) السامى كان معبوداً عند المصريين والآله قادش وغيره من الآله السامية التى عبدها المصريين اسوة بالآسيويين الذين كانوا يعيشون بينهم فى مدن مصر الرئيسية .

وفى عهد رمسيس الثالث تدل الآثار على أن مصر كانت مستمرة فى فرض سيطرتها على بلاد كنعان وظلت السيطرة فى عهد الملوك الذين خلفوا رمسيس الثالث فقد وجدت فى مجدو قاعدة تمثال لرمسيس السادس وفى عهد الاسرة الحادية والعشرين فى عهد الملك شيشنق كانت مملكة فلسطين وشرق الاردن لازالت تحت السيادة المصرية وفى عهد ابن شيشنق كانت مصر مع كنعان قوية ويسودها الود والصفاء حتى ساحل فنيقيا حيث وضع تمثال الملك المصرى "نخاو" فى مدينة جبيل فى معبد الآله بعلات .

وقد امتازت العلاقات المصرية الكنعانية بطابع خاص فى عهد الفرعون تحتمس الثالث مؤسس الامبراطورية المصرية فى آسيا وداعم الوحدة العربية السامية بين مصر وبقية الاجزاء الآسيوية التى شملت كنعان وفنيقيا وشمال الشام وبلاد النهرين فقد طبعت هذه المناطق بالطابع المصرى ولكن جزء ضئيلاً من هذا التأثير ينسب الى عهد الاسرة الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة وفى حقيقة الامر فإن التأثير المصرى كان قوياً فى الثقافة السورية الكنعانية والفنيقية ولكن تأثير الثقافة السورية كان قوياً على الجانب المصرى ايضاً ويدين الكنعانيون فى الجزء الاعظم من حضارتهم للمصريين الذين اختلطوا بهم وتاجروا وتجاوروا معهم ولقد تركت اللغة الكنعانية اثرها فى الادب المصرى القديم حيث وصل الى مصر شئ من الادب الفنيقى كذلك فإن الفنيقين كانوا قد عرفوا بناء المدن والاسوار العالية التى تحيط بهذه المدن وقد كشفت فى اريحا حوالى ٤٠,٠٠ اربع الف قبل الميلاد حضارة قد امتدت الى فلسطين وكانت اريحا فى القرن العشرين ٢٠٠٠ قبل الميلاد يحكمها ملوك يعترفون بسيادة مصر عليها وهكذا إذا كانت كنعان قد تأثرت بالحضارة الكنعانية الفلسطينية فإنها تفاعلت ايضاً مع الحضارة المصرية وكانت

اللغة الكنعانية لاتختلف كثيراً عن لغة الفنيقين الذين اخذوها عن الكنعانين وكذلك الارامين والعمورين ولغة المؤابين وكانت القبائل البدوية (الخبيرو) يكتبون بحروف هجائية وثيقة الصلة بالحروف الكنعانية الفنيقية بل ان الفنيقين كانوا شركاء للكنعانين فى تجارة البحر الابيض المتوسط وكذلك البحر الاحمر وكذلك تبين قطع من الخزف من بقايا عصر البرونز (٣٠٠٠ قبل الميلاد) عليها اسم آله كنعانى كان يسمى (ياة أو ياهو) ولم يكن يهوه الآله الوحيد الذى تعترف كنعان بوجوده بل الهه اخرى كثيرة ربما اخذوا شيئاً منها عن عبادات المصريين . وقد علم الكنعانين الفلسطينين الشعوب المجاورة صناعة الحديد ولم يكن احد يعرف الحديد أو استعماله قبل دخول الفلسطينين ارض كنعان وقد تفوق الفلسطينين بما لديهم من اسلحة ممتازة يتوقف صنعها على صهر الحديد . وقد شهدت كنعان بنشاط واسع فى استخراج المعادن واقامة المبانى وقام مهندسو عمارة من بلاد فنيقيه مستعملين الخشب اللبنانى فى بناء القصور الفلسطينينة الكنعانية .

وهكذا كانت القبائل الشمالية فى الساحل اللبنانى اكثر تعرضاً للتأثير الكنعانى وقد انتشر الفن الكنعانى المأخوذ من مصر وآشور وبابل وكلديا وفنيقيا لاسيما تأثير المدن الفنيقيه الى الحد الذى وصف فيه محراب المعبد فى كنعان بأنه محراب كنعانى بل ان شعائر المعبد كانت كنعانية وتدل بقايا منازلهم على فن رفيع فى البناء وكذلك فى الفنون الحربية وقد اندثرت معظم الاثار الكنعانية ولقد كانت اللغة الاوغارتيه كل حرف من حروفها هو مطلع كلمة كنعانية .

ويعترف علماء الاثار بانجازات هؤلاء الكنعانين خاصة بالنسبة للعصر البرونزى المتوسط والمتأخر وتقدمهم الحضارى وهكذا كانت حضارة الكنعانين وثقافتهم ارقى كما يعترف العديد من علماء الاثار بدور الحضارة الكنعانية التي حلت فى ارض فلسطين وسكانها فالحضارة الكنعانية هى اصل الحضارات فى فلسطين ومن ثم فإن تاريخ فلسطين يجب ان يستمد شواهده من علم الآثار والانثربولوچيا التى اساسها التاريخ والآثار والحضارة الكنعانية بحيث تبحث عن

الجذور الحضارية للتاريخ الكنعانى . ذلك لأن الكنعانين وما اتصفوا به من صلابة جعلهم يحافظون على وجودهم كما ظلوا يسمون انفسهم بالكنعانين طوال تاريخ فلسطين وانه بعد اربعة الاف عام فإن الكنعانين ظلوا يسمون انفسهم كما تسميهم اساطيرهم الفنيقية وكذلك فإن الانجازات المادية والثقافية لكنعان وما تركته من حضارة رائعة هى اختراعها الكتابة ولقد كانت كنعان وحدة ثقافية لكنها من الناحية السياسية كانت دولة مدن وهكذا لم يكن فى فلسطين دولة واحدة تحكم كل فلسطين بل عدة دول لاسيما ان الفلسطينين فشلوا فى اقامة دولة واحدة لكن الدولة كانت عبارة عن عدة مدن على الساحل وبعض الداخل وكانت هناك الكثير من المراكز الحضارية الكنعانية ولم تكن فلسطين بلداً يشجع على قيام كيانات سياسية كبيرة تاريخياً فإن المراكز السياسية كانت فى مصر الفرعونية فى الجنوب والاناضول وبلاد ما بين النهرين فى الشرق أما من الناحية الجغرافية فقد كانت كنعان حلقة الوصل بين كل هذه الامبراطوريات كذلك شهدت فلسطين ظهور العديد من المدن التى كانت تشكل وحدات سياسية مستقلة عن بعضها بعضاً (انظر صلب البحث) ولايمكن اعتبارها وحدة واحدة لأن الفوارق الجغرافية والمناخية كانت تعنى انه يجب الحديث عن فلسطينيات متعددة The many diverse palestines ولقد افتقدت فلسطين الى القاعدة السكانية والاقتصادية التى تتيح لها منافسة القوى العظمى فى العالم القديم ولقد كان لاستيطان الكنعانين فى مناطق التلال الوسطى فى العصر الحديدى الاول اهمية خاصة حيث ان هؤلاء هم سكان العصر الحجرى القديم واستمروا فى كنعان حتى اوائل العصر البرونزى الرابع The Early Bronze Age 4 People ذلك لأن نشئوا العديد من المواقع الحضارية القوية فى منطقة المرتفعات واطراف فلسطين خلال فترة الانتقال من العصر البرونزى الى العصر الحديدى يجب الربط بينها وبين شعب واحد فقط هو الشعب الكنعانى الفلسطينى فالكنعانين ادخلوا صناعة البرونز والفلسطينين ادخلوا صناعة الحديد وهذا كان تقدم رائع للبشرية فى ذلك

الوقت وهناك نقطة هامة فى هذه الدراسة هى ان دم الهكسوس قد تغلغل فى اهل كنعان سكان فلسطين وقد كانت هناك آراء تقول ان الهكسوس بطون من القبائل السامية المنتشرة فى فلسطين وفى كنعان وفى ربوع سوريا وقبل دخول الهكسوس الى مصر وردت اسمائهم على جعارين تبينت انهم كانوا قد تسللوا الى ارض كنعان وقد امتزج الهكسوس بالكنعانين والعمورين من الفرات الى برزخ السويس وكان الهكسوس قد قدموا من كنعان الى شبه جزيرة سيناء ثم الدلتا حيث اصبحوا اصحاب السيادة فى مصر السفلى والوسطي وان هجرة الهكسوس قد بدأت فى المنطقة الشرقية للبحر الابيض المتوسط (كنعان ، فنيقيا ، سوريا) حوالى بداية القرن التاسع عشر قبل الميلاد .

وبعد أن طرد احمس الاول الهكسوس من مصر فإنه سار الى زاهى بعد حصار مدينة شاروهن وسقطوها مما يعنى ان الهكسوس قد انتشروا فى كل كنعان وصولاً حتى فنيقيا وقد وطد الهكسوس اقدامهم فى كنعان وعلى هذا فإننا إذا فحصنا حركة هجرة الهكسوس فإننا نجد انهم قد استوطنوا سوريا وفلسطين قبل ان يحتلوا البلاد المصرية كذلك وجدت آثار هكسوسية لم تكن مقصورة على فلسطين ومصر وسوريا بل الساحل الشرقى للبحر الابيض المتوسط وقد كشفت الحفائر الحديثة فى بيلوصى (جبيل) عن وجود طراز من فخار الهكسوس مما يعطى دليلاً على ان الهكسوس قد وضعوا اقدامهم فى فلسطين وسوريا فى منتصف الاسرة الثانية عشرة وان الهكسوس ظلوا منذ عصر احمس حتى تحتمس الثالث وانه فى الفترة ما بين ١٦٥٠-١٤٤٥ق.م اى حوالى قرنين من الزمان كان الوجود الهكسوسى فى كنعان يمسك بزمام الامور حتى قام امنحتب الثانى باخماد الثورة التى قام بها الهكسوس فى فلسطين ولكن كانت حملة امنحتب الثانى قد كسرت العمود الفقرى للقوة الهكسوسية وان اثرهم الثقافى والسياسى والاجتماعى قد قضى عليه بالنفوذ المصرى والظاهر ان اهل سوريا (الهكسوس) الذين كانوا يقطنون هذه البلاد مضافاً إليهم من تقهقر منهم امام احمس الاول

١٥٨٠-١٥٥٨ق.م قد عقدوا بينهم وبين اهل النهرين علاقات على حساب مصر لمحاولة صد الوجود المصرى فى بلاد الشام ومنع المصريين من السيطرة على هذه البقاع وعلى هذا فإن الهكسوس الذين كانوا هم قبائل سامية مخلطه بعناصر اخرى آريه وهنديه وغيرها من الشعوب الاخرى قد تسربوا الى فلسطين ثم الى مصر ثم استقر بهم المقام فى كنعان بعد طردهم من مصر وكانوا يشكلون السيادة لفترة تزيد عن قرنين وفرضوا آثارهم وثقافتهم ومعالمهم الحضارية على ارض كنعان وكيف ذابوا فى المجتمع الكنعانى واصبحوا جزءً فاعلاً فيه وكيف انهم قاوموا النفوذ المصرى .

لكن التأثير الحضارى ظل دائماً فى كنعان لأنه لم يعد امامهم مكان يستقرون فيه غير فلسطين ولبنان وسوريا بعد ان ظهرت مملكة اشور ومتنى فى بلاد ما بين النهرين والحثيين شمالاً وكانت هذه الشعوب لاتسمح بتسرب القبائل الهكسوسية الى بلادهم .

اما الفنيقين سكان الساحل الشمالى الكنعانى فقد كانت شواطئ سوريا موانئ تصلح لميولهم البحرية ولم تكن الحدود السياسية ثابتة أو متعارف عليها حيث كانوا يخالطون الكنعانين بل انهم تركوا فى كنعان اهلاً لهم وتفرعوا عن الكنعانين وصاروا بجوارهم الى الشمال (فنيقيا) ومن الآثار المصرية نبدأ معرفتنا فى اواخر الالف الرابعة قبل الميلاد بأهل فلسطين وامارات الفنيقين وما بين النهرين كذلك فإن الآثار الكلدانيه اضافة معرفة بالفنيقين وقد لاحظ المهتمين بدراسة اللغات القديمة وجود صلات قوية بين اللغة الكنعانية والفنيقية والاراميه لغة ذات اصل واحد كذلك الكنعانين والفنيقين والعمورين والارامين والادوميون والاقوام السامية التى كانت تسكن شاطئ البحر الابيض المتوسط الشرقى وكان ملوك اشور قد ضموا موانئ الفنيقين الى املاكهم وسيطروا عليها .

وسواء اكان الكنعانيون والفنيقيون جنساً واحداً أم عرب هاجروا من جنوب شبه الجزيرة فمما لاشك فيه انهم كانوا جنساً واحداً وفى القرون التالية ازداد

نشاط المدن البحرية فى شرق البحر المتوسط وشمل النشاط كل موانئ ذلك البحر وانتقلت البضائع من منتجات الفنيقين الصناعية فى صور وصيدا وجبيل وبيروت وانتقل مركز القوة فى الشرق العربى القديم من مصر الى بلاد الفنيقين .

وتوجد فى رسائل تل العمارنه اشارة عن زيارة قام بها الفرعون امنحتب الثالث الى مدينة صيدا الفنيقية وتدل هذه الزيارة على ان هذه المناطق ظلت فى هدوء وسكينة عدة سنين وان الثورات تكاد تكون معدومة عندما تولى امنحتب الثالث العرش .

وقد لخص لنا الفرعون الصغير (توت عنخ امون) الذى ولى الحكم بعد اخيه (اخناتون) نتائج حكم اخيه فى آسيا فى المنشور الذى اصدره عندما تولى حكم مصر فى الكلمات التالية (عندما ارسلت الجنود الى بلاد فنيقيا لاجل مد حدود البلاد المصرية لم يكن فى استطاعتهم الوصول الى النتيجة) لكن قد اقيمت الحصون المصرية العديدة لتأمين السيادة المصرية فى فلسطين وخاصة فى (بب شان) بيسان التى بقيت حائلاً عند سهل (جزيل) فى شرق الاردن وفى هذه البقعة نجد بقايا معبد من عهد تحتمس الثالث وامنحتب الثالث كما نجد حصوناً فى بلاد لبنان وبخاصة عند مدخل نهر الكلب . وبذلك نرى كيف ان زاهى (فنيقيا) وشيلاج (فلسطين وكنعان) بجميع مدنها الساحلية والداخلية كانت على صلة طيبة وقوية مع مصر ، وبذلك كان الحديث عن الفنيقين وحضارتهم باعتبارهم جزء من الكنعانين هاجروا واستوطنوا الساحل الشمالى لكنعان وبذلك كانت خطة الدراسة فى هذا البحث لكشف حقيقة العمق العربى السامى القديم فى ارض كنعان منذ اربعة الاف سنة قبل الميلاد تأكيداً للحق التاريخى الثابت من خلال الآثار والمظاهر الحضارية الاخرى التى ترى فى كنعان قطراً عربياً سامياً لا يحق لأية عناصر اخرى دخيلة المطالبة به زوراً وبهتاناً ودحضاً لحقائق التاريخ والحضارة والانثربولوچيا والآثار .

المصادر والمراجع

أ - المراجع العربية

١ – ابراهيم خليل أحمد : اسرائيل فتنة الاجيال . القاهرة، ١٩٦٩.

٢ – ابراهيم خليل أحمد : مقارنة الديان. القاهرة، ١٩٧٠.

٣ – ابراهيم خليل أحمد : اسرائيل والتلمود. القاهرة، ١٩٦٤.

٤ – ابراهيم الحمصانى : اسرائيل قاعدة عدوانية. القاهرة، د.ت.

٥ – ابراهيم سيف الدين : مصر فى العهود القديمة. القاهرة. ١٩٤٥.

٦ – ابراهام وغنر : القرار الاسرائيلى. ترجمة ميخائيل الخورى. بيروت، ١٩٧٨.

٧ – أحمد سويلم العمرى : الشرق الاوسط ومشكلة فلسطين.القاهرة، ١٩٥٤.

٨ – أحمد شلبى : اليهودية. القاهرة، ١٩٥٨.

٩ – احمد فخرى : مصر الفرعونية. القاهرة، ١٩٥٩.

١٠ – احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم– مصر، العراق، سوريا، اليمن، ايران– القاهرة، ١٩٥٨.

١١ – احمد محمد بدوى : فى موكب الشمس، جزء ١، القاهرة، ١٩٥٨.

١٢ – احمد محمد بدوى : ايام الهكسوس، المجلة التاريخية، اكتوبر، ١٩٤٨.

١٣ – اسحاق موسى الحسينى : عروبة بيت المقدس، القاهرة ، ١٩٦٨.

١٤ – احمد سوسه : العرب واليهود فى التاريخ ، القاهرة ، د.ت.

١٥ – اسعد رزوق : الدين والدولة فى اسرائيل ، بيروت ، د.ت ١٩٦٨.

١٦ – اسعد رزوق : اسرائيل الكبرى، بيروت، ١٩٧٠.

١٧ – اكرم لمعى : الاختراق اليهودى للمسيحيه، القاهرة، ١٩٥٢.

١٨ – اكرم زعيتر : القضية الفلسطينية، القاهرة، ١٩٥٠.

١٩ – ارنولد توينبى : فلسطين جريمة ودفاع، ترجمة عمر الديراوى، بيروت، د.ت.

٢٠ – امين الحسينى : حقائق عن قضية فلسطين، القاهرة، ١٩٥٧.
٢١ – احمد حجاج : سكان اسرائيل ، بيروت ، ١٩٦٨.
٢٢ – اسكندر بدوى : علم آثار ما بين النهرين ، المجلة التاريخية المصرية، اكتوبر ١٩٥٠، القاهرة .
٢٣ – امل الشاذلى : حزب الليكود والتسويه ، القاهرة ، ١٩٧٨.
٢٤ – السيد عليوه : القوى السياسية فى اسرائيل، بيروت، د.ت.
٢٥ – ارنولد توماس : الدعوة الى الاسلام، ترجمة حسن ابراهيم حسن، القاهرة ١٩٤٧.
٢٦ – السيد محمود عاشور : الربا عند اليهود، القاهرة . ١٩٧٣.
٢٧ – ارثر كستلر : القبيلة الثالثة عشرة، ترجمة احمد نجيب هاشم ، القاهرة ١٩٩١.
٢٨ – امين ساعاتى : الامن القومى العربى، القاهرة ١٩٩٣.
٢٩ – بدران محمد بدران : التوارة العقل – العلم – التاريخ، القاهرة ١٩٧٩.
٣٠ – برجير المير : اليهودية دين لا قومية، القاهرة ، د.ت.
٣١ – برجير المير : اسرائيل باطل يجب ان تزول، ترجمة اميل بيدروس، بيروت، د.ت.
٣٢ – برستد جيمس هنرى : تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسى. ترجمة محسن كامل، القاهرة، د.ت.
٣٣ – بنيامين نتنياهو : مكان بين الامم، ترجمة محمد عوده، عمان ١٩٩٥.
٣٤ – السيد عبدالعزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب، الاسكندرية، ١٩٦٨.
٣٥ – السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ العرب قبل الاسلام، القاهرة، د.ت.
٣٦ – بيريني – جاكلين : اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدرى قلعجى، بيروت ١٩٦٣.
٣٧ – بروكلمان كاول : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه امين فارس واخرون ، بيروت، ١٩٤٨.
٣٨ – ادورد ، شيهان : العرب الاسرائيلون وكسنجر ، القاهرة، هيئة الاستعلامات. د.ت .
٣٩ – جمال حمدان : اليهود انثربولوجيا، القاهرة، ١٩٧٦.
٤٠ – جاكوب ، لاندو : العرب داخل اسرائيل ، القاهرة ، هيئة الاستعلامات ، د.ت .

٤١ – جامعة الدول العربية : الاقليات العربية فى اسرائيل ، القاهرة ، ١٩٦٠.

٤٢ – جوناثان سميث : الحملة الصليبية الاولى، ترجمة محمد فتحى الشاعر ، القاهرة، ١٩٩٣.

٤٣ – السيد عليوه : قرار الحرب فى السياسة الاسرائيلية، القاهرة، ١٩٧٧.

٤٤ – جورج فلونيوس : يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الاسد واخرون : بيروت، ١٩٦٢.

٤٥ – جوتبابتى اس.د : اليهود العرب والصلات بينهم عبر العصور، القاهرة، هيئة الاستعلامات، د.ت.

٤٦ – جورجى زيدان : العرب قبل الاسلام. القاهرة، د.ت.

٤٧ – جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام، بيروت، ١٩٥٣.

٤٨ – حسام سويلم : دفاعا عن المسجد الاقصى، جريدة الاهرام، القاهرة، مارس، ١٩٩٦.

٤٩ – حسن ظاظ : اليهود ، القاهرة، ١٩٧٥.

٥٠ – خلف محمد الحسينى : اليهودية بين المسيحية والاسلام، القاهرة، ١٩٦٤.

٥١ – تيودور، روبنسون : اسرائيل فى ضوء التاريخ، ترجمة ابراهيم زكى خورشيد، القاهرة، ١٩٥٨.

٥٢ – ديتك امينيلسون : الديانة العربية القديمة فصل فى كتاب التاريخ العربى القديم، ترجمة فؤاد حسنين على، القاهرة ١٩٥٨.

٥٣ – روبرت تاكر : هل لا يزال السلام ممكن فى الشرق الاوسط، القاهرة، د.ت.

٥٤ – ريتشارد ستفر ، عبدالواهاب المسيرى : اسرائيل وجنوب افريقيا، القاهرة، هيئة الاستعلامات، د.ت.

٥٥ – دى ستنفال اكوسانى : دراسات فى تاريخ العرب ، ٣ مجلدات، ١٩٤٧.

٥٦ – دبور رينيه : العرب فى سوريا قبل الاسلام ، ترجمة عبدالحميد الدواخلى، القاهرة، ١٩٥٩.

٥٧ – دومنيك فيدال : الشرق الادنى، باريس، ١٩٨٤.

٥٨ – رشيد الامام : مدينة القدس فى العصر الوسيط، تونس، ١٩٧٦.

٥٩ – سعدى بسيسو : الصهيونيه ، دراسة علمية، القاهرة. د.ت .

٦٠ – سعيد عبدالفتاح عاشور : اوربا العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٥٨.

٦١ – سليم حسن : مصر القديمة ٢ جزء ١،٢،٣،٤،٥،٦،٧،٩،١٧،١٨، القاهرة، ٢٠٠٠.

٦٢ – سعيد الافغانى : اسواق العرب، دمشق، ١٩٣٧ .

٦٣ – سيديو : تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة ١٩٤٨ .

٦٤ – سليمان حزين : سكان مصر، دراسة فى تاريخهم ، المجلة التاريخية، القاهرة، اكتوبر ١٩٤٨.

٦٥ – شاكر عمار : العرب واسرائيل، بيروت، ١٩٥٤ .

٦٦ – شبركعدان : هؤلاء الصهيونيون، ترجمة شفيق شالاتى، بيروت، د.ت.

٦٧ – شفيق ارشيدات : فلسطين تاريخيا، بيروت، ١٩٦٢ .

٦٨ – سامى الاسعد : الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية، بيروت، د.ت.

٦٩ – رسيل دميت : التوارة، تاريخها وغاياتها، بيروت، ١٩٧٢ .

٧٠ – صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى، القاهرة، ١٩٧١ .

٧١ – صبرى جرجس : العرب فى اسرائيل، باريس، ١٩٦٩ .

٧٢ – صموئيل اتينجر : اليهود فى البلدان الاسلامية، ترجمة جمال الرفاعى، الكويت، ١٩٩٥ .

٧٣ – الصراع العربى الاسرائيلى ١٩٦٧ – ١٩٧٣، القاهرة، ١٩٧٥.

٧٤ – صالح احمد العلى : فى تاريخ العرب، بغداد، ١٩٥٩ .

٧٥ – طارق العمارى : اسرار المعبد اليهودى، القاهرة، ١٩٩٤ .

٧٦ – عباس عمار : المدخل الشرقى لمصر واهمية شبه جزيرة سيناء كطريق للمواصلات ومعبر للهجرات البشرية ، مجلة الجمعية الجغرافية المصرية، ١٩٥٤.

٧٧ – عادل حموده : تحت جلد اسرائيل، القاهرة، ١٩٩٧ .

٧٨ – عباس محمود العقاد : الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبرانيين، القاهرة، د.ت.

٧٩ – عباس محمود العقاد : ابو الانبياء الخليل ابراهيم، القاهرة، ١٩٧٢ .

٨٠ – عاصم الدسوقى : الولايات المتحدة واسرائيل، القاهرة، ١٩٨٥.

٨١ – صالح محمود ابويصبر : جهاد شعب فلسطين، القاهرة، ١٩٧١.
٨٢ – عارف العارف : المفصل فى تاريخ القدس، القدس، ١٩٩١.
٨٣ – ظفر الاسلام خان : تاريخ فلسطين القديم، بيروت، ١٩٧٣.
٨٤ – ظفر الاسلام خان : التلمود، تاريخه وتعاليمه، بيروت، ١٩٧٢.
٨٥ – طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٥٦.
٨٦ – عبدالجليل شلبى : اليهود واليهودية، القاهرة، ١٩٩٧.
٨٧ – عبدالخالق عبدالله حبش : عروبة القدس فى الفكر الصهيونى، القاهرة، جريدة الاهرام، ابرايل١٩٩٧.
٨٨ – عبدالعزيز عبدالدايم : بيت المقدس فى العصر الايوبى، القاهرة، ١٩٨٩.
٨٩ – عبدالحميد زايد : القدس الخالدة، القاهرة، ١٩٧٤.
٩٠ – عبدالفتاح مقلد الغنيمى : عروبة مصر قبل الاسلام ، القاهرة، ١٩٩٣.
٩١ – عبدالفتاح مقلد الغنيمى : عروبة فلسطين منذ اربعة الاف سنة قبل الميلاد، الاهرام، القاهرة،١٩٩٨.
٩٢ – عبدالفتاح مقلد الغنيمى: اسرائيل الى زوال، القاهرة، ١٩٩٦.
٩٣ – عبدالفتاح مقلد الغنيمى : هل لاسرائيل حق تاريخى فى فلسطين، القاهرة، ٢٠٠٠.
٩٤ – عبدالفتاح مقلد الغنيمى : شعوب اسرائيل وخرافة الانتساب للسامية، القاهرة، ٢٠٠١.
٩٥ – عبدالحميد الحسينى : تقويم العرب فى الجاهليه، الاسكندريه، ١٩٦٣.
٩٦ – عبدالله التل : خطر الصهيونيه العالميه فى الاسلام والمسيحيه، القاهرة، ١٩٦٤.
٩٧ – عبدالوهاب المسيرى : التراث اليهودى والصهيونى، القاهرة، ١٩٧١.
٩٨ – عبدالوهاب المسيرى : الايدلوجيه الصهيونيه، الكويت، ١٩٨٢.
٩٩ – عبدالوهاب المسيرى : ارض الميعاد، القاهرة، هيئة الاستعلامات، د.ت.
١٠٠ – زينى نور الدين زين : الصراع الدولى فى الشرق الاوسط وولاه سوريا ولبنان، بيروت، ١٩٧٧.
١٠١ – عز الدين فوده : قضية القدس، القاهرة، ١٩٦٧.

١٠٢ – علي حسن الخربوطلي : بين المغول واليهود، القاهرة، ١٩٦٢.

١٠٣ – علي حسن الخربوطلي : العرب واليهود في العصر الاسلامي، القاهرة، ١٩٦٢.

١٠٤ – علي محمد علي : فلسطين ماضيها العربي وحاضرها الصهيوني، القاهرة، ١٩٦٢.

١٠٥ – علي محمد علي : اسرائيل قاعدة عدوانية، القاهرة، د.ت.

١٠٦ – غسان العطيه واخروان : المقاومة الفلسطينية الواقع والمتوقعات، بيروت، ١٩٧١.

١٠٧ – فايز صايغ : النزاع العربي الاسرائيلي، القاهرة، هيئة الاستعلامات، د.ت.

١٠٨ – فتحي الرملي : الصهيونيه اعلى مراحل الاستعمار، القاهرة، ١٩٦٨.

١٠٩ – فؤاد حسنين علي : اليهوديه واليهوديه المسيحيه، القاهرة، ١٩٧٢.

١١٠ – فؤاد حسنين علي : الادب اليهودي المعاصر، القاهرة، ١٩٦٧.

١١١ – فؤاد حسنين علي : المجتمع اليهودي منذ تشريده حتى اليوم، القاهرة ١٩٦٧.

١١٢ – فؤاد حسنين علي : التاريخ العربي القديم، القاهرة، ١٩٥٨.

١١٣ – عمر فروخ : تاريخ الجاهليه، بيروت، ١٩٦٤.

١١٤ – فؤاد ابراهيم عباس : موسوعة بيت المقدس، ٦ اجزاء ، القاهرة، ١٩٩٣.

١١٥ – فيصل ابوخضراء : تاريخ المسألة الفلسطينية، القاهرة، ١٩٩٧.

١١٦ – فؤاد حسنين علي : التوارة الهيروغليفية، القاهرة، د.ت.

١١٧ – فايز فهد الجابر : القدس، ماضيها، حاضرها، مستقبلها، عمان، دار الخليل، د.ت.

١١٨ – فيليب حتى : تاريخ العرب، ترجمة محمد مبروك نافع، القاهرة، ١٩٥٣

١١٩ – فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة عبدالكريم رافق، بيروت، ١٩٥٨.

١٢٠ – غوستاف ليون : اليهود في تاريخ الحضارات الاولى، ترجمة كمال اليازجي، بيروت، ١٩٥٩.

١٢١ – علي عبدالواحد وافي : اليهوديه واليهود، القاهرة، ١٩٧٠.

١٢٢ – محمد خليفة التونسي : بروتوكالات حكماء صهيون، القاهرة، د.ت.

١٢٣ – محمد مبروك نافع : تاريخ العرب، عصر ما قبل الاسلام، القاهرة، ١٩٥٢.

١٢٤ – محمد النحال : فلسطين ارض ، تاريخ، اعماق، دار الجليل، د.ت.

١٢٥ - كمال الحلبي : التوارة جاءت من الجزيرة العربية، ترجمة عفيفي الرزاز، بيروت، ١٩٨٨.
١٢٦ - لوران جاسبان : تاريخ فلسطين من البداية إلى ١٩٧٧، بيروت، ١٩٨١.
١٢٧ - ماكسيم رودنبسون : شعب يهودي أو مسألة يهودية، بيروت، ١٩٨١.
١٢٨ - كامل سعفان : اليهود تاريخ وحضارة، القاهرة، ١٩٨٨.
١٢٩ - كنت ركشن : رمسيس الثاني، ترجمة احمد امين، القاهرة، ١٩٩٨.
١٣٠ - قسم الدراسات الفلسطينية : اسرائيل عام ٢٠٠٠، عمان، دار الجليل، ١٩٨٦.
١٣١ - كيث وايتلان : اختلاق اسرائيل القديمة ، ترجمة سحر الهنيدي، الكويت، ١٩٩٩.
١٣٢ - محمد حسنين هيكل : الحل والحرب، بيروت، ١٩٨٣.
١٣٣ - محمد نعمان الجارم : اديان العرب في الجاهلية، الاسكندرية، ١٩٦٣.
١٣٤ - مركز الدراسات الاستراتيجية - الاهرام : مصر وامريكا، القاهرة، ١٩٧٦.
١٣٥ - ممدوح حامد عطيه : البرنامج النووي الاسرائيلي، القاهرة، ١٩٩٧.
١٣٦ - محمد كرم علي : الاسلام والحضارة العربية، القاهرة، ١٩٥٩.
١٣٧ - محمود العابدي : عروبة الاماكن والبقاع المقدسة في فلسطين، القاهرة، المؤتمر العراقي الأولى، ١٩٧٩.
١٣٨ - محمود كامل : العرب وتاريخهم بين الوحدة والفرقة، القاهرة، ١٩٥٦.
١٣٩ - محمود دياب : الصهيونيه العالمية، القاهرة، ١٩٧٦.
١٤٠ - محمد السعيد ابراهيم : اسرائيل في التصور الامريكي، القاهرة، ١٩٧٩.
١٤١ - مصطفى الجمل : استراتيجية اسرائيل بعد حرب اكتوبر، القاهرة، ١٩٧٦.
١٤٢ - محمد السيد السعيد : استيعاب المهاجرين في اسرائيل، القاهرة، ١٩٧٨.
١٤٣ - هيئة الاستعلامات : النزاع العربي الاسرائيلي، القاهرة، د.ت.
١٤٤ - المقريزي : تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، تحقيق عبدالمجيد دياب، القاهرة ١٩٩٧.
١٤٥ - محمد طلعت الغتيمي : قضية فلسطين امام القانون الدولي، الاسكندرية، ١٩٦١.
١٤٦ - محمد علي علويه : فلسطين والضمير الانساني، القاهرة، د.ت.

١٤٧ – محمد فوزى ، محمد رشدى : الصهيونيه وربيبتها اسرائيل، القاهرة، ١٩٦٢.

١٤٨ – فالسونسكى ناديوس : اسرائيل وجمهورية المانية الاتحادية، القاهرة ، الاستعلامات، د.ت.

١٤٩ – بول سترانج : فلسطين فى العهد الاسلامى، ترجمة محمد عماره، عمان، ١٩٧١.

١٥٠ – مركز دراسات الشرق الاوسط : اسرائيل والتسويه السلميه، القاهرة، ١٩٩١.

١٥١ – محمود شيت خطاب : اهداف اسرائيل التوسعيه فى البلاد العربية، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٥٢ – نجيب ميخائيل : الشرق الادنى القديم، الاسكندرية، ١٩٦٦.

١٥٣ – نجيب ميخائيل : حضارة العراق القديمة، الاسكندرية، ١٩٦٨.

١٥٤ – لويس، بارنارد: العرب فى التاريخ ، تعريب نبيه امين غازى، بيروت ١٩٠٤.

١٥٥ – محمد اسعد على : تاريخ الامة العربية، بيروت، ١٩٦٧.

١٥٦ – محمد عوض محمد : الاستعمار والمذاهب الاستعماريه، القاهرة، ١٩٦١.

١٥٧ – مجموعة مؤرخين : النزاع العربى الاسرائيلى، القاهرة، ١٩٧٥.

١٥٨ – وحيد عبدالحميد : اليهود والعرب فى اسرائيل، القاهرة، ١٩٧٨.

١٥٩ – وحيد عبدالحميد : انتخابات الرئاسه الامريكية الصراع العربى الاسرائيل، القاهرة، ١٩٨١.

١٦٠ – وايزمان ب.د : النزاع الاسرائيلى العربى، القاهرة، ترجمة محمد حسن هيئة الاستعلامات، د.ت.

١٦١ – وايز مان ب.د : النزاع الاسرائيلى العربى، القاهرة، هيئة الاستعلامات د.ت.

١٦٢ – يورى ايفانوف : الصهيونيه، خدار، ترجمة ماهر عسل، القاهرة، ١٩٦٩.

١٦٣ – نجيب الاحمد : فلسطين تاريخ ونضال ، عمان، دار الجليل، ١٩٨٦.

١٦٤ – نسيب وجيه الخازن : من السامية الى الغرب، بيروت، ١٩٦٣.

١٦٥ – ولفستن : اسرائيل ، تاريخ اليهود فى البلاد العربية، القاهرة، ١٩٣٧.

١٦٦ – ول ديوارانت : قصة الحضارة، ج١١، ١٢، ١٣، ١٤، ٢٥، [illegible]، ٢٣، ٢٤، القاهرة ٢٠٠١.

ب - المراجع الاجنبية :

1 - ackroyd. P : The Jewish community in persioanperiod. Combidge 1988.

2 - Aharoni : The land of the Bible. 1957.

3 - Aharoni. Y : The Archaeolyy of the land of Israel. 1982.

4 - Ahlstrom, G.W : The origin of Israel in Palestine. 1986.

5 - Ahistrom, G.W : The history of Ancient Palestine from the palaeolithic period to Alexander,s conquest. 1993.

6 - Albriyght, W.F. : The Archaeology of Palestine. 1949.

7 - Albriyght, W.F. : From the stone Age to christianity, New-york, 1957.

8 - Antonitu. S.G : The Arab awakening. Beirut, 1969.

9 - Baly, D : The geography of Palestine and the Levant in relation to its history. Cambridge, 1984.

10 - Bismon, J : The origins of Israel in Canaan. 1989.

11 - Biran, A. : An Aramic state fragment from telaan. 1993.

12 - Bowerstock, G.W. : Palestine ancient history, London, 1988.

13 - Bright, J : Ahistory of Israel. London, 1960.

14 - Chaney, M. : Ancient Palestinain peeasont. London, 1963.

15 - Chaney, M : The Emergance Of Ancient Israel. Sheffeld, 1986.

16 - Clarke, D. : Israel in its historical and cultural setting. Cambridge, 1989.

17 - Cohen, A. : Arab Border - Villages in Israel. Manchester, 1965.

18 - Coote, R.B. : Early Israel . London 1990.

19 - Cross, F.M. : Canaanite Myth and Hebrew Eric. Cambridge. 1974.

20 - Dever, W.G. : Syro-Palestine and Bible archaeoloyg. philadelphia 1985.

21 - Dever, W.G. : THe contribution of archaeology to the study of canaanite and early religion, philadelphia 1987.

22 - Dever, W.G : Archaeology land the Israelite. Newyork, 1992 .

23 - Dothan, M. : The early sea- peoples in Canaan. 1989.

24 - Dothan, T. : The Palestinees and their Material Culture. 1982.

25 - Eden, C. : The archaeology of the Israelite settlement. 1989.

26 - Finkelstein, I. : The emergance of Israel in Canaan 1991.

27 - Fritz. V. : Conquest and settement, The early Iron Age in Palestine, 1985.

28 - Frick. F.S. : The fromation of the state in Ancient Israel. sheffieid, 1985.

29 - Gabine, G. : Hisitory and ideology in Ancient Israel. London., 1988.

30 - Hayes, J. : Israelite and Judaean Hisitory, London, 1977.

31 - Hutteroth, W.D : Historical geography of Palestine, 1977.

32 - Kenyon, K. : Anthropological appaaches to the studyof the Bible, cambridge, 1983.

33 - Leach. E. : Anthropological appaaches to the studyof the Bible, Cammbridg, 1983 .

34 - Lemche, N.P. : Early Israel, Lelden, 1985.

35 - Lemche, N.P : Ancient Israel, sheffleld, 1988.

36 - Lemch, N.P. : The canaanies and their land. shefflelid, 1991.

37 - Mazar, A. An early Israelite settlement sitenear jerusalamn, 1981.

38 - Mendenhall, G.E : The Hebrew Conquest of Palestine. 1962.

39 - Mendenhall, L.E. : Ancient Israel's hyphenatedhistory, S.F. 1983 .

40 - Meyers, G. : The Israelite empire, 1987.

41 - Miller, J.M. : The Israelite occuption of canaan. London, 1977.

42 - Muslih, J.M. : The origins of Palestinion Nationalism. Newyork, 1988.

43 - Noth, M. : The History of Israel. London, 1960 .

44 - Olmstead. A.T : History of Palestine and syria to the Mocedonian conquesl. Newyork, 1931.

45 - Paton, L.B. : The early history of syria and Palestine. Newyork, 1951.

46 - Red Ford, D.B. : The realation Between Egypt and Israel From Amarna to the Babylontion conquest. 1965.

47 - Rogerson, J.R. : The early Israel segmentary society.1986.

48 - Said, E.W : The question of Palestine, London, 1992.

49 - Skjeggestad, M.: Ethnic groups in earlyiron age Palestine.

50 - soggin, J.A : History of Israel, London, 1984.

51 - Thompson, T.L : The early history of the Israelitc people. leiden, 1992.

52 - Tibawi, the history of syria including lebanon and palestine, London, 1960.

53 - Weinstin, J.M : The Egyptian emnpire in palestine, 1981.

54 - Weippert. T.M : These Ttlement al Israllite tribes in Palestine, 1971.

55 - contenal, G : Les civilisations anciennes du proche orient paris, 1955.

56 - Renon, E. Histore du peuple d'Israel. paris, 1925.

57 - Ranan, E. : Histore generale des langues semit-iqus. Paris, 1950.

58 - Mascati, s. : Histore et civilation des peuples semitiques, paris, 1454.

59 - Barton, smitic and Hametic origioins, London, 1934.

60 - Bevan, E.R : The Jewish in combridge Medievial History. Vol 9.

61 - Jacob, M. London : The Arabes in Israel, London, 1969.

62 - Elia, T.zureik : The pales tinians in Israel. Newyork, 1978.

63 - Albright. from the stone age to chiristianty, London, 1939.

64 - Breasted : Thomtmosc3. London, 1938.

65 - Budge. From Fetish to god in Ancient Egypt, London 1934.

66 - Budge : Ahistory of Egypt from the end of the neolithic period to the death of cleopatra. london, 1920 .

67 - Ermon : The literature of the Ancient Egypt, London , 1934.

68 - Hall : The Ancient history of Near East, London, 1920 .

69 - Lucas : Ancient Egyptain materials, London, 1945.

70 - Meek. T.J : Habrew origins. New York, 1926.

71 - Childe : The Aryans, New York, 1926.

72 - Montet : Bublos et l'Egypte, Paris, 1938 .

73 - Maspero : The down of civilization. London, 1993.

74 - Meyer. E.D : Histore del'antiqute Egypte jusqu, Al'Epoquedes Huksos, Paris, 1[illegible]4.

76 - Gardiner : The tomb of amenem heteb. London, 1951.

77 - Gardiner : The military road between Egypt and palestins. London, 1920.

78 - Mereer A. : The Tell el Amarna Tables. Tornto, 1938.

79 - Dussaad : Les peuples de l'orient Mediterraneen. Paris, 1950 .

80 - Sayce : The ancient Empires of the East. London, 19920.

81 - Peet : Early Egypt in fluence. London, 1958.

82 - The Joarnal of the palestine orientalsociety. 1923.

83 - The combridge ancient history. combridge, 1926.

84 - Petrie : Hyksos and Israeite cities. 1906.

85 - Weill La fin du Moyen Empire. Paris, 1950.

86 - The American Journal of semetic languages and literatures chicage. 1884.

87 - The palestine Exptloration fand auarterly statment .

88 - Litien thal A : What price Israel U.S.A No date .

89- John , Laffin . The Israeli mind . London . 1979 .

كتب صدرت للمؤلف

١ - الاسلام والعروبة فى السودان، القاهرة. دار العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٥.

٢ - هل لاسرائيل حق تاريخى فى فلسطين، القاهرة، دار العربى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.

٣ - شعوب اسرائيل وخرافة الانتساب للسامية ،القاهرة، دار العربى للنشر والتوزيع، ٢٠٠١.

٤ - موسوعة المغرب العربى ٦ اجزاء، بيروت، مكتبة مدبولى، ١٩٩٤.

٥ - الحضارة الاسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٥.

٦ - الاسلام وحضارته فى قلب افريقيا ، بيروت ، مكتبة مدبولى، ١٩٩٦.

٧ - الاسلام والثقافة العربية فى اوروبا، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٩.

٨ - معركة بلاط الشهداء فى التاريخ الاسلامى والاوروبى، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٦.

٩ - الاسلام والمسلمين فى شرق افريقيا، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨.

١٠ - اسرائيل الى زوال، القاهرة، دار الامين، ١٩٩٦.

١١ - الاسلام وامسلمين فى جمهوريات آسيا الوسطى، القاهرة دار الامين، ١٩٩٥.

١٢ - حركة المد الاسلامى فى غرب افريقيا، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٦.

١٣ - الاسلام والمسلمون فى جزر البحر المتوسط، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٦.

١٤ - دور مصر الحضارى فى القارة الافريقية، القاهرة، دار الموقف العربى، ١٩٩٣.

١٥ - عروبة مصر قبل الاسلام، القاهرة، دار الاشعاع، ١٩٩٣.

١٦ - كيف ضاع الاسلام فى الاندلس بعد ثمانية قرون، القاهرة، دار الاشعاع، ١٩٩٣.

١٧ - جمال حمدان فى ذاكرة التاريخ ، القاهرة ، عطوه للنشر، ١٩٩٣.

١٨ - الغنايم عبر التاريخ ، القاهرة ، ١٩٨٥.

١٩- الكنعانيون وتاريخ فلسطين القديم . دار العربى للنشر والتوزيع . القاهرة . ٢٠٠٣ .

ترجم كتب جمال حمدان الى اللغة اليابانية، عروبة مصر قبل الاسلام إلى اللغة الانجليزية.

للمؤلف أكثر من الف مقال في العديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية والاسلامية في مختلف دول العالم الاسلامي مصر، السعودية، الكويت، الامارات العربية، المغرب، اليمن .

كتب في : الاهرام، الندوة، المدينة المنورة، عكاز، اخبار العالم الاسلامي، العالم اليوم، رابطة العالم الاسلامي، التضامن الاسلامي، الفيصل، الدعوة، العرب، الوعي الاسلامي، البلاغ، منار الاسلام، الضياء ، قافلة الامين ، دعوة الحق ، الرائد.

كتب تحت الطبع :

١ – موسوعة التاريخ الاسلامي ١٠ اجزاء .

٢ – حرب اكتوبر درة تاريخ العرب الحديثة.

٣ – العرب بين القومية والاقليمية والشرق اوسطية.

الـفـهـرس

رقم الايداع
٢٠٢٦٧/٢٠٠٢

الترقيم الدولى
I.S.B.N
977-319-051-X

العربى
للنشر والتوزيع

١٠ شارع القصر العينى (١١٤٥١) القاهرة
ت: ٧٩٥٤٥٢٩ - ٧٩٢١٩٤٣ فاكس: ٧٩٤٧٥٦٦
٤٢ ميدان البصرة - اول شارع دجلة - المهندسين
تليفون: ٧٤٩٢١٤٥ - ٧٦١١٨٣٨١ فاكس: ٧٦١١٨٣٨١
E-Mail : alarabi5@link.net